علاء الدين المدرس

الأمـة الوسـط

نظرة في تاريخ الخروج السياسي في صدر الإسلام وتسليط الضوء على مدارس الوحدة والتقريب الإسلامية

دار الرقيم- بغداد/ دار عمار- عمان
١٩٩٩م – ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

{وكذالك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} البقرة: ١٤٣

{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا} آل عمران: ١٠٣

(يد الله مع الجماعة، ومن شذ شُذَّ إلى النار.. وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) حديث شريف

الإهداء

إلى دعاة الوحدة والتقريب بين المسلمين على مدار التاريخ
والى رجال التقريب والتصحيح في العصر الحديث
ومن يشجع مساعي الوحدة والتسامح
والتعايش البنّاء بين المسلمين
ويشجب التعصب والخصومة والطائفية
والى الغافلين عن خطر الطائفية على امة الإسلام
ومستقبل دوره الحضاري بين الأمم
نهدي هذه الكلمات والسطور.

المقدمة

إن العصر الإسلامي في صدر الإسلام الذي دام نحو ثلاثة قرون، هو عصر الأمة الوسط، رغم كل ما يقال عن الصراعات السياسية والفتن، التي حدثت بعد عصر الشيخين، وعلى الرغم من أن هذه الصراعات حقيقة واقعة -مع إسقاط المبالغات المتعمدة التي دست بسبب الصراع الطائفي وغيره- فان الاقتصار عليها في عرض التاريخ، يعطي صورة غير حقيقية لذلك التاريخ .. صورة مشوهة تحاول أن تستعيض عن صور التاريخ المشرقة العديدة بصورة واحدة قاتمة ومتعسفة أحيانا، وهذا ما حاول خصوم الإسلام أن يوهموا به المسلمين، ليبنوا لهم منهجاً خاصاً في كتابة التاريخ، مستبعدين -عن قصد- بقية مجالات الحياة الإسلامية: العقدية والفكرية والحضارية والعلمية والاجتماعية وغيرها. ورغم كل ذلك فان العصر الإسلامي الأول قد تميز بميزات أساسية، ينبغي الوقوف عندها، أهمها وحدة العقيدة والتصور الإسلامي، لمسلمي ذلك العصر، ووحدة التراث، ووحدة المرجعيات والأئمة والمجتهدين الأوائل، فضلا عن عظمة دولة الإسلام التي امتدت من الصين شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، والتطور الحضاري والرخاء الاقتصادي الذي صحب ذلك، فكان المسلمون قادة العالم وسادته لقرون عديدة..

تلك هي أهم المميزات التي اصطبغ بها هذا العصر المبارك، رغم ذلك التنافس السياسي إذ أن الخلاف حول الحكم وأسلوبه لم يكن ليؤثر على معتقد من انتمى إلى هذه الفرقة أو تلك، فكان رموز ذلك العصر ورجاله وأبرزهم الصحابة وأهل البيت وأبناؤهم ومشاهير علماء التابعين وأئمة المذاهب، هم مراجع مشتركة للتيارات السياسية التي

نشأت فيما بعد، ولم يشذ عن ذلك إلا فرق الغلو والتطرف والطائفية، كغلاة الروافض والخوارج وتيارات السبئية والمزدكية والباطنية وأمثالها. أما المدارس والتيارات التي شكلت فيما بعد المذاهب السنية والإمامية والزيدية، فكانت تنتمي بشكل أو بآخر إلى ابرز رجالات ذلك العصر وتتبعهم، وان اختلفوا في بعض التفسيرات والروايات الواردة عنهم. لذا فيمكننا أن نقول من دون مجازفة إن تلك المرحلة هي بحق امتداد لعصر النور والقرآن، عصر النبوة الزاهر، وكان تراث تلك الحقبة هو التراث الإسلامي المبارك الذي حفظه الصحابة وأهل البيت وتابعوهم وجمعوه ودونوه بأمانة ودقة، كما حفظ القرآن الكريم في عصر الصحابة ودون بدقة وتواتر ليس له مثيل.. فجمع واستقر في عصر عثمان ﷺ. وبحفظ الكتاب والسنة، يتحقق وعد الله سبحانه بقوله: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[1]. وقد فسر بعض العلماء الذكر في الآية، بأنه ليس القرآن وحده، وإنما معه السنة الشريفة، إذ يتم بها فهمه وشرحه وتفسيره وحفظه. إذن يمكننا الاطمئنان إلى تراث الإسلام الصحيح الذي دوّن وجُمع في ذلك العصر المنير، أما العصور التي تلت ذلك العصر، وبعد أن بدأت الفرقة والخصومة والتناحر وعقائد الغلو تدب بين المسلمين، فان الأخذ من تراث تلك العصور ومن مروياتها من دون تحفظ فيه نظر، وينبغي إن تعرض تلك المرويات للنقد والتمحيص سواء المرويات الدينية أم التاريخية، لاسيما بعد أن أصبح لتيارات الغلو والشعوبية شأن في حياة المسلمين وأصبحوا هم أصحاب الأمر والنهي، بعد انتشار أفكار المعتزلة والباطنيين وتشويه التاريخ ورجاله في العصر العباسي الثاني وما تلاه.

---

[1] **الحجر ٩.**

ولقد تميز ذلك العصر أيضا، بقوة الأواصر الطيبة والوشائج التي كانت تتسم بها حياة المسلمين وعلى رأسهم أهل البيت والصحابة والتابعون لهم، فكانت أواصر النسب والمصاهرة لإفراد ذلك العصر وقبائلهم وشعوبهم متداخلة، فضلاً عن الأخوة ووحدة العقيدة والجهاد المشترك الذي كان من ثماره إن فتح العالم أبوابه لنور الإسلام.. إن تلك الصورة المشرقة تؤكد التلاحم بين القبائل والأسر والأفراد الذين قادوا دولة الإسلام ونشروا رسالته ومن بينهم العباسيون والعلويون والأمويون وغيرهم، وكانت صلة الرحم والتردد على الخلفاء، سواء للنصح أو المواصلة، مما يميز العلاقة بين رجال ذلك العصر رغم وجود نوع من الصراع والتنافس على الحكم أحيانا[1].

في الحقيقة إن العودة إلى ذلك العصر المشترك وتراثه يمكن أن يكون مدخلاً مناسباً لإزالة الفرقة والطائفية بين المسلمين، وصولاً إلى الوحدة الحقة بين فرق المسلمين سواء المعتدلة منها أو المغالية بعد أن تترك غلوها وتعصبها وتبحث في تراثها عن المنهج الأصيل الذي يعود إلى ذلك العصر ورجاله العظام. ولذلك فلابد من التعرف على خصائص امة القرآن في عصر الرسالة قبل استعراض دور الأمة الوسط في حياة المسلمين. إن مجتمع الصحابة في عصر الرسالة لم يكن مجتمعاً ملائكياً خالياً من المشاكل والأخطاء والاختلاف.. لكنه تميز عن غيره في كيفية مواجهة تلك الأخطاء أو الفتن، بعمق إيمانه برسالته، فكانت آيات القرآن حين تنزل على قلب النبي ﷺ تكون واقعاً

---

[1] **راجع كتاب النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة/ للمدرس، للوقوف على الأواصر الطيبة والعلاقات الودية التي كانت تسود مجتمع الصحابة والتابعين، مما يعطي صورة مشرقة لأمة القرآن، بعيداً عن روايات الدس والغلو والشعوبية التي حاول الأعداء بثها عبر التاريخ لتشويه التراث الإسلامي وسيرة الرجال الأعلام في صدر الإسلام.**

يحيا بظلها المجتمع كله، وكال الهدي النبوي مكملاً لتعاليم القرآن في غرس العقيدة القرآنية في النفوس المؤمنة التي أحاطت بقائدها ونبيها ﷺ. وكان مجتمع الصحابة امة تحيى بنور القران فيبصرهم هذا النور بعيوبهم وبما ينبغي القيام به لتلافي الاختلاف والأخطاء والمشاكل التي واجهتهم في بناء دولة الإسلام الأولى بقيادة النبي ﷺ. وفي السيرة العديد من الصور والأحداث التي ألهمت الأمة الكثير من الدروس والعبر، كما حدث في قضية أسرى بدر، وفي معركة احد وقد عرض القرآن الكريم تفاصيل المعركة وأسباب الهزيمة في سورة آل عمران لتلافيها وتعليم المسلمين من خلال الأخطاء التي وقعت، وكذلك قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، ومحنة آلافك وأثرها الاجتماعي الخطير، وقد فضح القران عصبة النفاق وأثرهم الإعلامي السلبي في المجتمع الإسلامي[١]، وقصة تقسيم الغنائم بعد حنين، وغيرها من الأحداث التي شهدت اختلافاً في وجهات النظر أو الاعتراض على موقف معين. وقد كانت تعاليم القرآن ومبادئه هي المرجع والفيصل في الحكم فيما يحدث بين المسلمين، امتثالا لقوله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما}[٢] وقد استمر هذا المنهج القرآني في استلهام تعاليم القران والهدي النبوي بعد عصر الصحابة حتى العصر العباسي، في مواجهة أي اختلاف أو صراع أو فتنة، سواء في اختيار الخلفاء في العصر الراشد أو حروب الفتح الإسلامي وغيرها من الأحداث الكبيرة التي واجهها المجتمع الإسلامي، فكان ملاذهم دائماً هدي القرآن والسنة.

---

[١] انظر تفسير سورة النور/ ابن كثير.

[٢] النساء : ٦٥.

ولقد امتازت امة القران في عصر الرسالة بخصائص عديدة وفريدة بين بقية الأمم، جعلتها أهلا للخيرية.. قال تعالى: {كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}[1] فقيد سبحانه الخيرية لأمة القرآن في أي زمان ومكان بشرط القيام بأعباء الرسالة الخاتمة التي بلغها الرسول الخاتم ﷺ، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، انه تشريف وتكليف، تشريف بالخيرية وتكليف بالرسالة وتحمل الأمانة الكبرى، تلك هي خلافة الأرض وإرشاد البشر إلى الهدى ودين الحق، وحين تفقد هذه الأمة رسالتها أو تتركها، تفقد -حينئذ- خيريتها أيضاً. ومن مميزاتها أيضا إن تكون شاهدة على أمم العالم هادية لهم نحو الحق والنور، قال تعالى: {وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}[2]. فهذه الأمة حين تعي رسالتها ودورها بين الأمم تكون شاهدة عليهم أمام الله سبحانه، ويكون الرسول شهيداً عليها وعلى مدى تحملها للأمانة ومدى صحة العقيدة الربانية التي تحملها، وتلك هي من المعالم الرئيسة للأمة الوسط.

ومن الخصائص البارزة الأخرى لأمة القرآن التي نلمس أثارها في الكتاب والسنة وسيرة المصطفى ﷺ وحياة الصحابة هي:الربانية..الإتباع..الوسطية..الايجابية..العزة الإيمانية..

وتشتمل الربانية على: التوحيد والإخلاص والعلم والإحسان والتجرد والزهد وبقية الصفات التي تنضوي تحت مفهوم الربانية.

---

[1] آل عمران : ١١٠.

[2] البقرة : ١٤٣.

قال تعالى: {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}[١].

والإتباع: أن يكون القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، وان يفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات. قال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيرا}[٢] وقال تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين}[٣].

ومقتضى الإتباع أيضا: العبودية والتسليم والطاعة .

أما الوسطية فتقتضي: حمل الرسالة والأمانة، وخلافة الأرض، والشهادة على الناس والدعوة إلى السلام والمحبة والخير والبعد عن الغلو والتطرف والخصومة والتعصب .. قال تعالى: {وكذلك جعلناكم امة وسطا ..} وقال تعالى: {ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}[٤].

ومنهج الإسلام بطبيعته منهج وسط بين العدل والرحمة، بين الإفراط والتفريط، بين الروح والجسد وبين العقل والغيب .. والوسطية ضد الغلو الذي جنح إليه الإنسان في تاريخه الطويل حين كان بعيداً عن هدى الله ونوره فغلب على تفكيره ومعتقده الزيغ والانحراف، بدافع الهوى والتعصب والتقليد الأعمى، فالإنسان حين يكون بعيداً عن الله

---

[١] **آل عمران : ٧٩.**

[٢] **الأحزاب: ٢١.**

[٣] **آل عمران: ٣١-٣٢.**

[٤] **آل عمران: ١٠٤.**

يكون ضحية التعصب والغلو والإعراض عن المنهج الصحيح وعن إدراك علة وجوده ودوره في خلافة الأرض وتقتضي الوسطية أيضا: التوازن والشمول والواقعية والتكامل ..[1].

أما الايجابية التي اتصف بها المجتمع الإسلامي في عصر الرسالة وما بعده، فمن مظاهرها: الجدية والحركية، ومن أبرز صورها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقتضى الايجابية في حياة الأمة أيضا: الدعوة إلى الخير والحق، والعمل المتواصل، والجهاد والتضحية والثبات والأخوة وغيرها من الصفات المأثورة في حياة المسلمين.

أما العزة التي هي سمة المؤمن وشعاره فقد وصف الله سبحانه جيل الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل الإيمان بالعلو والعزة، فقال تعالى: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}[2].. وقال تعالى: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}[3] . ويؤكد القرآن الكريم أن العزة للمؤمنين مهما تجبر الباطل وأحكمت قوى الطاغوت سيطرتها على الأرض، فالمسلمون أعزة على الكافرين أذلة فيما بينهم، ودينهم وشرعتهم ومنهجهم هو

---

[1] **انظر أيضا حول مفهوم الوسطية: تفسير الظلال وصفوة البيان، لقوله تعالى:** ﴿وكذلك جعلناكم امة وسطا . .﴾ **وابن كثير في تفسير:** ﴿وان هذا صراطي مستقيما . .﴾ **الأنعام/١٥٣، وكذلك كتاب (محمد ابن الحسن الشيباني وأثره في الفقه)/ د. محمد الدسوقي/ كلية الشريعة – جامعة قطر/ الدوحة – دار الثقافة ص٢٥٩، وكتب شيخ الإسلام: السياسة الشرعية/ ص١٩ والوصية الكبرى/ ص١٧ والقواعد النورانية الفقهية/ ص١٢، وكتاب أصول الخلاف العلمي/د. محمد عبد اللطيف الفرفور/ دار المأمون- بيروت، إذ يقول في ص٤٧: والوسط أم الكتاب وأصل الشريعة وعمادها..**

[2] **آل عمران: ١٣٩.**

[3] **المنافقون: ٨.**

المنهج الرباني الأصيل المهيمن على بقية المناهج والشرائع والأديان والكتب، ولهذه الأمة العزة بين الأمم لأنها أيضا امة الرسالة الخاتمة، وهي خير امة أخرجت للناس مادامت تؤدي رسالتها -هذه- بين الأمم.. وتاريخ امة القران ليس تاريخها السياسي حسب، كما انه ليس تاريخ الدولة الأموية أو العباسية أو دولة المماليك أو الدولة العثمانية أو الصفوية.. إنما هو -دائماً- تاريخ (الأمة الإسلامية) ومعياره الدائم: مدى قيام هذه الأمة برسالتها، هل كانت مؤدية لواجبها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترسيخ قواعد الإيمان بالله ؟.. أم إنها متقاعسة عنها، ناكلة عن مقتضياتها ..[١]. لقد كانت امة القرآن في عصر الرسالة وما بعده، قائمة بواجبها مؤدية لرسالتها أحسن قيام حتى استطاع الأعداء إضعافها وإبعادها عن رسالتها شيئاً فشيئاً، فظهر الغلو وانتشرت البدع والمستحدثات والأفكار الدخيلة، وتآمر الأعداء على تمزيقها وإسقاطها والتخطيط لإفساد عقيدتها الأصيلة. فكانت المجوسية واليهودية والرومية قد انبتت ما انبتت في جسم الأمة ما يبث السم الزعاف ويولد الفتن والاضطراب، وقد تفاقم هذا الخطر بعد العصر البويهي (في القرن الرابع الهجري وما بعده).

ومن خلال استلهام مميزات وخصائص امة القرآن يأتي دور الأمة الوسط في الوقوف بوجه الغلو والتعصب، وعلاج الطائفية التي تعصف بالمسلمين اليوم، وهنا يأتي دور التصور المعتدل المستمد من تعاليم القران الكريم والسنة المطهرة والتراث الصادق لرجال ذلك العصر من أهل البيت والصحابة وأبنائهم والتابعين لهم بإحسان..

ولكي نحيط بمواصفات وخصائص عصر صدر الإسلام، لابد من فرز الإمراض الاجتماعية والآثار الجانبية التي وجدت في المجتمع الإسلامي منذ عصر الرسالة حتى العهود المتأخرة من تاريخ الإسلام،

---

[١] **كيف نكتب التاريخ الإسلامي/ ص٢٠.**

وسنحاول الإشارة إلى تلك الآفات والعلل قبل الكلام عن آلية المنهج الوسط وسبل التقريب بين المسلمين، من خلال استلهام مبادئ القرآن وإتباع عقيدة العصر المشترك التي فهمها السلف الصالح مستمدة من القرآن والسنة بعيداً عن البدع والمستحدثات. وسنحاول استعراض مدارس التقريب والجهود التي بذلت قديماً وحديثاً لعلاج الطائفية والخصومة، والتي استحكمت بين المسلمين، والتي سببت الحروب والمآسي والأحقاد، مما أورثنا تلك الخصومة حتى أصبح الابن يرث أباه ويرضع الحقد والكره بسبب آلية الغلو والتطرف التي يتلقاها منذ نعومة أظفاره في المنهج التربوي التقليدي الذي ورثه الآباء عن الأجداد، حتى أصبح سب كبار الصحابة ولعنهم عبادة في نظر البعض، وإهمال تراث أهل البيت شيئاً مألوفاً عند البعض أيضا، مما ولّد شيئاً من الحيرة والأسى لدى دعاة المنهج الوسط لدى الطرفين، ولم يكن لديهم حل سوى نبذ تلك المكفرات والمستحدثات الدخيلة على التراث والعودة إلى النبع الصافي ممثلاً بالوحي والتراث الإسلامي المشترك الذي كتب ودون في صدر الإسلام وقرونه الأولى. ولهذا سنستهل هذا البحث بنبذة تاريخية عن الأحداث المهمة خلال تلك القرون ومحاولة استقرائها وتحليلها للوقوف على أسباب الفرقة بين المسلمين وتبلور الطائفية مرضاً مزمناً في المجتمع الإسلامي، إذ انه لابد من استعراض أهم الأحداث التاريخية والسياسية في صدر الإسلام، وتسليط الضوء على الخروج السياسي والتنافس على الحكم في العصر الأموي والعباسي لتحليل الأسباب الكامنة وراء الطائفية، وعلاقة ذلك بتيارات الغلو والتآمر على الإسلام. وقد اشرنا إلى أهم الأحداث التي شهدتها دولة الخلافة الإسلامية، منذ عصر الخلافة الراشدة حتى العصر العباسي الثاني وبإيجاز لاستحضار تلك الإحداث في فهم التاريخ الإسلامي وأسباب الفرقة والاختلاف، ومن ثم تسليط

الضـوء علـى أهـم الجهـود المبذولـة لعـلاج الطائفيـة وسـبل التقريـب، وأخيرا الدعوة إلى آلية المنهج الرباني الذي يدعو إليـه القرآن الكـريم، آلية الوسطية والاعتدال والتصحيح والتقريـب للوصـول بالمسلمين إلـى طريـق الوحـدة والتعـايش البنـاء، قـال تعـالى: {وتعـاونوا علــى البـر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}..

والله الهادي إلى سواء السبيل .

غرة رجب ١٤٢٠ هـ

علاء الدين شمس الدين المدرس

نبذة تاريخية عن الأحداث السياسية في العصر المشترك

يمكن أن نقسم العصور التي مر بها المسلمون، من ناحية علاقتها بنشوء وتطور الطائفية إلى أربعة عصور، ويؤيد العديد من المؤرخين والكتاب هذا التوجه أو قريباً منه، أمثال الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية) والدكتور علي الوردي في كتابه (وعاظ السلاطين) وغيرهم، فرغم نشوء الخلاف والفتنة بعد مقتل عثمان وظهور التشيع بنوعيه العلوي والأموي وظهور الخوارج في أواخر عهد الخلافة الراشدة إلا إن هذا التحزب والتصارع كان في أغلبه سياسي الطابع ولا يتعدى مسألة الخلافة، وأحقية هذا الخليفة أو ذاك. وكذلك نشوء الغلو والتيارات الباطنية والسبئية والشعوبية، ورَدَّ فعل لذلك ظهور الدعوات العرقية والقبلية، فقد تكونت بشكلها البسيط في خلافة علي، ثم تطورت بشكل تدريجي يؤججها التنافس السياسي على الحكم سواء بين بيوت قريش العربية أو بيوت العجم ودعاة المجد الشعوبي الدفين. كما ظهرت مدرسة الاعتزال في أواخر العهد الأموي، ولكن الافتراق والتطور العقدي الهائل قد تبلور بعد نهاية العصر العباسي الأول، وظهور مصطلح أهل السنة والجماعة في عصر المتوكل العباسي في مقابل أهل البدع والرفض والاعتزال، وقد ظل أئمة أهل البيت وأبناء الصحابة في عصر التابعين وتابعيهم من ابرز من حارب البدع والغلو والخصومة بين المسلمين، وكان جميع الأئمة والمجتهدين والمحدثين وإتباعهم -حتى ذلك العهد- يمثلون تياراً واحداً بضمنهم من تشيع لأهل البيت سواء العلوي أم العباسي أم من تشيع لبني أمية. فكانت الوحدة الفكرية ووحدة العقيدة من أهم مميزات العصر المشترك، ويمكن تحديد هذه العصور الأربعة بما يأتي:-

١- العصر الإسلامي المشترك ويمتد من عصر الرسالة حتى نهاية العصر العباسي الأول.

٢ - عصر الافتراق ويمتد منذ مطلع العصر العباسي الثاني حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ.

٣- عصر الطائفية ويمتد من سقوط بغداد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

٤- عصر الصحوة الإسلامية والتقريب، ويمتد بعد سقوط الخلافة العثمانية حتى اليوم.

ولابد من تقديم نبذة تاريخية مختصرة واستعراض لأهم الأحداث السياسية في العصر الإسلامي المشترك وما بعده، ليتضح موقف أعلام أهل البيت والصحابة وأبنائهم من تلك الفتن والصراعات السياسية، وتسليط الضوء أيضا على من يقف وراءها من التيارات الخفية المعادية للإسلام والتي كانت تمثل في تلك الفترة مثلث (المجوس- اليهود- الروم). وكان من ابرز آثارها على الساحة الإسلامية في صدر الإسلام، مقتل ثلاثة من الخلفاء الراشدين غيلةً. وظهور أفكار الغلو والتطرف والشعوبية سواء باتجاه تقديس بعض رجال أهل البيت أو سب الصحابة، ونشر العقائد والأفكار المستحدثة والدخيلة على عقيدة أهل البيت والصحابة والسلف الصالح. ومن خلال استقراء تلك الأحداث التي شهدها التاريخ الإسلامي خلال القرون الثلاثة الأولى، يظهر للقارئ الكثير من الحقائق التي حاول الغلاة طمسها وإبعادها وإبدالها بالكثير من الروايات والأحداث التي دست بقصد الإساءة وتشويه أفضل حقبة عاشها المسلمون وعاشتها البشرية في تاريخها الطويل، وأنى لهم ذلك وقد تكفل الله سبحانه حفظ هذا الدين وعقيدته:

{يريـدون أن يطفـؤا نـور الله بـأفواههم والله مـتم نـوره ولـو كـره الكافرون}[1].

وقد اعتمد في تحرير أحداث هذه النبذة على المصادر التاريخية المعتمدة والأصيلة، وفي مقدمتها تاريخ الرسل والملوك/ للإمام محمد بن جرير الطبري، والبداية والنهاية/ للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، إضافة إلى مصادر متفرقة أخرى، وتم تبويب واستعراض الأحداث حسب السنة الهجرية وما جرى فيها من حوادث مهمة تدور حول الخروج على الخلفاء والمقاتل وولادة الرموز والمشاهير والحكام ووفاتهم والأحداث الأخرى الهامة، فيما يخص موضوعنا[2]، وقد حاولنا الاختصار وتسليط الضوء على الجانب السياسي بشكل خاص -كما هو مبين أدناه- ليظهر جلياً أمام القارئ: إن التاريخ فيه الكثير من المآسي والعبر، وإن الحكيم هو من يعتبر والأحمق هو الذي يجتر التاريخ ومآسيه وفتنه..:-

---

[1] **الصف: ٧ .**

[2] **في هذه النبذة، تم التركيز على الأحداث السياسية والفتن الداخلية، مع الإشارة إلى بعض الأعلام والأئمة الذين عاصروا تلك الأحداث. والجدير بالذكر إن هذه الأحداث -في حقيقتها- لا تشكل إلا مساحة صغيرة ضمن حركة التاريخ الإسلامي، فالتطور العلمي والأدبي والاجتماعي والحضاري، وتاريخ الفتوح والجهاد، كلها مظاهر متعددة وفسيحة في التاريخ الإسلامي في صدر الإسلام .. فلا بد لنا من استذكار هذه الجوانب المتعددة لاستيعاب حركة التاريخ، والوقوف على اثر حضارة القرآن على المجتمع الإسلامي والبشري عموماً.**

١- العصر الإسلامي المشترك:

سنة ٥٣ ق.هـ

- ولادة النبي ﷺ : ١٢ ربيع الأول (عام الفيل).

أ- عصر الخلافة الراشدة

سنة ١١ هـ

- وفاة النبي ﷺ: ١٢ ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية المباركة.

- حروب الردة: كان مسيلمة في اليمامة والأسود العنسي في اليمن ومن معهما قد ارتدوا في حياة الرسول ﷺ، وقد ارتد الكثير من عرب الجزيرة بعد وفاة النبي ﷺ، وثبت أهل مكة والمدينة والطائف، وهي المدن الرئيسة الثلاث التي أسس فيها النبي ﷺ قاعدته الصلبة وكان منها معظم الصحابة، وقد حارب الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ هؤلاء المرتدين، وانتصر عليهم انتصاراً حاسماً، وقتل الصحابة رؤوس الردة وأبرزهم مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي، بعد حروب عنيفة وتضحيات كبيرة استشهد فيها الكثير من الصحابة ولاسيما في معركة اليمامة التي حدثت سنة ١٢هـ بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة وزيد بن الخطاب، وقد قتل في هذه المعركة مسيلمة وأتباعه وبالقضاء عليه تم القضاء على اكبر معاقل الردة.

سنة ١٣ هـ

- وفاة الخليفة أبي بكر الصديق: ٢١ جمادى الآخرة.

- وقعة اليرموك: كانت بين المسلمين والروم، وقعت أواخر خلافة أبي بكر الصديق سنة ١٣ هـ، وقد جعل الخليفة أبو بكر ﷺ خالد بن الوليد قائداً على جيش الشام بدل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ لما رأى من

قدرته العسكرية الفذة في حرب المرتدين، فجاء خالد من العراق إلى الشام عابراً الصحراء، وعند وصوله تسلم أمرة الجيش والتحم مع الروم واستطاع أن يهزمهم في اليرموك جنوب الأردن، وكان تعداد جيش المسلمين ٤٦ ألف مقاتل، وجيش الروم ٢٠٠ ألف مقاتل، وقد شارك في هذه المعركة حوالي ألف من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم مئة من أهل بدر وعلى رأسهم أبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وهاشم بن عتبه بن أبي وقاص وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن مسعود ويزيد بن أبي سفيان وأبوه (أبو سفيان) وعكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو وضرار بن الأزور وخالد بن سعيد بن العاص ومعاذ بن جبل والقعقاع بن عمرو التميمي وأبو هريرة وعبادة بن الصامت وعمرو بن العاص والحارث بن هشام وغيرهم. أما جيش الروم فكان يقوده شقيق هرقل قائد الروم الذي كان في حمص يتابع أحداث المعركة، وقد قتل شقيق هرقل هذا في المعركة، ومن قادة الروم أيضاً الفيقار، ومقدم عسكر الروم جرجة الذي دعاه خالد للإسلام فاسلم بعدما رأى النصر الإلهي رغم عدم تكافؤ الجيشين ورأى إيمان وبطولة الصحابة والجيش الإسلامي فآمن[1]، وبعد المعركة جاء خبر نعي الخليفة أبي بكر وتأمير عمر.

- وقعة أجنادين: حدثت بعد معركة اليرموك وفي خلافة عمر بن الخطاب ﷺ سنة ١٣ هـ، وقد أمر الخليفة عمر بإعادة تأمير أبي عبيدة على الجيش، بدلاً من خالد. وكان الخليفة يريد أن يبين للمسلمين أن

[1] يروي الطبري، إن خالد بن الوليد دعا جرجة إلى الإسلام فاستجاب له، وقال علمني الإسلام، فصلى مع خالد ركعتين، ومال مع خالد على الروم ثم أصيب جرجة وقتل شهيداً في المعركة ولم يصلِ صلاة سجد فيها إلا الركعتين التي اسلم عليهما. انظر تاريخ الطبري/ جـ٤ ص٤٠٠.

النصر من عند الله وليس من أحد غيره، وسلم خالد القيادة من جديد لأميره أبي عبيدة دون أي حرج واخذ مكانه كأحد جنود المسلمين.

وكان أبو عبيدة قد كلف عمرو بن العاص بقيادة الجيش يساعده شرحبيل بن حسنة وعبد الله بن عمرو وجنادة بن تميم وعكرمة بن أبي جهل، وتم في هذه المعركة فتح أجنادين وبعدها استطاع المسلمون طرد الروم نهائياً من بلاد الشام وفتح بيت المقدس، إذ جاء الخليفة عمر بنفسه لاستلام مفاتيح المدينة فاتحاً لها، فأمن لأهلها حياتهم ودينهم وأموالهم، ففرحت بلاد الشام ومدينة القدس بزيارة هذا الفاتح العظيم واستقبل أهل الشام الدين الجديد ونور الإسلام بغبطة وسرور، وقد قتل في هذه المعركة عدد من المسلمين منهم عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وطليب بن عمير (أمه أروى بنت عبد المطلب)[1].

سنة ١٤ هـ

- وقعة القادسية: كانت بين المسلمين والفرس، واستمرت هذه المعركة أربعة أيام، سميت يوم أرماث، ويوم أغواث ويوم عماس وأخيرا يوم القادسية، وقد وقعت هذه المعركة العظيمة قرب المدائن (حاضرة كسرى وعاصمة الدولة الفارسية) على ضفاف نهر دجلة.

وكان يقود الجيش الإسلامي القائد المعروف الصحابي سعد بن أبي وقاص، وأبرز المشاركين من الصحابة وقواد الجيش سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعاصم والقعقاع ابنا عمرو التميمي وخالد بن عرفطة والأشعث بن قيس الكندي وعمرو بن معد يكرب الكندي وقيس بن هبيرة الأسدي وبسر بن أبي رهم الجهني وجرير بن عبد الله

---

[1] **انظر تاريخ الطبري/ جـ٤ ص٤٠١، غير انه روى إن عكرمة وابنه عمرو قد استشهدا في اليرموك.**

البجلي والمغيرة بن شعبة، ومن الشعراء الحطيئة والشماخ وأبو محجن الثقفي. وكان تعداد الجيش المسلم اثني عشر ألفا. بينما كان تعداد الجيش الفارسي مئة وعشرين ألف مقاتل معهم ثلاثون فيلاً. وكان يقود الفرس رستم والجالينوس وذو الحاجب والهرمزان ومهران والبيرزان وزاذ بن بهيش وكناري وهم قواد كسرى المسمى يزدجرد بن شهريار الساساني. بدأت المعركة يوم الاثنين من المحرم سنة ١٤ هـ في خلافة عمر بن الخطاب، وقد انتصر فيها المسلمون وكانت فتحاً مبيناً لهم، قضت على دولة الفرس المجوسية إلى الأبد وساح المسلمون بعدها إلى المشرق حتى وصلوا الهند وأقاصي شرق آسيا [١].

ـ بناء الكوفة: بناها سعد بن أبي وقاص في عهد عمر بن الخطاب ﷺ بعد الانتهاء من معركة القادسية سنة ١٤هـ، إذ نزل سعد بالناس في موضع الكوفة اليوم وخط مسجدها وخط فيها الخطط للناس وسكنتها قبائل العرب التي شاركت في معركة القادسية وأبرزها كندة وتميم وأسد وبجيله والنخع. كما سكنها الموالي الذين اسروا وسبايا القادسية وغيرها من المعارك، وكان أول أمير لها سعد بن أبي وقاص[٢] .

ـ بناء البصرة: أمر ببنائها عمر بن الخطاب ﷺ سنة ١٤ هـ، ووجه إليها عتبة بن غزوان المازني في ثلاثمائة رجل، واستعمل عمر على البصرة عتبة بن غزوان ثم المغيرة بن شعبة الثقفي[٣].

سنة ١٨ هـ

---

١ **انظر تاريخ الطبري/ جـ ٣ ص٤٨٠-٥٧٩، وتاريخ ابن كثير/ جـ٦ ص٣٢٠.**

٢ **تاريخ الطبري/ جـ٣ ص٥٨١ .**

٣ **تاريخ الطبري/ جـ٣ ص٥٩٠ .**

- طاعون عمواس: حدث بعد فتح الشام، إذ انتشر الطاعون في مدينة عمواس، وأبو عبيدة يومئذ معسكر فيها، وذلك سنة ١٨ هـ في خلافة عمر، وفتك الطاعون بصفوف المسلمين حتى بلغ من مات منهم ثلاثين ألف مسلم من الصحابة وأبنائهم من الجند والمقاتلين وغيرهم. وكان ابرز من مات في طاعون عمواس أبو عبيدة والفضل بن العباس ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وسهيل بن عمرو وابنه أبو جندل والحارث بن هشام (اخو أبو جهل بن هشام) وعامر بن أبي وقاص اخو سعد وغيرهم كثير[١]

سنة ٢٠ هـ

- فتح مصر: في زمن عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن استكمل المسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص وكان معه الزبير بن العوام وفي صحبته بشر بن أرطأة وخارجة بن حذافة وعمير بن وهب الجمحي.

فأمهلهم عمرو أربعة أيام، وكان (الأرطبون) يحرض المقوقس على القتال. وبعد أربعة أيام حدث قتال بين المسلمين وبين الروم فقتل الأرطبون وحاصر عمرو بن العاص عين شمس فبعث إليه أهلها يطلبون الصلح على أن يعطوا الجزية. ثم أرسل عمرو جيشاً إلى الإسكندرية وكان المقوقس صاحب الإسكندرية قبل ذلك يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم، فلما حاصره عمرو بن العاص صالحه على أداء الجزية، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب ﷺ خليفة المسلمين.

---

١ **تاريخ الطبري/ جـ٤ ص٦٢ .**

- بناء الفسطاط: سنة ٢٠ هـ، في هذه السنة بنيت الفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص وهي خيمته التي نصبها وبنا الناس حوله، ثم رفع الفسطاط وبنا موضعه جامعاً وهو المنسوب إليه(١).

سنة ٢٤ هـ

- مقتل الخليفة عمر: طعن يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة، ومات ودفن صباح هلال المحرّم سنة ٢٤ هـ، قتله أبو لؤلؤة المجوسي واسمه فيروز من سبي نهاوند. وقد قتل معه بضعة عشر رجلاً كانوا يصلون في المسجد النبوي، ثم اتكأ أبو لؤلؤة على خنجره فقتل نفسه، ويروى أن مقتل الخليفة عمر كان بناءً على خطة مجوسية رومية يهودية اشترك فيها الهرمزان وجفينة وكان نصرانياً من الحيرة، وكانت هذه الجريمة الأثيمة هي التي مهدت -فيما بعد- إلى الفتن والاضطراب السياسي الذي توّج باغتيال الغلاة وأعداء الإسلام للخليفة عثمان ﷺ يوم الدار، وافتتاح تاريخ الصراع وتصدع وحدة المسلمين والاجتماع على خليفة واحد(٢).

سنة ٢٧ هـ

- فتح أفريقيا: سنة ٢٧ هـ في زمن عثمان بن عفان ﷺ بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح في جيش عدده عشرة آلاف (٣). تم فتح أفريقيا (وهي اليوم شمال أفريقيا).

- وقعة جرجير والبربر مع المسلمين: في هذه الوقعة كان على المسلمين عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان معه في الجيش عبد الله

---

١ **تاريخ الطبري/ جـ٤ ص١٠٥ وتاريخ ابن كثير/ جـ ٧ ص ١٠٢ .**

٢ **تاريخ الطبري/ جـ٤ ص١٩٤.**

٣ **تاريخ الطبري/ جـ٤ ص٢٥٣ وتاريخ ابن كثير/ جـ ٧ ص ١٥٧.**

بن عمر وعبد الله بن الزبير، وكـان البربـر يقودهم ملكهم جرجير فـي جيش عدده مئة وعشرون وقيل مائتا ألف، وفيها قتل عبد الله بن الزبيـر جرجيـر وانـهـزم جـيش البربـر وغـنم المسـلمون أمـوالا كثيـرة وسـبياً عظيماً، وكان ذلك في زمن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ[1].

سنة ٢٨ هـ

- فـتح قبـرص: فتحـت قبـرص سـنة ٢٨ هــ، وهـي أول غـزوة للمسلمين في البحر، حدثت فـي عهد الخليفـة عثمـان وبـأمره، إذ أرسـل جيشاً بحرياً بقيادة معاوية بن أبي سفيان وكان معه من الصـحابة عبـادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان وأبو الدرداء، فانتصروا فيها وفتحوا قبرص. وفي هذه الغزوة صالح معاويـة أهل قبـرص علـى أن يـدفعوا إليـه سبعة آلاف دينـار فـي كل سنـة. ولـهذه الحادثـة اثـر ونبـوءة للنبي ﷺ في رؤيا رآها ﷺ وهو نـائم في بيـت أم حـرام حيـث بشـرها انـه رأى جيشاً مسلماً يغزو (إذ استيقظ النبـي ﷺ وهـو يضـحك، فسـألته عمـا يضحكه فقال : نـاس من أمتي عرضوا علي يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة فقالت يا رسـول الله ادعُ الله أن يجعلنـي مـنهم، فقـال أنت منهم) [2].

سنة ٣١ هـ

- وقعـة ذات الصـواري: حـدثت فـي عهـد عثمـان ﷺ سـنة ٣١ هــ، بقيادة عبد الله بن أبـي سـرح بعد فتحـه بـلاد أفريقيـا والمغـرب. اجتمـع الـروم لقتال المسلمين على قسطنطين بن هرقل حيث خرجوا بخمسـمائة

---

[1] تاريخ ابن كثير/ جـ ٧ ص ١٥٨.

[2] رواه مسلم في صحيحه وانظر تاريخ الطبري/ جــ٤ ص٢٥٨ وابن كثير/ جـ٨ ص١٥٩.

مركب في جمع لم يُرَ قبله منذ كان الإسلام، وساروا لملاقاة عبد الله بن أبي سرح في المغرب وكان في جيشه من أبناء الصحابة محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن أبي حذيفة، وتصدت لهم مراكب المسلمين وحدثت معركة بحرية عنيفة انتصر فيها المسلمون وهرب قسطنطين وجيشه وقد قتل منهم خلق كثير[1].

- جمع وتدوين القرآن: كان أول جمع وتدوين للقرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق بعد أن استحر القتل بأهل القرآن من الصحابة في حروب الردة وفي معركة اليمامة خاصة، فأشار عمر بن الخطاب ﷺ على الخليفة أبي بكر ﷺ بضرورة جمع القرآن وجعله في مصحف واحد ففتح الله قلب أبي بكر لذلك الاقتراح بعد إلحاح عمر عليه، فكلف مجموعة من الصحابة بذلك منهم زيد بن ثابت وأبي بن كعب وآخرين وتم العمل برعاية الله سبحانه وتسخيره كبار الصحابة لانجازه، وقد حفظ هذا المصحف عند حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي ﷺ وفي زمن عثمان ﷺ وبعد أن دخل العديد من الشعوب في الإسلام من الفرس والترك وغيرهم وكثرت العجمة واللحن في قراءة القرآن الكريم، أراد عثمان ﷺ بعد أن استشار الصحابة وأبرزهم علي ﷺ على حمل المسلمين على مصحف واحد وقراءة واحدة لمنع الاختلاف. فكلف نفس الأشخاص تقريباً الذين قاموا بعملية الجمع والتدوين في المرة الأولى بالمهمة، وأتمت اللجنة عملها بدقة، وجمع القرآن الكريم بطريقة متواترة حتى كانت الآية لا تثبت في المصحف إلا بشهادة شاهدين سمعاها من رسول الله ﷺ سواء في الجمع الأول أو الثاني[2]،

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٤ ص٢٨٨.**

[2] **لقد توفي أبي بن كعب في عهد عمر، وكانت اللجنة في عهد عثمان مكونة من: زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد**

وتمت مقارنة هذه النسخة بالنسخة المودعة عند حفصة، وبعد إجماع واقتناع الصحابة على مصحف عثمان، أمر بإحراق جميع المصاحف التي بأيدي المسلمين سواء الصحابة أم غيرهم، لوجود احتمال إدخال نصوص وتفاسير وإضافات شخصية على المصاحف الفردية، إذ كان لكثير من الصحابة مصاحف خاصة بهم مدون بحاشيتها تفسير بعض الآيات وأسباب النزول وغيرها، وهكذا تم هذا العمل الجبار في عهد عثمان وأرسلت المصاحف التي دونت إلى الأمصار الإسلامية، ولا يزال مصحف عثمان الذي جمعه الصحابة هو المصحف الوحيد الذي اعتمده المسلمون منذ أربعة عشر قرناً، وقد قيض الله لكتابه أفضل الخلق -بعد مصطفاه- أن يحفظوه في الصدور والكتب، ورصدوا له ما يستحق من الرعاية والخدمة والاهتمام، بعدما جعلوه دستور الحياة وصبغوا حياتهم بمنهجه، فكانوا قرآناً يمشي على الأرض، وقد تعهد الله سبحانه بحفظه إلى يوم الدين فقال تعالى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}.

سنة ٣٥ هـ

- مقتل عثمان: قتل يوم الدار، يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ، أثر الفتنة المشهورة التي أثارها الغوغاء وأدت إلى محاصرة بيته ومقتله، حين اقبل المصريون إلى المدينة فحاصروا عثمان ﷺ في داره، وقدم حكيم بن جبلة من البصرة في ركب وقدم الأشتر في أهل الكوفة، فتوافقوا بالمدينة فاعتزل الأشتر واعتزل حُكيم بن جبلة، وكان ابن عُديس وأصحابه هم الذين يحاصرون عثمان، فكانوا خمسمائة، فأقاموا على حصاره تسعة وأربعين يوماً حتى قتل. وكان على باب دار

الرحمن بن الحارث بن هشام وآخرين من حفاظ الصحابة وبإشراف عثمان وعلي.

عثمـان بـن عفـان ﷺ يمنـع دخـول المصـريين والكـوفيين والبصـريين الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة وسعيد بن العـاص ومروان بن الحكم وبعض أبناء الصحابة. ولكن عثمان ﷺ صـرفهم فـي آخـر أيامـه حقنـاً لـدماء المسلمين، ولقـي الله شـهيداً صـابراً صـائماً وهـو يقرأ القرآن، وكـان مقتلـه بدايـة الفرقـة والتـاريخ السياسـي المشؤوم فـي حياة المسلمين[1].

-خلافـة علـي: بويـع لعلـي بالخلافـة فـي المدينـة المنـورة فـي سـنة ٣٥هـ اثر مقتل عثمان. ويروي الطبري وابن كثير في تاريخهما عن سيف بـن عمـر قـال: بقيـت المدينـة ٥ أيـام بعـد مقتـل عثمـان وأميرهـا الغـافقي بـن حـرب، يلتمسـون مـن يجيـبهم إلـى القيـام بـالأمر. والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونـه، والبصـريون يطلبـون طلحـة فـلا يجيبهم، فقالوا فيما بينهم، لا نولي أحدا من هؤلاء الثلاثـة، فمضـوا إلـى سعد بـن أبي وقاص فقالوا : انك من أهل الشورى فلم يقبل منهم، ثم راحـوا إلـى ابـن عمـر فـأبى علـيهم، فحـاروا فـي أمـرهم، وقـالوا: إن رجعنـا إلـى أنصارنـا من غير أمرة لم نسلم، فرجعوا إلـى علـي فـالحوا عليـه فاخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس، وذلك بعد مراجعة الناس لهم وقولهم: لا يصلح لها إلا علي، فلما كان يوم الجمعـة صـعد علـي المنبـر، وبايعـه من لم يبايعه بالأمس، ومنهم طلحة والزبير. وقال الواقدي: بـايع النـاس عليـاً بالمدينـة، وتـربص سـبعة نفـر لـم يبـايعوا مـنهم سـعد وابـن عمـر وصـهيب وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد، وبايع أكثـر الأنصـار أيضـا[2]. ويـروي الطبـري عن محمـد بـن الحنفيـة قـال : كنـت مـع أبـي حين قتـل عثمـان ﷺ، فقـام فـدخل منزلـه، فاتـاه أصـحاب رسـول الله ﷺ فقـالوا: إن

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٤ ص٣٦٥-٣٩٦.**

[2] **تاريخ ابن كثير/ جـ٧ ص٢٣٨.**

هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة ولا اقرب من رسول الله ﷺ، فقال: لا تفعلوا، فاني أكون وزيراً خير من أن أكون أمير. فقالوا: لا والله، ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، فذهبوا إلى المسجد، فبايعه المهاجرون والأنصار، ثم بايعه الناس[1].

سنة ٣٦ هـ

ـ وقعة الجمل : وقعت سنة ٣٦ هـ، في النصف من جمادى الآخرة يوم الخميس، وسبب وقعة الجمل إن السيدة عائشة كانت في مكة للحج حين قتل عثمان ﷺ فجزعت لمقتله أشد الجزع ورأت في ذلك تطاولاً على سلطان الله في الأرض وعلى منصب الخلافة ورأت انه لابد من قصاص القتلة، وكان القتلة من الكثرة وهم بضعة آلاف ممن حاصروا المدينة قد انضموا إلى جيش علي ومبايعيه واكرهوا وارجفوا أهل المدينة على تأييد مقتل عثمان ومبايعة علي، فهرب طلحة والزبير إلى مكة بعد أن بايعا مكرهين من قبل هؤلاء الغلاة، ولم يكن بمقدور الخليفة الجديد الاقتصاص من القتلة لان ذلك سيولد فتنة اكبر، واتفقا مع السيدة عائشة على المطالبة بدم عثمان، وخرجوا على الخليفة علي ثم ذهبوا إلى البصرة للابتعاد عن عاصمة الدولة في المدينة التي كانت تموج بالفتنة، فقرر الإمام علي ﷺ الانتقال إلى الكوفة للتفاوض وحل المشكلة، ولا سيما إن أهل الشام قد خرجوا أيضا بقيادة معاوية على الخليفة وطالبوا بدم عثمان. وهكذا اشتعلت الفتنة وجاء الخليفة إلى البصرة لمحاصرة أسباب الفتنة وإقناع طلحة والزبير وعائشة بضرورة الاتفاق معه وحل الأزمة سلمياً وهم رفاقه واقرب أصحابه إليه، وهم من القلة الباقية من كبار الصحابة، وفعلاً استطاع الخليفة

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٤ ص٤٢٧ .**

علي أن يقنع طلحة والزبير والسيدة عائشة بالانسحاب من هذه الفتنة وتسوية الخلاف، إلا أن قتلة عثمان ﷺ أحسوا بالخطر من اتفاق علي مع طلحة والزبير، فقاموا بهجوم مباغت في الليل على جيش عائشة، مما أدى إلى ردود فعل سيئة وفقدان الثقة وقيام أصحاب عائشة بهجوم مقابل على أصحاب علي، فنشبت الحرب، وكان طلحة والزبير قد قتلا غيلة عند انسحابهما من المعركة، مما زاد في توتر وتفاقم الموقف، وقد حزن الإمام علي ﷺ على مقتلهما وبشر قاتليهما بالنار. وقد قتل عدد كبير من المسلمين في تلك المعركة، وكان نصفهم من أصحاب علي ونصفهم الآخر من أصحاب عائشة، وكان أكثر القتلى من البصريين والكوفيين والمصريين، ثم من قبائل العرب من الأزد واليمن وقيس وتميم وضبة وبكر بن وائل وعدي وغيرهم. وشارك مع الإمام علي ابنه الحسن وعمار بن ياسر وعدي بن حاتم الطائي والقعقاع بن عمرو التميمي[1].

سنة ٣٧ هـ

- خروج معاوية ووقعة صفين : وقعت هذه المعركة في عهد الخليفة علي بن أبي طالب أيضا، وفي سنة ٣٧ هـ، بين جيش الخليفة وجيش الشام الذي خرج على الخليفة للمطالبة بدم عثمان بقيادة معاوية بن أبي سفيان أمير الشام في وقتها. كان على ميمنة جيش علي ﷺ عبد الله بن بُديل، وعلى ميسرته عبد الله بن عباس، وقراء أهل العراق مع ثلاثة نفر: مع عمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وعبد الله بن بُديل، والناس على راياتهم ومراكزهم، ومع علي ﷺ أهل المدينة من الأنصار وكنانة وخزاعة وغيرهم ومعه من أهل الكوفة والبصرة، وكان على خيل أهل الكوفة مالك بن الأشتر بن الحارث

[1] تاريخ الطبري/ جـ ٤ ص٤٤٩-٥٣٩ .

النخعي وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حُنيف، وكان عدي بن حاتم على جماعة طيء، وكان مع علي رضي الله عنه أبناؤه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، ومعه الأشعث بن قيس الكندي وغيرهم. أما جيش الشام الذي يقوده معاوية، فكان معهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وعبد الله بن عامر وعبيد الله بن عمر وقد قتل في صفين، وكانت تحته أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمي، ثم تزوجها بعده الحسن بن علي. وقد استمر القتال وكاد جيش الخليفة يهزم جيش الشام، حتى أشار عمرو بن العاص على معاوية برفع المصاحف على الرماح لوقف القتال وأدى قبول التحكيم فيما بعد إلى اختلاف أصحاب علي وقوة موقف معاوية وإعادة تنظيم صفوف جيشه. وقد اختار أهل العراق أبا موسى الأشعري (ولم يكن مشاركاً في صفين)، واختار أهل الشام عمرو بن العاص. وقتل في وقعة صفين عدد كبير من أهل الشام وأهل العراق. وممن قتل من أصحاب علي عمار بن ياسر، وهي الذي قال عنه النبي ﷺ في الحديث المعروف: (تقتله الفئة الباغية)، فدل على أن أصحاب معاوية هم الباغون والخارجون على الخليفة الشرعي[1].

- وقعة النهروان: سنة ٣٧ هـ، اجتمع الخوارج في النهروان بعد إنكارهم قصة التحكيم بين علي ومعاوية وصارت لهم شوكة ومنعة وسار إليهم علي بن أبي طالب في جيش وتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فلم ينفع وكذلك أبو أيوب الأنصاري أنبّهم ووبخهم فلم ينفع وأرسل لهم الخليفة ابن عمه عبد الله بن عباس يعظهم ويجادلهم في أمر الخروج على الخليفة. وتقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فوعظهم وخوفهم فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم وتهيئوا للقتال.

---

[1] تاريخ الطبري/ جـ٥ ص١١-٦٠ وابن كثير/ جـ٧ ص٢٨٠، والحديث رواه احمد والطبراني وهو حديث حسن.

وأمر الإمام علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية الأمان للخوارج ويقول لهم من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا في أربعة آلاف فلم يبق منهم إلا ألف أو اقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فوقع القتال بينهم في النهروان وقتل أمراؤهم ومعظم الجيش ثم أمر بالجرحى فإذا هم أربعمائة، ومن جيش علي لم يقتل إلا سبعة نفر، وسلم الجرحى إلى قبائلهم ليداووهم ولم يخمّس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان ولكن رده إلى أهله[١].

سنة ٣٨ هـ

- مقتل محمد بن أبي بكرا لصديق: في سنة ٣٦ هـ ولى علي بن أبي طالب محمد بن أبي بكر على مصر بعد قيس بن سعد بن عباده، وكان عمره ٢٦ سنة فبلغاً علي أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبي بكر فكتب إلى الأشتر النخعي وكان نائبه على الموصل ونصيبين فلما سار الأشتر إليها وانتهى إلى القلزم[٢] استقبله الخانسار وهو مقدم على الخراج فسقاه شراباً من عسل فمات منه. فكتب علي إلى محمد باستقراره واستمراره على ديار مصر. وجهز معاوية عمرو بن العاص في عدة آلاف، وبعث عمرو بن العاص إلى محمد بن أبي بكر ينصحه بالخروج من مصر، فأرسل محمد بن أبي بكر كتابه وكتاب معاوية إلى علي وطلب منه المدد، وقام في الناس فحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام، وتقدم عمرو بن العاص في جيش قريب من ستة عشر ألف، وركب محمد بن أبي بكر في ألفي فارس، وتقاتلا وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر وأوى محمد بن أبي بكر إلى

---

١ تاريخ ابن كثير/ جـ ٧ ص ٢٩٩ .

٢ بحر القلزم هو البحر الأحمر .

خربة فلحقه معاوية بن خديج وأسره وانطلق أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص وكان قدم معه إلى مصر فقال أيقتل أخي صبراً، ولكن معاوية بن خديج قتله قبل أن يصل إليه أمر من قائده. إن مأساة مقتل محمد بن أبي بكر الصديق بهذه الصورة تدل على التبدل والتغير الذي أصاب المسلمين بعد الفتنة، وكان مقتله سنة ٣٨ هـ، وله من العمر دون الثلاثين[١].

سنة ٣٩ هـ

- زياد بن أبيه : في سنة ٣٩ هـ، ولى علي بن أبي طالب زياد بن أبيه على أرض فارس وكرمان، وكان زياد من ولاة عثمان أيضا[٢].

سنة ٤٠ هـ

- مقتل علي: بعد أحداث صفين النهروان، وتفاقم دور الخوارج وتطرفهم في الموقف السياسي والشرعي، بحيث حكموا بكفر علي ومعاوية وعمرو بن العاص، قرر رجال من الخوارج أن يقتلوا علياً ومعاوية وعمراً، فنجا معاوية وعمرو وقتل علي غدراً وظلماً ليكون ثالث خليفة من الخلفاء الراشدين يقتل غيلة وبأيدٍ آثمة حاقدة. وكان عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم المرادي هو الذي قتله سنة ٤٠ هـ في السابع عشر من رمضان، ضربه بسيف مسموم وهو يصلي الفجر في مسجد الكوفة وصلى عليه الحسن[٣].

ويروي الطبري، إن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا على قتل علي ومعاوية وعمرو، فقتل عبد الرحمن علياً، وقد قتله

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ٥ ص٩٤ وابن كثير/ جـ ٧ ص ٣٢٦ .

[٢] تاريخ ابن كثير/ جـ ٧ ص ٣٣١ .

[٣] تاريخ ابن كثير/ جـ ٧-٨.

الحسن بعد وفاة أبيه، وأما صاحب معاوية (وهو البرك) فقد جرح معاوية فأمر به فقتل، وأما صاحب عمرو فقد قتل خارجة بن أبي حبيبة وكان على شرطة عمرو بن العاص، وهو يعتقده عمراً، ثم أمر به فضربت عنقه[١].

- خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب: بويع الحسن بن علي سنة ٤٠ هـ بالخلافة، وأول من بايعه قيس بن سعد، وقد ألح عليه في النفر لقتال أهل الشام فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً، وأمر قيس بن سعد على المقدمة في اثني عشر ألفاً، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام ليقاتل معاوية وأهل الشام، فلما اجتاز المدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه. فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها، إذ صرخ بالناس صارخ: إلا أن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل، فثار الناس فانتبهوا أمتعة بعضهم بعضاً وجرح الحسن، ويروى أنهم نهبوا بساطه من تحته، ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه وعدم اجتماعهم عليه مقتهم، وكتب عند ذلك إلى معاوية، وكان قد ركب أهل الشام، يراوضه على الصلح بينهما، وقد نزل الحسن عن الإمارة لمعاوية وحقن دماء المسلمين فاصطلحوا على ذلك، واجتمعت كلمة المسلمين على معاوية، فسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على خليفة واحد ودخل معاوية الكوفة في ربيع الأول سنة ٤١ هـ[٢]، وفي هذا تصديق لنبوءة الرسول ﷺ حين قال عن الحسن: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح على يده بين طائفتين من المسلمين).

- الحسن ومعاوية بعد الصلح: قدم الحسن بن علي على معاوية فقال له لأجيزنك بجائزة لم يجزها احد كان قبلي، فأعطاه أربعمائة ألف ألف، ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتي ألف

---

١ **تاريخ الطبري/ جـ٥ ص١٤٣-١٥٢.**

٢ **تاريخ الطبري/ جـ٥ ص١٥٨-١٦٠ .**

وقال لهما: ما أجاز بهما احد قبلي، فقال له الحسين ولم تعط أحدا أفضل منا. وكان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ستمائة ألف[1].

ب- العصر الأموي في الشام

سنة ٤١ هـ

- خروج فروة بن نوفل الاشجعي الخارجي على معاوية، وكان قد اعتزل هو وجماعته في مدينة شهرزور، فلما قتل علي وتصالح الحسن مع معاوية، خرجوا عليه. وسار لقتاله وسير إليهم جمعاً من أهل الشام، فقاتلوهم، فانهزم أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: والله لا أمان لكم عندي حتى تكفوهم. فخرج أهل الكوفة لقتالهم. فقاتلوهم حتى هزموهم[2]، وكانت هذه أول حركة مسلحة، واجهت معاوية بعد توليه الخلافة. وقام الخوارج بحركة أخرى سنة ٤٣ هـ بقيادة المستورد بن علقمة التيمي، واستطاع جيش معاوية أن يهزمهم ويقتل قائدهم المستورد[3].

سنة ٤٩ هـ

- وفاة الحسن: توفي الحسن سنة ٤٩ هـ، عن عمر ٥٨ سنة، وقيل توفي بالسم، ويروى إن الذي سمه امرأته، جعدة بنت الأشعث بن قيس، وهذه الرواية ساقطة وغير صحيحة، لأن آل الأشعث من أنصار أهل البيت، ولان جعدة تزوجت بعد الحسن بابن عمه العباس بن عبد الله بن عباس ثم بعده تزوجت من يعقوب بن طلحة، فكيف أمن هؤلاء

---

[1] تاريخ ابن كثير/ جـ ٨ ص ١٤٠ .

[2] تاريخ الطبري/ جـ ٥ ص ١٦٦ ، وتاريخ ابن الأثير/ جـ ٣ ص ٢٠٨ .

[3] تاريخ الطبري/ جـ ٥ ص ١٧٢ ، وابن الأثير/ جـ ٣ ص ١١٦ .

علـى حيـاتهم مـن امـرأة سمّت زوجهـا وهـو ابـن بنـت رسـول الله ﷺ. ويبدو واضحاً إن مثل هذه الروايات قد دسّـها أهل الغلـو والنفـاق للكيـد بالإسلام وأهلـه وتلويـث التـراث الإسـلامي والأخـوة والأواصـر الطيبـة بين أهل البيت والصحابة، بسبب الصـراع السياسـي والفتنـة التـي كانـت قائمـة، ولإغـراض خاصـة بعيـداً عـن المبـادئ والقـيم التـي جـاء بهـا الإسلام.

سنة ٥٠ هـ

- بناء القيروان: افتتح عقبة بن نـافع الفهري بـأمر معاويـة بـلاد فـي أفريقيـا واختـط القيـروان، بعـد أن اسـتتب الأمـر للمسـلمين فـي أفريقيـا وبلاد المغرب .

سنة ٥١ هـ

- الحسـين ويزيـد: وقـد كـان الحسـين فـي الجـيش الـذي غـزا القسطنطينية مع يزيد ابن معاوية سنة ٥١ هـ[١].

- معاويـة وعبـد الله بـن جعفـر الطيـار: قـال معاويـة ليزيـد، إن لـي خليلاً من أهل الكوفة فأكرمه، قال : ومن هو، قال : عبد الله بـن جعفـر بن أبي طالب، فلمـا وفد بعد موت معاويـة علـى يزيد اضـعف جائزتـه التي كان معاوية يعطيه إياها، وكانت جائزته على معاوية ستمائة ألف، فأعطاه يزيد ألف ألف[٢].

سنة ٦٠ هـ

---

١ تاريخ ابن كثير/ جـ ٨ ص ١٥٣ .
٢ تاريخ ابن كثير/ جـ ٨ ص ٢٣٣ .

- وفاة معاوية: توفي بدمشق في رجب سنة ٦٠ هـ، وقد أوصى أن يكفن في ثوب رسول الله ﷺ الذي كساه إياه وكان مدخراً عنده لهذا اليوم، وقيل إن عمره قد جاوز الثمانين. وكان معاوية يصل الحسن والحسين ويكرمهما مع بقية أهل البيت، وكان يكرم محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر، وقد جعل للحسن والحسين ألف ألف دينار كل سنة[١].

- وفاة زياد بن أبيه: في سنة ٤٦ هـ استلحق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه، ثم أرسله بعدها إلى العراق، ففي سنة ٤٥ ولاه معاوية العراق مع فارس، وكان زياد أول من شد أمر السلطان وأكد الملك وألزم الناس الطاعة وتقدم في العقوبة، وجرد السيف وعاقب بالشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً حتى أمن الناس بعضهم بعضاً. وقد ورث عبيد الله بن زياد أمرة العراق بعد أبيه. وكانت وفاة زياد سنة ٦٠هـ[٢] .

- خروج الحسين بن علي: ولد الحسين سنة ٦ هـ. وفي عهد يزيد رفض الحسين وابن الزبير أن يبايعا يزيداً وأرادا خلعه، وخرجا من المدينة إلى مكة، ثم أرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة بعدما راسله أهل الكوفة وطلبوا منه الخروج وابلغوه رغبتهم في بيعته،

---

[١] ويظهر من خلال هذه الجوائز والأعطيات إن الخلفاء الأمويين ، الذين فتحت الدنيا لهم كانوا يشعرون بان هذا الخير العميم لم يكن إلا ببركة نور الإسلام وحملته من أهل البيت والصحابة وبركة نبي الهدى ﷺ الذي جاهد في الله حق جهاده فنصره، فأولى بهم أن يذكروا ذلك الفضل والحق في هذه الجوائز الرمزية لآل علي وآل جعفر وغيرهم من الصحابة الذين ضحوا بالنفس والمال من اجل هذا الدين، وفي قبول آل البيت لهذه الجوائز عبرة ودلالة ابلغ نتركها أمام القارئ ليتأمل العلاقات الودية في صدر الإسلام.

[٢] تاريخ الطبري/ جـ٥ ص٣٢٤ .

وخلع يزيد. فذهب مسلم بن عقيل إلى الكوفة وسار الحسين بعده في طريقه إليها أيضا. ولما حوصر مسلم في الكوفة جاء عمرو بن حريث المخزومي صاحب شرطة عبيد الله بن زياد ومعه محمد بن الأشعث وابنه عبد الرحمن في سبعين أو ثمانين فارس، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هو فيها، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده، وسلبوا عنه سيفه، فلم يبق يملك من نفسه شيئاً فبكى، والتفت إلى محمد بن الأشعث فقال: إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل، فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع، فلقي الرسول الحسين قبل وصوله الكوفة بأربعة أيام فاخبره الخبر وابلغه الرسالة، وهم الحسين بالرجوع بعد أن علم بخذلان أهل الكوفة لابن عمه مسلم، ولكن آل عقيل رفضوا الرجوع وقالوا بل نقتل معه، فعدل الحسين عن الرجوع[1].

ولما أراد الحسين الخروج إلى الكوفة، بعد أن وصلته كتب أهل الكوفة وبيعتهم، لحقه ابن عمر على مسيرة ثلاث ليال من مكة وقال له، لا تأتيهم فأبى، فقال ابن عمر: إني محدثك حديثاً، إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وانك بضعة من رسول الله ﷺ، والله لا يليها أحد منكم أبدا، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم فأبى أن يرجع[2] .

سنة ٦١ هـ

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٥ ص٣٤٧-٣٨١ وابن كثير/ جـ ٨ ص ١٥٨-١٦١.**

[2] **وروي هذا الخبر عن الحسن أيضا بصيغة مقاربة. انظر تاريخ ابن كثير/ جـ٨ ص١٦٣.**

ـ مقتل الحسين: قتل الحسين في وقعة الطف في كربلاء، في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ، في بداية عهد يزيد، وكان الجيش الذي بعثه ابن زياد إلى الحسين تعداده أربعة آلاف، يريدون قتال الديلم، فحرفهم ابن زياد إلى قتال الحسين، وبعث عليهم عمر بن سعد لقتاله، فقال له الحسين يا عمر: اختر لي إحدى ثلاث خصال، أما أن تتركني ارجع كما جئت، فأن أبيت هذه، فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم فيّ ما رأى، فان أبيت هذه فسيرني إلى الترك، فأقاتلهم حتى أموت، فأرسل إلى ابن زياد بذلك، فهمّ أن يسيره إلى يزيد، فقال شمر بن ذي الجوشن: لا إلا أن ينزل على حكمك، فأرسل إلى الحسين بذلك، فقال الحسين: والله لا افعل، وأبطأ عمر في قتاله، فأرسل ابن زياد شمر بن ذي الجوشن، وقال له: إن تقدم عمر فقاتل، وإلا فاقتله وكن مكانه، فقد وليتك الإمرة وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة فقالوا له: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً، فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه، منهم الحر بن يزيد الرياحي أمير مقدمة جيش ابن زياد. فكانت المنازلة بين أفراد قلائل مع الحسين وجيش ابن زياد على أربعة آلاف مقاتل، في صحراء كربلاء وعلى ضفاف الفرات. ووقع الحسين وأهل البيت وأنصاره شهداء بسيوف لم تعرف حق رسول الله ﷺ ورحمه، يدفعهم حب الدنيا والانتصار للقوة دونما نظر إلى مبدأ أو فضل أو صلاح أو عهد قطعوه على أنفسهم للحسين بمبايعته ونصرته. فقتل الحسين، قتله زرعة بن شريك التميمي، ضربه بالسيف على عاتقه، ثم طعنه سنان بن انس بن عمرو النخعي بالرمح ومنع عمر بن سعد رجاله أن يقتلوا علي بن الحسين (زين العابدين) الذي كان مريضاً ولم يشارك في القتال وكان

في خيمة النساء. ولما أتى يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه بكى وقال: لو كان بين ابن زياد وبينه رحم ما فعل هذا[1].

سنة ٦٣ هـ

وقعة الحرة: حدثت سنة ٦٣ هـ، بين جيش الشام وأهل المدينة، في زمن يزيد بن معاوية، وكان تعداد جيش الشام عشرة آلاف فارس بقيادة مسلم بن عقبة المازني، وقال له يزيد ادع القوم ثلاثاً فان رجعوا إلى الطاعة والبيعة فاقبل منهم وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، ونزل شرقي المدينة في الحرّة، ورفض أهل المدينة المسالمة، فقاتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم أهل المدينة، وقد قتل من الفريقين خلق كثير. وكان عدد القتلى سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار واستباح الجيش المدينة ثلاثة أيام، فقتل الكثير وانتهبت الأموال[2].

وبعد الحرة ذهب جيش الشام إلى مكة وحاصرها في محاولة للقضاء على عبد الله بن الزبير، ولكن موت يزيد في تلك الأثناء أدى إلى انسحاب الجيش إلى الشام، مما أدى إلى تحسن وضع ابن الزبير وإعلان نفسه خليفة للمسلمين واجتماع الناس عليه بعد ذلك، ثم خرج عليه مروان وابنه عبد الملك الذي قضى عليه بعد بضع سنين من خلافته في مكة واستطاع عبد الملك استرجاع الخلافة من الزبيريين إلى الأمويين ليبدأ بعدها حكم الأمويين من بني مروان في دمشق.

---

[1] **تاريخ الطبري/جـ ٥ ص ٤٠٠-٤٧٠ وتاريخ ابن كثير/جـ ٨ ص ١٧١-١٩٠ وتاريخ السيوطي/ص ٢٠٧.**

[2] **تاريخ الطبري/ جـ ٥ ص ١٩٤، والإمامة والسياسة/ لابن قتيبة/ جـ ١ ص ٢١٠، وتاريخ الخلفاء/ للسيوطي ص ٢٠٩. والحرَّة : على بعد ثلاثة أميال من المدينة. انظر معجم البلدان/ جـ ٢ ص ٢٥٠.**

سنة ٦٤ هـ

- وفاة يزيد: مات يزيد بن معاوية في ربيع الأول سنة ٦٤ هـ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة، أثناء حصار جيشه مكة لقتال ابن الزبير. وقد قتل أثناء حصار مكة المنذر بن الزبير بن العوام ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف والمسور بن مخرمة، وبعد وفاة يزيد ولي ابنه معاوية الثاني، ولم يبق طويلاً، قيل مكث في الملك أربعين يوماً ومات ولم يعهد إلى احد. وقيل اعتزل الملك ثم مات بعد ذلك[1].

- خروج عبد الله بن الزبير وخلافته: خرج ابن الزبير كما ذكرنا مع الحسين إلى مكة، وبقي في مكة حتى وفاة يزيد خارجاً عليه ولم يبايعه بل حاربه وقاتل جيشه حتى وفاته، ثم بايعه أهل الحجاز بعد موت يزيد وأناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير، فأجلى بني أمية عن المدينة فرحلوا إلى الشام، ثم بايعه أهل البصرة وبعثوا إليه، وبايعه عبد الله بن جعفر وعبيد الله بن علي بن أبي طالب وفي بيعة هذين الرجلين من أهل البيت دلالة غير خافية، ثم بايعه أهل الكوفة، وأرسل إلى مصر فبايعوه، وأرسل إلى اليمن فبايعوه والى خراسان فبايعوه، والى الضحاك بن قيس في الشام فبايع، وبويع له بحمص وفلسطين. واجتمع الأمر له وأصبح خليفة المسلمين من سنة ٦٥ هـ إلى سنة ٧٣ هـ.

سنة ٦٥ هـ

- خروج عبد الملك على ابن الزبير: خرج عبد الملك بن مروان على عبد الله بن الزبير بعد وفاة أبيه مروان الذي عهد إليه بعده، وذلك سنة ٦٥ هـ، وحين وقع الصراع والخلاف المشهور بين ابن الزبير وبين عبد الملك اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية الناس، وقد دعاهما ابن الزبير ليبايعاه فأبيا عليه، وكان رأيهم إنهم لا يبايعون إلا

---

[1] **انظر تاريخ الطبري/ جـ٥ ص٤٩٩ .**

بعد أن يجتمع الناس على بيعة شخص واحد، وكذلك حاول عبد الملك دون فائدة[1].

سنة ٦٧ هـ

- مقتل عبيد الله بن زياد: قتل سنة ٦٧ هـ، قتله إبراهيم بن الأشتر النخعي بأرض الموصل على شط نهر الخازر بأمر المختار بن أبي عبيد الثقفي. ويسمى ابن زياد ابن مرجانة أيضا وهي أمه وكانت كسروية أي بنت بعض ملوك الأعاجم (يزدجرد أو غيره) وقد ولاه يزيد بن معاوية الكوفة والبصرة خلفاً لأبيه. وقد بعث المختار برأس ابن زياد إلى ابن الزبير بمكة، وكان المختار قد قتل قتلة الحسين ومن شهد الطف منهم كابن زياد وعمر بن سعد والشمر بن ذي الجوشن وسنان بن أبي انس وخولي بن يزيد الاصبحي وغيرهم، بغية إرضاء ابن الحنفية والعلويين إضافة إلى كسب ود ابن الزبير وأتباعه، إذ أن المختار كان ذا طموح سياسي ودهاء ومحاولة دائبة لركوب الموجة وكسب ود العراقيين للاستعانة بهم على الأمويين في الشام والزبيريين في الحجاز[2]. وقد قوي أمر المختار بعد ذلك، وأصبح من الغلاة وادعى علم الغيب والنبوة وهو الكذاب الذي أشار إليه الحديث النبوي: يخرج من ثقيف كذاب ومبير، والمبير هو الحجاج[3].

---

[1] تاريخ ابن كثير/ جـ ٨ ص٢٦٠ .

[2] تاريخ ابن كثير/ جـ ٨ ص٢٧٢.

[3] إن ظهور المختار كان احد ردود الأفعال العنيفة لوقعة الطف ووقعة الحرة، ومقتل العديد من أهل البيت والصحابة وأبنائهم، مما ولد نقمة على الحكم الأموي، استغلها خصومهم في التنديد بهم والتأليب عليهم والخروج على حكمهم أحيانا، ومنها حركة المختار بدعوى اخذ الثأر بدم الحسين، واستيلاؤه على الكوفة، وادعاؤه الوحي واتخاذه كرسياً يستنصر به

- خروج المختار ومقتله: لما تبين لابن الزبير خداع ومكر وسوء مذهب المختار، أرسل أخاه مصعباً إلى العراق واستطاع مصعب بن الزبير أن يدخل البصرة ويحكم السيطرة عليها، وسار مصعب في جيش إلى الكوفة للقاء المختار، وكان محمد بن الأشعث بن قيس الكندي في جيش مصعب بن الزبير، فقتل في هذه المعركة وقتل معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب، في مكان يسمى المذار قرب الكوفة قتلهما المختار. واستطاع مصعب الانتصار على المختار في الكوفة،فهزمه وقتله وقتل معه سبعة آلاف من أنصاره، وكان مقتله سنة ٦٧هـ[1]

سنة ٦٩ هـ

- خروج الأشدق الأموي ومقتله زمن عبد الملك: وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو أمية القرشي الأموي المعروف بالأشدق. وكان معاوية قد استنابه على المدينة، وكذلك يزيد بن معاوية، وكان من سادات المسلمين ومن الكرماء المشهورين، وهو الذي كان يبعث البعوث إلى مكة بعد وقعة الحرة وأيام يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير، ثم إن مروان دخل إلى مصر بعدما دعا إلى نفسه واستقر له الشام ودخل معه عمرو بن سعيد ففتح مصر، وقد كان وعد عمراً أن يكون ولي العهد من بعد عبد الملك وان يكون قبل ذلك نائباً بدمشق، فلما قويت شوكة مروان رجع عن ذلك، وجعل الأمر من بعد

تشبيهاً بتابوت بني إسرائيل وغيرها. انظر الملل والنحل/ للشهرستاني ص ١٤٧.

[1] تاريخ الطبري/ جـ ٦ ص ١٠٥، والإمامة والسياسة/ لابن قتيبة/ جـ ٢ ص ٢٥، وتاريخ ابن خلدون/ جـ ٣ ص ٢٩، والتاريخ الإسلامي العام/ علي إبراهيم ص ٢٩٥.

ذلك لولده عبد العزيز، وخلع عمراً، وعندما ركب عبد الملك في سنة ٦٩ هـ قاصداً أفريقيا، استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق فتحصن بها واخذ أموال بيت المال وخطب الناس فوعدهم العدل والعطاء الجزيل، ولما علم عبد الملك بما فعله الأشدق، كر راجعاً إلى دمشق وحاصره، وقاتله الأشدق مدة ١٦ يوماً ثم اصطلحا على ترك القتال وعلى أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك وكتبا بينهما كتاب أمان، ثم دعاه عبد الملك إلى قصره وأوقع به وقتله، وتلك من أوائل مقاتل الأمويين للأمويين[1].

سنة ٧١ هـ

- مقتل مصعب بن الزبير: قتله جيش عبد الملك بن مروان في الكوفة سنة ٧١ هـ، وقتل معه إبراهيم بن الأشتر وعيسى بن مصعب. ويروي ابن كثير، إن عبد الملك كان يحب مصعباً حباً شديداً وكان خليلاً له قبل الخلافة، فلما انهزم أصحابه (أي مصعب) وبقي في قليل من خواصه ومال الجميع إلى عبد الملك، قال لأخيه محمد بن مروان، اذهب إليه فأمنه، فجاءه فقال له: يا مصعب قد أمّنك ابن عمك على نفسك وولدك ومالك واهلك، فاذهب حيث شئت من البلاد، فقال مصعب: قضي الأمر إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً، فتقدم ابنه فقاتل حتى قتل، وقتل مصعب بموضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق[2]. ويذكر الطبري وغيره عن مقتل مصعب ما يأتي: كان مما قام به عبد الملك للقضاء على ابن الزبير في الحجاز، أن قاد بنفسه جيشاً كثيفاً لقتال مصعب في العراق، فهزمه،

---

[1] تاريخ الطبري/ جـ٦ ص١٤٠-١٤٩ وابن كثير/ جـ ٨ ص ٣١٠-٣١٥.

[2] تاريخ ابن كثير/ جـ ٨.

ودخل الكوفة وبايعه أهلها، ثم أرسل الحجاج بعدها إلى عبد الله بن الزبير فهزمه[1].

سنة ٧٣ هـ

- مقتل عبد الله بن الزبير: قتل سنة ٧٣ هـ، على يدي الحجاج في مكة بعد حصار دام أكثر من خمسة شهور، وقد نصبت المجانيق حول مكة وتضرر بناء الكعبة، وقد قتله الحجاج وصلب جثته على أستار الكعبة وبعث برأسه إلى عبد الملك. وهو أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، وكان عمره عند مقتله نحو اثنتين وسبعين سنة، بويع له بالخلافة أيام يزيد بن معاوية، فكان على الحجاز واليمن والعراقيين ومصر وخراسان وسائر بلاد الشام إلا دمشق، وبعد أن استعاد عبد الملك قوته واخضع الشام ومصر والعراق، بعث له الحجاج في جيش من الشام عدده أربعون ألفاً فظفر به، وبمقتله انتهى الحكم الزبيري وضعف نفوذهم السياسي وتفرغ أحفادهم للعلم والفقه وبرز منهم المحدثون والرواة، واعتزلوا السياسة شأن بعض أحفاد الحسين كزين العابدين والباقر والصادق، فكانوا أئمة في الفقه والعلوم الشرعية، إلا بعضاً منهم ممن خرج مع محمد النفس الزكية في المدينة وأخيه إبراهيم في البصرة استمراراً للتحالف الزبيري العلوي الذي توج بخروج عبد الله بن الزبير والحسين بن علي على يزيد، فخرج بعدهم عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير مع محمد النفس الزكية وقتل معه، كما خرج بعده الزبير بن عاصم بن المنذر بن الزبير مع عمر بن

---

[1] تاريخ الطبري/ جـ ٦ ص ١٥٠-١٦١، ومروج الذهب/ للمسعودي/ جـ ٢ ص ٨١ ، وغيرها.

إبراهيم بن عبد الله المحض الحسني في البصرة وغيرهم، وهذه الظاهرة جديرة بالدراسة[١].

سنة ٧٤ هـ

- وفاة عبد الله بن عمر: توفي سنة ٧٤ هـ، وكان قد اسلم قديماً مع أبيه، ولم يبلغ الحلم، وهاجر وعمره عشر سنين، وقد استصغر يوم احد وقد أجازه النبي ﷺ يوم الخندق فشهدها وما بعدها، وهو اصغر من أبيه بسبعة عشر عاماً[٢].

سنة ٨١ هـ

- خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث: خرج على عبد الملك بن مروان وعامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، وذلك سنة ٨١ هـ[٣].

- وفاة محمد بن علي (ابن الحنفية): لم يبايع لابن الزبير، وعندما استقر الأمر لعبد الملك وبايعه ابن عمر تابعه ابن الحنفية، وقد كان المختار يدعو باسمه ويسميه المهدي، توفي في المدينة سنة ٨١ هـ.

سنة ٨٢ هـ

- وقعة الزاوية: وكانت بين ابن الأشعث وبين الحجاج، في المحرم سنة ٨٢ هـ، وشارك فيها قراء البصرة ومنهم جبلة بن زحر وسعيد بن جبير والشعبي، وكان أهل الكوفة قد بايعوا على خلع الحجاج وعبد

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ ٦ ص ١٨٧-١٩٣ وابن كثير/ جـ ٨ ص ٣٢٩ وتاريخ الخلفاء/ للسيوطي ص٢١٢.
[٢] تاريخ ابن كثير/ جـ ٨ ص٣٢٣.
[٣] تاريخ ابن كثير/ جـ ٩ ص ٣٧-٣٩ .

الملك بن مروان ومناصرة ابن الأشعث لينقذهم من ظلم الحجاج واستبداده. وقد قتل من الفريقين خلق كثير[1].

سنة ٨٣ هـ

- وقعة دير الجماجم: وقعت سنة ٨٣هـ. وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مئة ألف مقاتل ومعهم مثلهم من مواليهم، وفيهم خلق من الصالحين والقراء من البصرة والكوفة. وقدم الحجاج بجيش كبير من الشام وقد شاور عبد الملك بعض أهل المشورة فقالوا له: إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم وسفك دماء المسلمين فأرسل عبد الملك أخاه محمد بن مروان [وهو والد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في الشام] وابنه عبد الله بن عبد الملك ومعهما عدد كبير من الجند، وكتب معهما كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم: إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزلته عنكم، وبعثت عليكم أعطياتكم مثل أهل الشام، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت. وتكون أمرة العراق لمحمد بن مروان. فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً وندبهم إلى قبول ما عرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج فنفر الناس من كل جانب وقالوا: لا والله لا نقبل ذلك نحن أكثر عدداً، ثم جددوا خلع عبد الملك ونائبه ثانية، فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك وعمه محمد الخبر قالا للحجاج: شأنك بهم إذن فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين، فعند ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب، ويروى أن أصحاب ابن الأشعث كروا على أهل الشام بضعاً وثمانين مرة ينتصرون عليهم، والحجاج ثابت في مكانه صابر لا

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٦ ص٣٤٢ .**

يتزحزح عن موضعه الذي هو فيه، حتى أمر بالحملة على كتيبة القرّاء لأن الناس كانوا تبعاً لهم،فقتل منهم خلقاً كثيراً،وانهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه وهرب ابن الأشعث. فما زال يسوق ويخترق الأقاليم حتى وصل إلى كرمان ثم دخل هو ومن معه إلى رتبيل ملك الترك (في كابل)، فأكرمه رتبيل وانزله عنده وأمّنه وعظمّه. وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان هو الذي يصلي بالناس هنالك في بلاد رتبيل. ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم مثنى وفرادى منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص وجماعات من السادات والأخيار والعلماء الأبرار، كان آخرهم سعيد بن جبير التابعي الفقيه المعروف[1].

سنة ٨٥ هـ

- مقتل ابن الأشعث: قتل سنة ٨٥ هـ، ذلك أن الحجاج كتب إلى رتبيل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث يقول له: والله الذي لا اله إلا هو لئن لم تبعث إلي بابن الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف ألف مقاتل ولأخرّبنها. فأرسل رتبيل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشر سنين وان لا يؤدي في كل سنة منها المائة ألف من الخراج، فأجابه الحجاج إلى ذلك، فعند ذلك غدر رتبيل بابن الأشعث وأصحابه، وأمر بضرب أعناقهم وبعث برؤوسهم إلى الحجاج، وابن الأشعث هذا هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي[2].

---

[1] تاريخ الطبري/ جـ ٦ ص ٣٥٧-٣٦٣ وابن كثير/ جـ ٩ ص ٥٠-٥٤ وتاريخ ابن خلدون/ جـ ٣ ص ٤٧.

[2] تاريخ الطبري/ جـ٦ ص٣٩٠ وابن كثير/ جـ ٩ ص ٥٩.

ـ آل الأشعث: جدهم الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، احد بني الحارث بن معاوية، وقد وفد على النبي ﷺ وأسلم ثم رجع إلى اليمن، وقد ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، فأسر وأرسل إلى الخليفة أبي بكر الصديق، ثم عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه، فمن عليه أبو بكر وزوجه أخته أم فروة، وقد شارك في القادسية في زمن عمر، ونزل الكوفة مع بقية قبائل العرب حين نزل بها سعد وبناها. وابتنى بها داراً في حي كندة. وكان من أصحاب علي في الجمل وصفين. وزوج ابنته جعده من الحسن، ولما مات غسله الحسن وصلى عليه، وكان ابنه محمد بن الأشعث وحفيده عبد الرحمن بن محمد من ضمن من أعطى الأمان لمسلم بن عقيل في الكوفة قبل أن يقتل، وقد طلب مسلم من ابن الأشعث أن يرسل رسله إلى الحسين يأمره بالرجوع. أما عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقد كان قائداً لجيش المسلمين الذي توجه لقتال رتبيل ملك الترك بأمر من الحجاج، ولكنه رأى أن يجعل فتح هذه المناطق على مراحل لسقوط الثلوج ووعورة المنطقة، فاتهمه الحجاج بالجبن، فخرج ابن الأشعث عليه ثم على عبد الملك، وجرت معارك بينه وبين جيش الحجاج منها وقعة الزاوية ووقعة دير الجماجم سنة ٨٢ هـ، التي هزم فيها ابن الأشعث وهرب إلى رتبيل، ثم قتله رتبيل هذا بعد سنتين (سنة ٨٥ هـ) وغدر به بعد الاتفاق مع الحجاج[1].

سنة ٨٦ هـ

ـ بناء واسط وقم: بنيت واسط في زمن الحجاج، بدأ في بنائها سنة ٨٣ هـ وانتهى منها سنة ٨٦ هـ. وفي نفس هذه السنة بنى الحجاج مدينة قم في بلاد فارس، بناها للعرب الذين هاجروا إلى فارس والى

---

[1] **تاريخ ابن كثير/ جـ ٩ ص ٣٧-٥٩.**

قبائل الجند الذين نزحوا مع الفتح الإسلامي، وتلك الإعمال من حسنات الحجاج في بحر سيئاته[1].

سنة ٩٤ هـ

- مقتل سعيد بن جبير وموت الحجاج: قتله الحجاج سنة ٩٤ هـ، كان الحجاج قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رتبيل ملك الترك، فلما خلعه ابن الأشعث خلعه معه سعيد بن جبير، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى اصبهان واستمر على هذا الحال مختفياً عن الحجاج اثنتي عشرة سنة ثم لجأ إلى مكة فأقام فيها، وكان قد تولى على المدينة عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز، فجعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث في العراق إلى الحجاج في القيود وكذلك فعل خالد بن عبد الله القسري والي مكة فبعث من عنده من مكة سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وطلق بن حبيب، ثم عفا عن عطاء وعمرو لأنهما من أهل مكة، وبعث الثلاثة، فأما طلق فمات في الطريق قبل أن يصل، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج، وأما سعيد فقد أمر بضرب عنقه، فدعا سعيد قبل قتله دعوة صادقة يريد بها أن يقي الناس شره، فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي، ولم يعش الحجاج بعد سعيد غير خمسة عشر يوماً تجرع فيها أشنع صنوف العذاب ثم لقي مصرعه، يقول ابن خلكان: وكان مرضه بالآكلة وقعت في بطنه وشكا ما يجده إلى الحسن البصري فقال له: قد كنت نهيتك أن تتعرض إلى الصالحين فلججت،

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٦ ص٣٨٣.**

فقال له: أسألك يا حسن أن تسأل الله أن يعجل قبض روحي ولا يطيل عذابي، وكان موته سنة ٩٤هـ أيضا[١].

- وفيات سنة ٩٤ هـ: كان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة، مات في أولها زين العابدين (علي بن الحسين) ثم عروة بن الزبير ثم سعيد بن المسيب ومن مكة سعيد بن جبير وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

- وفاة زين العابدين (علي بن الحسين): توفي سنة ٩٤ هـ، قال ابن خلكان: كانت أمه سلمة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس، وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار، أن يزدجرد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، فخلصت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالماً، والأخرى لمحمد بن أبي بكر فأولدها القاسم، والأخرى للحسين بن علي فأولدها زين العابدين (علي).وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف، إن زين العابدين كانت أمه من السند يقال لها سلامة ويقال غزالة. وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض، وأمه غزالة، خلف عليها بعد الحسين مولاه زييد فولدت له عبد الله بن زييد. وكان عمر علي بن الحسين حين توفي ٥٨ سنة ودفن في البقيع[٢].

سنة ٩٩ هـ

- خلافة عمر بن عبد العزيز: بويع له بالخلافة سنة ٩٩ هـ يوم مات سليمان بن عبد الملك وخطب الناس فقال في خطبته أيها الناس إن لي نفساً تواقة لا تعطي شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعلى منه واني لما أُعطيت الخلافة تاقت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة فأعينوني

[١] تاريخ الطبري/ جـ٦ ص٤٨٧-٤٩١.
[٢] تاريخ ابن كثير/ جـ ٩ ص ١٠٩-١٢٠ .

عليها يرحمكم الله. وقد اعرض عن ركوب مراكب الخلافة وسكن منزله رغبة عن منزل الخلافة.

وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلب عن أمرة العراق وبعث عدي بن أرطأة الفزاري على أمرة البصرة، فاستقضى عليها الحسن البصري ثم استعفاه فأعفاه واستقضى مكانه إياس بن معاوية، وبعث على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب واستقضى عليها عامراً الشعبي.

كان عمر تابعياً جليلاً، روى عن انس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام (من صغار الصحابة). وروى عن خلق من التابعين، وكان قد حفظ القرآن وهو صغير، وكان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤدبه.

وقد رحل إلى المدينة فقعد مع مشايخ قريش وتأدب بآدابهم وأخذ فقههم، ولما مات أبوه أخذه عمه الخليفة عبد الملك فخلطه بولده وقدمه على كثير منهم وزوجه بابنته فاطمة

وقد ولاه الوليد بن عبد الملك مكة والمدينة والطائف من سنة ٨٦ هـ إلى سنة ٩٣هـ، وبنا في مدة ولايته هذه مسجد النبي ﷺ ووسعه بأمر من الوليد بن عبد الملك.

وفي مدة خلافته كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب. وقد كان يعطي من انقطع إلى المسجد الجامع من بلده للفقه ونشر العلم وتلاوة القرآن في كل عام من بيت المال مئة دينار. وكتب ألاّ يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن وكان يكتب إلى عماله اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة فان من أضاعها فهو لما سواها من شرائع الإسلام اشد تضييعاً. وقد رد جميع المظالم. وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في الملبس والمأكل والمتاع حتى انه ترك التمتع بزوجته الحسناء فاطمة بنت عبد الملك. وكان يخدم نفسه بنفسه، وكان يقول:

اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ، واهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد ﷺ. وقال: أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم. توفي سنة ١٠١ هـ، سبب وفاته من السل وقيل سببها أن مولى سمّه في طعام أو شراب، وكان مرضه بدير سمعان من قرى حمص، وكانت مدة مرضه عشرين يوماً، وكان عمره يوم مات ٣٩ سنة، ومدة خلافته كمدة خلافة الصديق سنتان ونصف أو أقل[١].

سنة ١١٥ هـ

- وفاة محمد الباقر: توفي سنة ١١٥ هـ، وهو من أئمة التابعين، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي، وكان ممن يقدم أبا بكر وعمر على جده علي، وتزوج من البكريين أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وأنجب منها جعفر الصادق العلوي البكري الذي قال: ولدني أبو بكر مرتين. ونهج الجهاد بالعلم والقلم بدل السيف والخروج وكان من أئمة السنة والشيعة على السواء في ذلك العصر المشترك المبارك[٢].

- لبابة بنت عبد الله بن جعفر: تزوجت عبد الملك بن مروان ثم طلقها فتزوجها علي بن عبد الله بن عباس. توفيت سنة ١١٥هـ.

سنة ١٢٢ هـ

١ تاريخ الطبري/ جـ٦ ص٥٥٠-٥٦٥ وابن كثير/ جـ ٩ ص ٢٠٠-٢٢٠ .

٢ تاريخ ابن كثير/ جـ٩ ص٣٢١.

- زيد بن علي: خرج على هشام بن عبد الملك في الكوفة، فقتل سنة ١٢٢ هـ، وكان ممن أيده مالك وأبو حنيفة إضافة إلى جعفر الصادق ابن أخيه، لكنهم لم يخرجوا معه، بل أفتوا بمناصرته[١].

سنة ١٢٥ هـ

- خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك: بويع له بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك، فأساء التصرف وأمعن في اللهو والمجون، فمقته الناس فثاروا عليه، وقتله أهله الأمويون سنة ١٢٦ هـ، فجاء بعده يزيد الناقص، وكان من اعدل خلفاء بني أمية بعد عمر بن عبد العزيز، ولكنه توفي بعد أشهر من خلافته، فبويع أخوه إبراهيم بن الوليد وبعد شهرين خرج عليه مروان بن محمد، أخر الخلفاء الأمويين وخلعه، ودب الضعف في الدولة الأموية نتيجة هذه الخلافات العائلية، وطمع فيهم منافسوهم، فكثرت الثورات والخروج عليهم من العلويين والعباسيين وغيرهم، حتى اسقط العباسيون دولتهم سنة ١٣٢ هـ[٢].

- يحيى بن زيد: خرج بعد أبيه في زمن هشام في خراسان، ولكنه قتل سنة ١٢٥ هـ في زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٣].

سنة ١٣٠ هـ

- وقعة قُديد: وقعت سنة ١٣٠ هـ، بين الخوارج بقيادة أبي حمزة الخارجي وأنصاره وبين الأمويين، إذ استولى أبو حمزة على المدينة وقتل من قريش والأنصار خلقاً كثيراً ثم أقام في المدينة ثلاثة أشهر،

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ٧ ص١٦٠ و ص١٨٠-١٨٦.

[٢] تاريخ ابن كثير/ جـ ١٠ ص ٤٠، وتاريخ الطبري/ جـ ٧ ص ٤٢٠،وتاريخ السيوطي/ ص ٢٥٠.

[٣] تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٢٢٨-٢٣٠.

فأحسن السيرة في المدينة فمال إليه الناس، ولكنه أظهر بدعته، فسمعوه يقول، من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر، فرجع عنه الناس وابغضوه بعد ذلك، ولم يزل في المدينة حتى بعث الخليفة مروان، عبد الملك بن محمد بن عطية في جيش من الشام، فنشب قتال بينهم، ودخل ابن عطية المدينة وقد انهزم جيش أبي حمزة عنها. وقد كان معظم قتلى المدينة على يد الخوارج في وقعة قديد عندما دخلوها، ثم حررها الأمويون منهم بعد ثلاثة أشهر[١].

سنة ١٣٢ هـ

- مقتل إبراهيم الإمام بن محمد العباسي: قاد الدعوة العباسية بعد أبيه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وخرج على مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فكشف أمره ودعوته فسجنه في حرّان، فعهد بأمر الدعوة إلى أخيه أبي العباس السفاح، فلما ظهر أمر السفاح وقاتل الأمويين في خراسان، دس له مروان في سجنه من يقتله سنة ١٣٢ هـ. وكان عمره حينئذ ٤٨ سنة[٢].

- سقوط الدولة الأموية في الشام واندحار مروان بن محمد: وكان قد التقى جيش مروان في معركة قرب الموصل في مكان يقال له الزاب من أرض الجزيرة، مع جيش العباسيين، وكان مروان في مئة وخمسين ألفاً، وكان عبد الله بن علي موجهاً من قبل أبي العباس السفاح في عشرين ألفاً، وأقام عبد الله بن علي في موضع المعركة سبعة أيام ثم انهزم مروان، فسار خلفه عبد الله بن علي بمن معه من الجند وقد وصله مدد من السفاح في أربعة آلاف بقيادة عبد الصمد بن علي، فأتى حمص ثم بعلبك ثم أتى دمشق، فوصل له مددٌ أخر من السفاح بقيادة

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٣٩٣-٣٩٩.

[٢] تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٤٣٥-٤٣٧ .

أخيه صالح بن علي في ثمانية آلاف، فحاصرها أياما ثم فتحها، فقتل من أهلها خلقاً كثيراً وهدم سورها وأباحها نهاراً واحداً، ويقال إن أهل دمشق بعد فتحها اختلفوا فيما بينهم بين عباسي وأموي فاقتتلوا وقتل بعضهم بعضاً وقتلوا نائبهم ثم سلموا البلد. وقيل انه قتل في يوم استباحتها نحو خمسين ألفاً، ثم نبش العباسيون بعض قبور بني أمية لأدراك مقاتل العباسيين والعلويين. ثم تتبع عبد الله بن علي بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فقتل منهم في يوم واحد بضعة عشر ألفاً عند نهر الرملة، فأقام في دمشق خمسة عشر يوماً ثم سار وراء مروان فنزل نهر الكوة ووجه يحيى بن جعفر الهاشمي نائباً على دمشق.

- وقعة نهر أبي فطرس: سنة ١٣٢ هـ أيضا. استمر عبد الله بن علي العباسي بعد سقوط دمشق في متابعة مروان، فسار حتى نزل مرج الروم ثم أتى نهر أبي فطرس في فلسطين فوجد مروان قد هرب ودخل مصر، وفي هذه الوقعة قتل من الأمويين وأنصارهم خلق كثير حيث قتل من الأمويين فقط اثنان وسبعون رجلاً، وحين فر مروان إلى مصر، فر هارباً وحيداً حزيناً مأسوفاً عليه لضياع ملكه، الذي لم يتمكن من إنقاذه من أيدي العباسيين رغم بأسه وشجاعته ومهارته في الحروب[1].

- مقتل مروان بن محمد: بينما كان عبد الله بن علي يطارد مروان جاءه كتاب من السفاح وهو عند نهر أبي فطرس بفلسطين يأمره بان يبعث صالح بن علي في طلب مروان، وان يقيم هو في الشام نائباً عليها، فسار صالح يطلب مروان، فلحقوا به في قرية بوصير في مصر، فوافوه من آخر الليل فانهزم من معه من الجند، وخرج أليهم

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٤٤٣.**

مروان في نفر يسير معه، فأحاطوا به حتى قتلوه في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ[1].

---

[1] تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٤٣٧-٣٤٢ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٤٥.

جـ- العصر العباسي الأول

سنة ١٣٦ هـ

- وفاة السفاح: توفي بالجدري بالأنبار في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ، وقد بويع له بالخلافة بعد مقتل أخيه إبراهيم الإمام في حياة مروان بالكوفة، وكان عمره عند موته ثلاثين سنة. وفي زمنه أصبحت عاصمة الخلافة الإسلامية (الكوفة) بدل (دمشق) ثم (بغداد) في زمن أخيه المنصور العباسي[1].

سنة ١٣٧ هـ

- مقتل أبي مسلم الخراساني: قتل سنة ١٣٧ هـ بالمدائن في زمن أبي جعفر المنصور، وكان أبو مسلم فاتكاً ذا رأي وعقل وتدبير، وكان من أهم الشخصيات التي اعتمدها العباسيون لتأسيس دولتهم. قيل انه ولد بأصبهان ونشأ في الكوفة، ولما بعثه إبراهيم الإمام إلى خراسان، قال له غير اسمك وكنيتك فتسمى عبد الرحمن بن مسلم واكتنى بابي مسلم، فسار إلى خراسان وهو ابن سبع عشرة سنة، ثم آل به الحال حتى صارت له خراسان، فنشر فيها دعوة بني العباس. وقد كان مطيعاً للسفاح ممتثلاً لأوامره فلما صار الأمر إلى المنصور استخف به واحتقره، ومع هذا بعثه المنصور إلى عمه عبد الله بن علي في الشام (حين خرج عبد الله بن علي على المنصور وأراد أن ينفرد بالحكم بالشام) فكسره واستنقذ الشام منه وردها إلى حكم المنصور، ثم شمخت نفسه على المنصور، وهم بقتله، فتغاضى عن لذلك المنصور، مع ما كان مبغضاً له كل البغضة، وكان قد سأل أخاه السفاح غير مرة أن

---

[1] تاريخ الطبري/جـ٧ ص٤٧٠ وتاريخ الخلفاء/ للسيوطي ص ٢٥٦ وتاريخ الإسلام/ للذهبي (٥ /٢٠١).

يقتله فأبى عليه فلما تولى المنصور ما زال يماكره ويخادعه حتى قدم عليه فقتله[1].

- خروج عبد الله بن علي عم المنصور: في سنة ١٣٧ هـ، حين بلغ موت السفاح عبد الله بن علي، دعا عبد الله بن علي إلى نفسه وزعم أن السفاح كان قد عهد إليه حين بعثه لقتال مروان بن محمد أن يكون ولي العهد من بعده وشهد له بذلك بعض أمراء العراق ونهضوا إليه فبايعوه فذهب إلى حران فتسلمها من نائب المنصور فلما بلغ المنصور ما كان من أمر عمه بعث إليه أبا مسلم الخراساني ومعه جماعة من الأمراء وقد تحصن عبد الله بن علي بحران، فركب عبد الله بن علي فنزل نصيبين وخندق حول عسكره ثم غير موضعه وقصد ناحية الشام، ثم انشأ أبو مسلم القتال فحاربهم خمسة أشهر وكان على خيل عبد الله أخوه عبد الصمد بن علي. فجرى القتال بينهما وكانت الهزيمة لجيش عبد الله بن علي واحتاز أبو مسلم ما كان في معسكرهم وأمن أبو مسلم بقية الناس فلم يقتل منهم أحدا. ومضى عبد الله بن علي وأخوه عبد الصمد وجهيهما فلما مرا بالرصافة أقام بها عبد الصمد، ثم قيد وأرسل إلى المنصور.

وأما عبد الله بن علي فانه ذهب إلى أخيه سليمان بن علي بالبصرة فأقام عنده زماناً مختفياً ثم علم به المنصور فبعث إليه فسجنه فلبث في السجن سبع سنين ثم مات[2].

سنة ١٤٥ هـ

- مقتل محمد النفس الزكية: قتل في زمن المنصور، إذ بايع الناس له في المدينة فخرج على المنصور ويروي الطبري عن الإمام مالك،

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٤٧٩-٤٩٣ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٧١-٧٤.**

[2] **تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٥٠٢ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٦٤-٦٥.**

انه أفتى الناس بمبايعته فقيل له، إن في أعناقنا بيعة للمنصور، فقال إنما كنتم مكرهين، وليس لمكره بيعة، فبايعه الناس عند ذلك. ورفض أهل الشام مبايعته حين أرسل لهم مبعوثاً، فبعث المنصور جيشاً كبيراً عدده عشرة آلاف فارس من الشجعان المنتخبين على رأسهم عيسى بن موسى، وكتب معه كتباً إلى رؤساء قريش والأنصار من أهل المدينة، يدفعها إليهم خفية يدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة. ولما نزل الجيش قرب المدينة، صعد محمد بن عبد الله المحض المنبر، وحث الناس على الجهاد، وقال لهم إني جعلتكم في حل من بيعتي فمن أحب أن يقيم عليها فعل ومن أحب أن يتركها فعل، فتسلل كثير منهم ولم يبق إلا شرذمة قليلة معه[1]. وقد أرسل عيسى بن موسى الأعوص إلى محمد يدعوه إلى السمع والطاعة لأمير المؤمنين المنصور، وانه قد أعطاه الأمان له ولأهل بيته إن هو أجابه. وظل يدعوه ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث أتاهم في خيل ورجال وسلاح ورماح لم ير مثلها فناداه بالأمان أيضا وان ذلك وصية المنصور له، فناداه محمد: انه ليس لكم عندي إلا القتال فنشبت الحرب حينئذٍ بينهم، ويروى أن العباسيين والعلويين كانوا قد اتفقوا على بيعة محمد بن عبد الله المحض في الاجتماع المشترك سنة ١٢٥ هـ في أواخر العهد الأموي، إلا أن الإحداث آلت إلى بني العباس فمسكوا بالخلافة واسقطوا الأمويين، فكان السفاح أول خلفائهم، وقد قرب العلويين ووصل عطاؤهم، فلما جاء المنصور خرج عليه محمد وبدأ الصراع العلوي العباسي بعد أن كانوا أصحاب راية واحدة ضد الحكم الأموي، وكان مقتل محمد بن

---

[1] **وهذا يعني إن خذلان المحاصر صفة عامة عند الناس، وان يكون أصحاب الحق والثابتون على المبدأ هم القلة وأهل الأهواء وحب الدنيا والخوف من السلطان هم الأغلبية، وتلك صفة يحسن استغلالها أصحاب السلطان، ولا يتعظ منها الدعاة.**

عبد الله بن الحسن المثنى في ١٤ رمضان سنة ١٤٥ هـ، وقال عيسى بن موسى لأصحابه بعد أن قتله، ما تقولون فيه ؟ فنال منه أقوام وتكلموا فيه، فقال رجل كذبتم والله، لقد كان صواماً قواماً ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصا المسلمين فقتلناه على ذلك فسكتوا. ويعده الحسنيون مهديهم تبركاً باسمه وعلمه، فهو محمد بن عبد الله المهدي[١].

- مقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن: كان مقتله بالبصرة سنة ١٤٥ هـ. أقبل إبراهيم بعساكر من البصرة إلى الكوفة في مئة ألف مقاتل وكان المنصور في الكوفة، فأرسل إلى عيسى بن موسى في خمسة عشر ألف، فتقاتل الجيشان وانكسر عيسى بن موسى في بادئ الأمر ثم رجع أصحابه المنهزمون فقاتلوا قتالاً شديداً، وقتل خلق كثير، وقتل إبراهيم في جملة من قتل، وكان مقتله يوم الخميس ٢٥ ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ[٢].

- بناء بغداد: بناؤها الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ، شرع في بنائها سنة ١٤٤ هـ وتكامل بناءها سنة ١٤٦ هـ[٣].

سنة ١٤٨ هـ

- وفاة الإمام جعفر الصادق: من أئمة أهل البيت البارزين ومن أئمة التابعين في الفقه، توفي سنة ١٤٨ هـ زمن المنصور وهو الذي سماه بالصادق، إذ قال صدقني جعفر الصادق في عهده، فلم يخرج علي، وبكى عليه حين توفي.

---

[١] **تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٥٢٥-٦٠٠ .**

[٢] **تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٦٢٢-٦٣٤.**

[٣] **تاريخ الطبري/ جـ٧ ص٦١٤.**

سنة ١٥٠ هـ

- وفاة الإمام أبي حنيفة: هو النعمان بن ثابت الكوفي إمام المذهب الفقهي الحنفي، تتلمذ على الإمام زيد بن علي سنتين وأيده في خروجه في الكوفة وأعانه بماله زمن هشام بن عبد الملك، وفيه قال: لولا السنتان لهلك النعمان، ورويت بخصوص الصادق خطأً، إذ كان الصادق قرينه في العمر والعلم وكان أبوه الباقر من شيوخه، وله مناظرات ومحاورات مفيدة وظريفة معه، وكان أبو حنيفة محباً لأهل البيت مشايعاً لهم، عرف لهم حقهم ولهذا أحبه الشيعة والسنة، وهو من أصل فارسي، ولد في الكوفة التي كانت تزخر بالعرب والموالي وتزخر بالعلوم والفقه والحديث، فنشأ أبو حنيفة في هذا الجو، وقد أحبه أيضا العرب والعجم، وكان من أعلام المسلمين وإماما بارزاً. طلب منه المنصور أن يلي له القضاء فرفض فسجنه، ثم عفا عنه لما رأى إصراره على موقفه، توفي سنة ١٥٠ هـ في بغداد ودفن في ضواحيها في منطقة الأعظمية الحالية.

سنة ١٥٨ هـ

- وفاة المنصور: سنة ١٥٨ هـ، وفيها تكامل بناء قصر المنصور المسمى بقصر الخلد وسكنه أياما يسيره وتركه، وكان قد خرج إلى الحج في السنة التي توفي فيها، فلما جاوز الكوفة بمراحل أخذه وجعه الذي مات فيه، ودخل مكة فتوفي بها في ٦ ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ. وكانت خلافته ٢٢ سنة، إذ بويع له بالخلافة سنة ١٣٦ هـ، وعمره يومئذ ٤١ سنة ومات عن عمر ناهز ٦٣ سنة، وكان اكبر من السفاح،

وإنما تأخر عنه بالخلافة لأن أمه أم ولد، فلم يعهد له إبراهيم الإمام، وإنما عهد للسفاح، فلما مات السفاح عهد إليه[١].

سنة ١٦٩ هـ

- وفاة المهدي: توفي سنة ١٦٩ هـ بمكان يقال له ماسبذان بالحمى وقيل مسموماً، ولي الخلافة وعمره ٣٣ سنة، وكانت خلافته ١٠ سنوات أي انه مات عن عمر لم يتجاوز ٤٣ سنة. ويعده العباسيون مهدي بني العباس تبركاً باسمه وهو محمد بن عبد الله المهدي[٢].

- موقعة فخ: سنة ١٦٩ هـ، خرج في المدينة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن (المثنى) بن الحسن بن علي بن أبي طالب في زمن موسى الهادي، وقد التف حوله جماعة فبايعوه على الكتاب والسنة والرضا من آل محمد، وجعلوا مأواهم المسجد النبوي ومنعوا الناس من الصلاة فيه، ولم يجبه معظم أهل المدينة بل جعلوا ينتقدونه لانتهاكه المسجد النبوي، ثم رحل إلى مكة فأقام بها إلى زمن الحجيج فبعث إليه الهادي جيشاً فقاتلوه بعد فراغ الناس من الموسم، فقتلوا في أيام التشريق في مكان يسمى فخاً قرب مكة مع أنصاره وبعض أهل بيته[٣].

سنة ١٧٠ هـ

- وفاة موسى الهادي: توفي سنة ١٧٠هـ (قيل مات مسموماً سمته أمه الخيزران، بالتنسيق مع بعض الموالي لتشدده على دعاة الشعوبية الحاقدين على العرب والمسلمين)، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة،

---

١ **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٦٠.**

٢ **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص١٧٠.**

٣ **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص١٩٢-١٩٨ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ١٦٢.**

وكانت خلافته ستة أشهر وهو شقيق الرشيد، أمهما الخيزران وهي أم ولد فارسية [1].

سنة ١٧٦ هـ

- خروج يحيى الحسني على الرشيد: خرج يحيى بن عبد الله المحض الحسني ببلاد الديلم سنة ١٧٦هـ، واتبعه خلق كثير وجم غفير فندب إليه الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفا، وكاتب الرشيد صاحب الديلم ووعده بألف ألف درهم إن هو سهل وصول يحيى إليهم سالما وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يعده ويمنيه ويؤمله، فامتنع يحيى أن يضع سلاحه حتى يكتب له الرشيد كتاب أمان بيده، فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك، ففرح الرشيد وكتب الأمان بيده وأرسل معه جوائز وتحفاً كثيرة إليهم، فدخلوا به بغداد وتلقاه الرشيد وأكرمه وأجزل له العطاء. ثم وشي به لديه، فتنكر له وحبسه ثلاثة أيام واخبر يحيى الرشيد انه تحرك بعد أن قتل أخوه محمد النفس الزكية وجاء بكار بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وحرضه على الخروج. ثم أطلق الرشيد يحيى بن عبد الله وأطلق له مائة ألف دينار. وتوفي بعد فترة من ذلك[2].

سنة ١٧٩ هـ

- ظهور الأدارسة في المغرب: بعد أن نكب البيت الحسني بمقتل محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم في زمن المنصور، وبوقعه فخ في زمن الهادي، فكر إدريس بن عبد الله المحض المضي إلى أرض بعيدة عن عين السلطة العباسية ومركز الخلافة، فخرج إدريس إلى ارض

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٢٠٥.**

[2] **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٢٤٢-٢٥١ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ١٧٣.**

المغرب في زمن الرشيد واستطاع أن يكسب أتباعا له من أهل المغرب، وقد بنا له ولإتباعه مدينة فأس، ولكنه سرعان ما توفي قبل أن يكمل الدور الذي جاء من اجله فورثه ابنه إدريس بن إدريس، فاستطاع بعد فترة أن يؤسس دولة الأدارسة في المغرب، وكانت هذه الدولة أول دولة علوية في التاريخ الإسلامي، وامتدت هذه الدولة في المغرب منذ زمن المأمون سنة ٢٠٠ هـ حتى سنة ٢٨٨ هـ في دورها الأول، أما الثاني فقد امتد من ٢٨٩ ـ ٣٤٩ هـ، ثم انتهت دولتهم، وجاء بعدهم في بلاد المغرب والأندلس، المرابطون إضافة إلى ظهور الخلافة الأموية في الأندلس (خلافة قرطبة) وبعدهم ملوك الطوائف الذين ظهروا في بلاد الأندلس.

ويظهر من استقراء التاريخ والإحداث خلال ألف عام إن الفرع الحسني من الشجرة العلوية قد ملك مرات عديدة في المشرق والمغرب، بخلاف الفرع الحسيني الذي آثر التفرغ للعلم والإمامة الشرعية، بعد أن سقط العديد من رجاله المجاهدين الخارجين في العصر الأموي والعباسي دون أن يحققوا هدفاً سياسياً محدداً، في حين استطاع الحسينيون أن يكونوا دولة الأدارسة في المغرب ودولاً أخرى في المشرق سواء في طبرستان (الحسن بن زيد) أو في خراسان والديلم (ابن طباطبا) وغيرها، ثم ظهر بعد القرن الرابع الهجري شخصيات وفرق من المدعين بالانتساب إلى الشجرة العلوية كالزنج والعبيديين والاسماعيليين والقرامطة وغيرهم من الغلاة، ممن لم يثبت نسبهم العلوي، أما البيت الأموي فقد ملك في الشام، ثم في الأندلس، وملك البيت العباسي في بغداد ثم القاهرة، أما البيت الزبيري فقد ملك بضع سنين فحسب في خلافة عبد الله بن الزبير. ثم ظهرت في العصر الطائفي وفي القرون الأخيرة ممالك ودول ترتبط بالبيت

العباسي أو العلوي بالولاء الروحي أو المذهبي كالعثمانيين والصفويين وغيرهم.

ـ وفاة مالك بن انس: توفي سنة ١٧٩ هـ زمن الرشيد في المدينة وهو فقيهها، ودفن في البقيع وهو صاحب مدرسة الإمام مالك والمذهب المالكي، وكان إماما في الفقه والحديث، قال الشافعي فيه: من أراد الحديث فهو عيال على مالك. وقد قال مالك: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك، وكان إذا أراد أن يحدث تنظف وتطيب وسرح لحيته ولبس أحسن ثيابه وكان يلبس حسنا، وكان من مؤيدي محمد النفس الزكية وأفتى بمبايعته وخلع بيعة المنصور فتعرض لأذى المنصور، واعتزل الناس بعدها حزناً على محمد. وهو صاحب كتاب الموطأ في الحديث، وأراد المنصور ثم الرشيد أن يلزم الناس بما في الموطأ من أحاديث، فلم يوافق الإمام مالك على ذلك، وقال: إن الحديث النبوي انتشر بين المسلمين بانتشار أصحاب رسول الله، وليس من الصواب أن نلزم احد بكتاب واحداً في الحديث. وكان عمره حين توفي بضعاً وسبعين سنة[١] .

سنة ١٨٢ هـ

ـ القاضي أبو يوسف: توفي سنة ١٨٢ هـ، وكان من أكبر أصحاب أبي حنيفة، وهو أول من لقب قاضي القضاة، وكان أول من ولاه القضاء الهادي. وكان احمد بن حنبل يحضر مجلسه وهو شاب. دفن في ضواحي بغداد في مدينة الكاظمية الحالية، قرب قبر الإمام موسى الكاظم.

سنة ١٨٣ هـ

---

[١] **تاريخ ابن كثير/ جـ١٠ ص١٨٠ .**

ـ موسى الكاظم: توفي سنة ١٨٣ هـ. وكان قد استدعاه المهدي إلى بغداد وحبسه، فلما كان في بعض الليالي رأى المهدي علي بن أبي طالب وهو يقول له: يا محمد، فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، فاستيقظ مذعوراً وأمر به فاخرج من السجن ليلاً فأجلسه وعانقه واقبل عليه، واخذ عليه العهد أن لا يخرج عليه ولا على احد من أولاده، فقال: والله ما هذا من شأني ولا حدثت فيه نفسي، فقال صدقت. وأمر له بثلاثة آلاف دينار. وردّه إلى المدينة مكرماً، فلم يزل بالمدينة حتى كانت خلافة الرشيد فقربه إليه وكان يحج معه، فوشى به بعض وزرائه ومنهم البرامكة، وارجفوا الرشيد بان موسى الكاظم يريد الخروج عليه، فما زالوا به حتى استدعاه في سنة ٦٩ وسجنه وبقي في السجن سنين، فأرسل موسى رسالة إلى الرشيد يقول فيها: أما بعد يا أمير المؤمنين انه لا ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك يوم من الرخاء حتى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون. ويروى أن الرشيد هم مرات بإخراجه من السجن ولكن البرامكة كانوا ينصحونه بعدم إخراجه ويخيفون بأنه إذا خرج عليه سيكون خطراً على دولة الخلافة، ويروى إنهم دسوا له السم في سجنه ليتخلصوا منه، ويصفو لهم الجو مع الرشيد، وقيل انه مات ميتة طبيعية في السجن عن عمر ناهز ٥٥ عاماً، وهو إمام الشيعة الإمامية وجد السادة الموسوية، فضلاً عن أنه من أئمة الفقه والعلم عند أهل السنة والجماعة ومن رجال العصر المشترك البارزين.

سنة ١٨٧ هـ

ـ مقتل البرامكة: سنة ١٨٧ هـ، وكان الرشيد قد نشأ في بيت يحيى بن خالد البرمكي ورضع مع أبنائه جعفر والفضل، أرضعته أمهما أم الفضل، فقربهم الرشيد حين اعتلى عرش الخلافة وأصبحوا من اقرب

وزرائه وقواده فجعل يحيى البرمكي وزيره الأول وابنيه الفضل وجعفر أميرين على المشرق والمغرب في دولته الواسعة واستمروا في الحكم مع الرشيد منذ تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ وحتى فتك بهم سنة ١٨٧ هـ، أي ١٨ سنة وكان آل برمك أول من شجع الغلو والانحراف والطرب ومجالس اللهو والغزل بالغلمان وشجعوا الشعوبية وتمجيد العجم وذكر مآثرهم واحتقار العرب وذكر مثالبهم، وجندوا لذلك الأدباء والشعراء، ثم جاء بعدهم آل سهل في زمن المأمون ثم ظهر فيما بعد آل بويه والقرامطة، وآل سلجوق بعدهم، فطغت الشعوبية والدعوة للأفكار الهدامة وذلّت الخلافة واحتقرت دولة العرب والمسلمين، وتفرقت كلمتهم حين أصبح الانتماء إلى الجنس أهم من الانتماء للدين وتعاليم الإسلام. وحينما تأكد الرشيد من خيانة جعفر بن يحيى البرمكي وتآمره لقتله، قتله وصادر أملاك البرامكة، وحبس يحيى بن خالد في منزله وحبس الفضل بن يحيى في منزل آخر، وأخذ جميع ما كانوا يملكونه من المال والضياع وغيرها. وكانت لجعفر فصاحة وبلاغة وذكاء وكرم، وكان أبوه قد ضمّه إلى القاضي أبي يوسف فتفقه عليه، ثم مكث وزيراً ١٧ سنة وقتل وعمره ٣٧ سنة، ويذكر ابن كثير:يقال أن البرامكة كانوا يريدون أبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة[١].

سنة ١٩٠ هـ

- وفاة يحيى بن خالد بن برمك: سنة ١٩٠ هـ، حبسه الرشيد سنة ١٨٧ هـ بعد قتل ابنه جعفر وظل في الحبس حتى مات، وقد توفي عن

---

١ **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٢٧٨-٣٠٠ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ١٩٦.**

سبعين سنة وصلى عليه ابنه الفضل ودفن على شط الفرات، وكان كريماً فصيحاً ذا رأي سديد يظهر في أموره خير وصلاح، وقد قال لأولاده: اكتبوا أحسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون وتحدثوا بأحسن ما تحفظون. أما الفضل بن يحيى فقد مات في حبسه أيضا سنة ١٩٣هـ، وكان الفضل أكرم من أخيه جعفر، ولكن كان فيه كبر شديد وكان عبوساً، وكان جعفر أحسن بشراً منه وأطلق وجهاً واقل عطاءً، وكان الناس إليه أميل، وقد ولي الفضل نيابة خراسان خلال حكم الرشيد ثم سجن هو وأبوه بعد تآمرهم على الخلافة[1].

سنة ١٩١ هـ

- المأمون وبنو سهل: في سنة ١٩١ هـ أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون في زمن أبيه هارون الرشيد، وفي سنة ١٩٦ هـ رفع المأمون وزيره الفضل وولاه أعمالا كباراً. أما الحسن بن سهل فقد ولاه المأمون نيابة الكوفة والبصرة وفارس والأهواز والحجاز واليمن سنة ١٩٨ هـ بعد مقتل أخيه الأمين، والجدير بالذكر إن آل سهل كانوا من مجوس الفرس الذين اسلموا على يد المأمون وأصبحوا من حاشيته ومقربيه أثناء توليته للمشرق من قبل أبيه الرشيد[2].

سنة ١٩٣ هـ

- وفاة الرشيد: سنة ١٩٣ هـ، وفيها وافى الرشيد جرجان في ارض خراسان، إذ خرج في جيش للتصدي لغوغاء الخرمية الغلاة في خراسان، وقد انتهت إليه خزائن علي بن عيسى تحمل على ألف وخمسمائة بعير، ثم تحول منها إلى طوس، وهو عليل فلم يزل بها حتى

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٣٤١ وابن كثير/ جـ١٠ ص٢١٩.**
[2] **تاريخ ابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٥٤.**

كانت وفاته فيها، وقد أمر بحفر قبره قبل موته في الدار التي كان فيها، فجعل ينظر إلى قبره وهو يقول: يا ابن آدم تصير إلى هذا. ثم أمر أن يقرءوا القرآن في قبره فقرءوه حتى ختموه، وهو في محفة على شفير القبر. وقد مات عن ٤٥ سنة وكانت مدة حكمه ٢٣ سنة، كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزواً وحجاً إذ كان يغزو عاماً ويحج عاماً[١].

سنة ١٩٨ هـ

- مقتل الأمين: ولد الأمين بالرصافة في بغداد سنة ١٧٠هـ، وولي الخلافة سنة ١٩٣هـ، وقتل سنة ١٩٨ هـ، قتله قريش الدنداني [أرسله المأمون من خراسان إذ خرج على أخيه الأمين ونافسه الخلافة] وحاصر جيش المأمون بغداد وضربها بالمجانيق ودام هذا الحصار أكثر من سنة، فظفر قريش بالأمين بعد دخول بغداد وقتله، وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر، وقد اتهمه أتباع المأمون بكثرة اللهو وقلة الصلاة وإكثاره من اقتناء السودان والخصيان لتبرير خروج المأمون عليه وقتله[٢].

- خلافة المأمون: سنة ١٩٨ هـ، وقد جعل مركز الخلافة في أول عهده مرو من خراسان، ثم رجع إلى بغداد سنة ٢٠٣ هـ، وقد كان المأمون من المهتمين بالعلم والفلسفة حتى أثر ذلك في سياسته، فأسس دار الحكمة في بغداد وجعلها مركزاً مهماً لتدريس العلوم الشرعية والفلسفية والطبيعية، وأدى شدة شغفه بالفلسفة أن يتبنى أفكار المعتزلة ومذهبهم في تقديم العقل على النقل، وقدم أهل الكلام على أهل الحديث، وكان جراء تفاقم دور المعتزلة في عصره ظهور فتنة ومحنة

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٣٤١-٣٤٦ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٣٠.
[٢] تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٤٧٨-٤٨٩ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٥٠.

خلق القرآن التي نادى بها المعتزلة، وقالوا إن القرآن مخلوق، خلقه الله سبحانه شأن باقي مخلوقاته، وقد ابتلي الكثير من العلماء بهذه المحنة واضطهدوا وقتل بعضهم وكان ابرز المجتهدين الإمام احمد بن حنبل، وقد خرج في زمن المأمون عدد من الطالبيين يدعو إلى الرضا من آل محمد، منهم الحسن الهرش في خراسان، الذي جنى الأموال وانتهب الأنعام وعاث في البلاد فساداً، فبعث إليه المأمون بجيش فقتلوه في المحرم من سنة ١٩٩ هـ، وكان خروجه في أواخر سنة ١٩٨ هـ في ذي الحجة. كما خرج بالكوفة ابن طباطبا وهو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى العلوي الحسني، وخرج في البصرة زيد النار وهو زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي (زين العابدين) العلوي الحسيني، وفي اليمن خرج إبراهيم بن موسى اخو زيد النار، وكان يلقب بالجزار، وكان خروج هؤلاء الثلاثة، ابن طباطبا وزيد النار والجزار على المأمون سنة ١٩٩ هـ[١].

سنة ٢٠١ هـ

- ومن مآثر المأمون وتجرده، وحبه لأهل البيت وبني عمه العلويين، انه بايع لعلي الرضا بن موسى الكاظم أن يكون ولي عهده من بعده سنة ٢٠١هـ، وسماه الرضا من آل محمد. وطرح لبس السواد وأمر بلبس الخضرة[٢]، فلبسها هو وجنده وكتب بذلك إلى الأفاق والأقاليم، وذلك أن المأمون رأى أن علياً الرضا خير أهل البيت، وليس في بني العباس مثله في علمه ودينه فجعله ولي عهده من بعده

---

١ تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٥٢٧ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٥٥-٢٥٨.

٢ كان لبس السواد شعار العباسيين ، ولبس الخضرة شعار العلويين. انظر الطبري وابن كثير ، وانظر الدعوة العباسية/ د. محمد بركات.

ويروي الطبري أن المأمون بعد أن جعل علي بن موسى ولي عهده والخليفة من بعده، سماه الرضيّ من آل محمد[1].

- ظهور بابك الخرمي: سنة ٢٠١ هـ، ظهر بابك الخرمي في زمن المأمون في خراسان، وكان يدعو إلى الزندقة والعقائد المغالية الباطنية والى الإباحية والخروج على سلطان الدولة الإسلامية، ويدعو إلى إعادة مجد المجوسية[2].

وفي سنة ٢٢٠ هـ، عقد المعتصم للأفشين قائده التركي (واسمه حيدر بن كاوس) على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي، بعد أن استفحل أمره وقويت شوكته، وأرسل إليه المعتصم مع وزيره وقائده الثاني بغا الكبير أموالاً للتصرف بها بنفقة من معه من الجند، ونجح الأفشين في القضاء على بابك الخرمي وحركته المسلحة[3].

سنة ٢٠٢ هـ

- زواج الرضا من بنت المأمون: وفي سنة ٢٠٢ هـ، تزوج علي الرضا بن موسى الكاظم بابنة الخليفة المأمون أم حبيب، وبعدها زوج ابنه محمد الجواد بن علي بن موسى بابنته الأخرى أم الفضل[4].

سنة ٢٠٣ هـ

- وفاة الرضا: في سنة ٢٠٣ هـ خرج المأمون من مرو قاصداً بغداد وخرج معه ولي عهده علي الرضا، ووصل المأمون عراق العجم ومرّ بطوس فنزل بها وأقام عند قبر أبيه أياما من شهر صفر،

---

[1] تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٥٥٤.
[2] تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٥٥٦ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٥٩.
[3] تاريخ ابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٩٥ .
[4] تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٥٦٦ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٦٠ .

فلما كان آخر الشهر توفي علي بن موسى الرضا في مرضٍ مفاجئ، فصلى عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه الرشيد وحزن عليه وأسف أسفاً شديداً[1].

ـ آل سهل: كان لهم دور بارز في زمن المأمون وأبرزهم الفضل بن سهل والحسن بن سهل، وآل سهل ذوو أصل فارسي وكانوا من المجوس قبل إسلامهم، وقد أسلم الفضل بن سهل سنة ١٩١ هـ على يد المأمون وفي سنة ١٩٦ هـ رفع المأمون وزيره الفضل وولاه أعمالا كبارا وسماه ذا الرياستين. وفي سنة ٢٠٢ هـ أقبل المأمون من خراسان قاصداً العراق بناء على طلب ولي عهده الإمام علي الرضا، وقد أشار بعض أمراء المأمون وخاصته بقتل وزيره الفضل بن سهل، لأنه حسّن قتل هرثمة بن أعين الذي حاصر بغداد مع طاهر بن الحسين، ولأنه كان ناصحاً للعباسيين ولم يرغب في قتل الأمين عكس طاهر الذي غدر بالأمين بعد أن وشي بهرثمة وقتله، وحين وصل المأمون سرخس هجم أقوام من المماليك على الفضل بن سهل وهو في الحمام فقتلوه بالسيوف، وله من العمر ٦٠ سنة، فقبض المأمون على قاتليه وهم أربعة من المماليك فقتلهم وكتب إلى أخيه الحسن بن سهل يعزيه فيه وولاه الوزارة مكانه. ثم تزوج ببوران بنت الحسن بن سهل، ويبدو انه كان هناك في البلاط مراكز قوى خفية أزاحت الفضل بن سهل مثلما أزاحت ولي العهد علي الرضا سنة ٢٠٣ هـ، رغم أنف الخليفة ورغبته، وكانت مثل هذه الأعمال تعصف بدولة الخلافة، وتنخرها من الداخل خصوصاً أيام الخليفة المتوكل والمستعين وما تلا

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٥٦٨ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٦٠ .**

ذلك من أحداث وصراعات تحكم بها الأعاجم من الفرس والترك. وكانت بغداد وسامراء وخراسان مسرحاً لها[1].

ـ آل طاهر الخزاعي: وهو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي (ولاءً) وكان قائد جيش المأمون في قتاله حين خرج على أخيه الأمين، واستتاب من جهته على الحجاز واليمن والجزيرة والموصل، ولم يبق مع الأمين من البلاد إلا قليل. ثم حاصر طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين بغداد سنة ١٩٧ هـ، ونصب عليها المجانيق، وهرب كثير من جند الأمين إلى طاهر، وقتل من أهل البلد خلق كثير وخربت قصور كثيرة ودور شهيرة حتى كادت بغداد تخرب بكمالها.

وانحاز الناس إلى جيش طاهر وكاتبه خلق من الهاشميين والأمراء وفي سنة ١٩٨ هـ دخل طاهر الجانب الشرقي من بغداد ونادى بالأمان لمن لزم منزله، وانتقل الأمين بأمه وولده من قصر الخلد إلى قصر أبي جعفر، وأمر بتحريق ما كان في قصر الخلد من الأثاث والأمتعة وأشار عليه من بقي معه من الأمراء أن يذهب إلى هرثمة ويأخذ منه أماناً ويبايع أخاه المأمون، فلما انتهى إلى هرثمة أكرمه وعظمه وركبا في حرّاقة في دجلة، فلما علم طاهر بن الحسين بذلك، لحقهما وأمالها أصحابه فغرق من فيها ثم قتلوا الأمين. وقد توفي طاهر بن الحسين سنة ٢٠٧ هـ، وكان يقال له ذو اليمينين[2].

ومن أولاده عبد الله بن طاهر بن الحسين، ولاه المأمون سنة ٢٠٦ هـ، أرض الرقة لشهامته وبصره في الأمور، وبعد وفاة والده سنة ٢٠٧ هـ، ولاه المأمون الجزيرة والشام والعراق وخراسان وفي سنة ٢١٠ هـ ذهب عبد الله بن طاهر إلى مصر فاستنقذها بأمر المأمون من يد عبيد الله بن السري بن الحكم المتغلب عليها واستعادها منه بعد

---

[1] **تاريخ ابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٦٠ .**
[2] **تاريخ ابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٥٢ .**

حروب. وتوفي عبد الله بن طاهر سنة ٢٣٠ هـ وهو نائب المأمون على خراسان ومصر والشام. وكان أبوه خزاعياً بالولاء من موالي طلحة الطلحات[١].

ومن أولاده محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي، وأصبح في زمن المستعين العباسي نائب العراق، وكان على رأس الجيش الذي أرسله الخليفة لقتال يحيى بن عمر العلوي الذي خرج بالكوفة، وقد قتل يحيى في تلك الموقعة، وكانت داره من مشاهير القصور في بغداد، وقد نزل عنده المستعين عندما خرج عليه ابن أخيه المعتز. وقد غير موقفه وأعان المعتز على المستعين واجبره على تسليم الخلافة إلى المعتز، وكانت وفاته سنة ٢٥٥ هـ.

سنة ٢٠٤ هـ

- رجوع المأمون إلى بغداد: في سنة ٢٠٤ هـ، استقر المأمون ببغداد بعد أن قضى أكثر من خمس سنوات من مبتدأ خلافته في خراسان حيث كانت عاصمة الخلافة في مرو. ويروي ابن كثير انه مكث يلبس الخضرة بعد قدومه بغداد حوالي شهر إظهارا لمحبته لأبناء عمه العلويين. وولى أخاه أبا عيسى بن الرشيد الكوفة وولى أخاه صالحاً البصرة، وولى عبيد الله بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب نيابة الحرمين، وهو الذي حج بالناس فيها[٢].

- الإمام الشافعي: توفي سنة ٢٠٤ هـ، وهو الإمام العلم محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب الفقهي المعروف، ولد في غزة سنة ١٥٠هـ ومات أبوه وهو صغير لم يتجاوز السنتين فحملته أمه إلى مكة فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ الموطأ وهو ابن عشر

---

١ **تاريخ ابن كثير/ جـ ١٠ ص ٣١٦ .**

٢ **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٥٧٤ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٦٢ .**

وأفتى وهو ابن خمس عشرة، وقرأ بنفسه الموطأ على مالك إذ كان الإمام مالك احد شيوخه، واجتمع بعدد من العلماء ومنهم احمد بن حنبل وسفيان بن عيينة، ورحل إلى بغداد وكان من كبار علمائها ثم إلى دمشق ثم استقر في مصر، حيث مات فيها .

سنة ٢٠٧ هـ

- خروج عبد الرحمن العلوي: في سنة ٢٠٧ هـ خرج عبد الرحمن بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عك في اليمن يدعو إلى الرضا من آل محمد، وذلك لما أساء العمال السيرة وظلموا الرعايا، فلما ظهر بايعه الناس، فبعث إليه المأمون دينار بن عبد الله في جيش كثيف ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن هذا إن سمع وأطاع فحضروا الموسم ثم ساروا إلى اليمن وبعثوا بالكتاب إلى عبد الرحمن فسمع وأطاع وجاء حتى وضع يده في يد دينار فساروا به إلى بغداد ولبس السواد فيها[١].

سنة ٢١٢ هـ

- بدعة خلق القرآن: في سنة ٢١٢ هـ وفي ربيع الأول اظهر المأمون في الناس تأييده للمعتزلة، ولبدعتهم في القرآن وامتحن بعدها الناس وفتن العلماء واضطهدوا واجبروا على وجوب تبني أفكار المعتزلة فقط[٢].

وفي سنة ٢١٨ هـ كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن، وان يرسل إليه جماعة منهم، فكان يمتحن القضاة والمحدثين

---

١ **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٥٩٣ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٧١.**

٢ **تاريخ ابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٧٨ .**

وقد أجاب بعضهم إلى القول بذلك مصانعة وكرهاً، لأنهم كانوا يعزلون ويمنعون العمل لمن لا يجيب بل يمنع المفتي من الإفتاء والمحدث عن التحديث أو التدريس. ولم يستجب احمد بن حنبل ومحمد بن نوح فقالا: القرآن كلام الله لا نزيد على هذا، فقيدهما وبعث بهما إلى الخليفة بطرسوس، ثم بعث الباقي ممن اكره على الإجابة أيضا إلى طرسوس فساروا إليها، فلما كانوا ببعض الطريق بلغهم موت المأمون فردوا إلى الرقة ثم أذن لهم بالرجوع إلى بغداد، ولما بويع للمعتصم استمر بالمنهج نفسه المأمون بإجبار العلماء على عقيدة المعتزلة بالقرآن، وقد عذب المعتصم الإمام احمد وسجنه سنين طويلة، ثم أطلق سراحه وأمره بالإقامة في بيته واستمر على هذا الحال خلال بقية عصر المعتصم والواثق حتى عصر المتوكل الذي رجع عن هذه البدعة وحاربها وأعاد لأهل الحديث والسنة مكانتهم ودورهم[1].

سنة ٢١٨ هـ

- وفاة المأمون: كان المأمون -كما ذكرنا- على مذهب الاعتزال، لأنه كان ذا ميول كلامية وفلسفية من جهة ولأنه اجتمع بجماعة من المعتزلة، منهم : بشر بن غيّاث المريسي فتأثر بهم، واخذ عنهم هذا المذهب، وكان يحب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة فيه، وراج عنده الباطل ودعا إليه وحمل الناس عليه قهراً، وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته. وتوفي وله من العمر ٤٨ سنة وأوصى إلى أخيه المعتصم، وأوصاه بتقوى الله والرفق بالرعية وأوصاه أن يعتقد ما كان يعتقده في القرآن، وان يدعو الناس إلى ذلك، وأوصاه بالعلويين خيراً، وان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وان يواصلهم بصلاتهم كل سنة، والجدير بالذكر إن زواج محمد الجواد بن علي الرضا لأبنه

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٦١٩-٦٣١ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٨٧ .**

المأمون الثانية أم الفضل كان في بغداد بعد وفاة الرضا ببضع سنين، وقد أخذها معه وارتحل إلى المدينة المنورة. وكانت مدة خلافة المأمون عشرين سنة، وكانت ولادته سنة ١٧٠ هـ ووفاته سنة ٢١٨ هـ إذ مات في طرسوس في خراسان[١].

- خلافة المعتصم: سنة ٢١٨ هـ، بويع في هذه السنة بالخلافة للمعتصم بعد وفاة أخيه المأمون، وفي عهده تم القضاء على بابك الخرمي على يد الافشين سنة ٢٢٢ هـ، وكان بابك الخرمي قد قتل من المسلمين منذ ظهوره في خراسان قبل ربع قرن نحو مائتين وخمسين ألفاً، وأسر خلقاً لا يحصون. وبعد القضاء عليه توجه المعتصم لقتال الروم الذين أوقعوا بأهل ملطية من المسلمين وما والاها بملحمة عظيمة، قتل فيها خلق كثير من المسلمين وأسر ما لا يحصون كثرة، أثناء انشغال المعتصم بحرب بابك الخرمي، ومن جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات. فلما بلغ الخبر المعتصم أمر بالنفير وقال للأمراء أي بلاد الروم أمنع قالوا عمورية، لم يعرض لها احد منذ كان الإسلام، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية، فتجهز بجيش كبير وسار إلى عمورية في جحافل أمثال الجبال وفتحها بعد حصار شديد سنة ٢٢٣ هـ[٢].

سنة ٢١٩ هـ

- خروج محمد بن القاسم الحسيني في خراسان: في سنة ٢١٩ هـ وبعد عام من خلافة المعتصم، خرج محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد، واجتمع عليه خلق كثير وقاتله عبد الله بن طاهر،

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٦٥٠ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٩٣.

[٢] تاريخ الطبري/ جـ٨ ص٦٦٧ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٣٠٠.

مرات متعددة ثم ظهروا عليه وهرب، ثم استطاع ابن طاهر أن يقبض عليه وبعثه إلى المعتصم، فحبسه عدة شهور ثم استطاع الهرب ولم يعرف خبره بعد ذلك[1].

سنة ٢٢٦ هـ

- وفاة الافشين: كان الافشين من قواد المعتصم المقربين وكان تركياً من أصل مجوسي، ولما كانت أم المعتصم تركية (أم ولد) فقد قرب المعتصم أخواله الأتراك، وأصبح لهم نفوذ كبير في الدولة وخصوصاً بعد تصفية النفوذ الفارسي في زمن الرشيد بعد فتكه بالبرامكة، وبعد استبعاد المأمون لآل سهل وهم ذوو أصل فارسي أيضا. ولكن الافشين كان قد أصابه الغرور بعد قضائه على بابك الخرمي وانتصاراته العديدة الأخرى، وكان قد استناب قريبه منكجور الاشروسني على أذربيجان بعد قضائه على بابك الخرمي، فخلع الطاعة، وظفر بمال عظيم مخزون لبابك في بعض البلدان فأخذه لنفسه وأخفاه عن المعتصم وبعد أن ظفر المعتصم بمنكجور هذا حقق معه فتبين تواطؤ الافشين معه في خلع طاعة المعتصم، وانه قد عزم على الذهاب إلى بلاد الخزر ليستجيش بهم على المسلمين فعجله الخليفة بالقبض عليه قبل أن ينفذ ما يريد. وتوفي الافشين في الحبس، وكان المعتصم قد صادر أمواله وأملاكه، ووجد فيها أصناماً مكللة بذهب وجواهر وكتباً في فضل دين المجوس وأشياء كثيرة كان يتهم بها تدل على زندقته ومجوسيته[2].

سنة ٢٢٧ هـ

---

[1] تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٧ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٢٩٥.

[2] تاريخ الطبري/ جـ٩ ص١١١-١١٤ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٣٠٦ .

ـ وفاة المعتصم: توفي المعتصم سنة ٢٢٧ هـ، عن عمر بلغ ٤٨ سنة، ومدة خلافته اقل من تسع سنوات، وقد استخدم المعتصم من الأتراك خلقاً عظيماً، وكان له همة عالية في الحرب ومهابة عظيمة في القلوب، وكانت نهمته في الإنفاق في الحرب لا في البناء، وهو يشبه مروان الأموي في همته الحربية وشجاعته[١].

ـ خلافة الواثق: كان الواثق أشد الناس اندفاعا بالقول بخلق القرآن يدعو إليه باستمرار، أتباعا لما كان عليه أبوه وعمه، فقام الفقيه احمد بن نصر الخزاعي يدعو الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق. وقد قتل الواثق احمد بن نصر الخزاعي سنة ٢٣١ هـ، بعد أن أبى أن يستجيب له بالقول ببدعته[٢].

سنة ٢٣٢ هـ

ـ وفاة الواثق: سنة ٢٣٢ هـ، في هذه السنة مات الواثق بعلة الاستسقاء (انتفاخ البطن) وهو ابن ٣٦ سنة[٣]، وكانت مدة خلافته خمس سنين وكانت وفاته بسر من رأى التي كان يسكنها في القصر الهاروني[٤].

---

١ **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص١١٩.**

٢ **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص١٢٣ وابن كثير/ جـ ١٠ .**

٣ **يلاحظ من أعمار الخلفاء العباسيين والأمويين والأئمة العلويين إن متوسط عمرهم في الغالب اقل من أربعين سنة، إلا قلة منهم جاوزوا الستين من العمر، ويبدو إن الأمراض والحوادث وغيرها كانت من أهم أسباب قلة أعمار الخلفاء، وهذا يرد قول الغلاة ورواياتهم المكذوبة، بان موت بعض العلويين مبكراً كان بسبب غدر منافسيهم، بل إن ذلك كان مما اشتركوا فيه مع منافسيهم العباسيين والأمويين، والله اعلم**

٤ **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص١٥٠.**

- خلافة المتوكل: تولى الخلافة بعد أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ، وكان ذا عقل وحكمة وأناة وغيرة على الإسلام حارب البدعة وأقام السنة وأمر أهل الذمة أن يتميزوا عن المسلمين، ومنعهم من بناء كنائس لهم في دار الإسلام، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض. وفي سنة ٢٣٥هـ أتى المتوكل بيحيى بن عمر بن زيد بن علي بن الحسين العلوي من بعض النواحي التي خرج فيها وتبعه بعض أنصاره فأمر بضربه فضرب عشرين مقرعة ثم حبس في المطبق. وفي سنة ٢٣٦ هـ أمر المتوكل بهدم بعض القبور التي بولغ بالاهتمام بها وتقديس ساكنيها وأمر بإظهار التوحيد ومحاربة الشرك والبدع. وفي سنة ٢٣٧ هـ أمر بإنزال جثة احمد بن نصر الخزاعي وتسليمه إلى أوليائه. وأهم ما حدث في عصر المتوكل رجوعه عن بدعة المعتزلة وإظهاره للسنة وعقيدة السلف الصالح، فكتب إلى الأفاق بالمنع من الكلام في مسائل الكلام، والكف عن القول بخلق القرآن. وأمر الناس أن لا يشتغل احد إلا بالكتاب والسنة، ثم اظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه فاجتمع به وأكرمه وأمر له بجائزة سَنيّة، فلم يقبلها ثم رجع إلى بغداد. وعادت في زمن المتوكل الهيبة والجلال لأهل الحديث وارتفعت السنة والاهتمام بالحديث في أيام المتوكل، وكان لا يولّي أحدا إلا بعد مشورة الإمام احمد بن حنبل، وقد ظهر لأول مرة في التاريخ الإسلامي مصطلح أهل السنة والجماعة تمييزاً لهم عن أهل البدعة والافتراق من المعتزلة ودعاة الغلو والطائفية وقد كان من مآثر المتوكل أيضا اهتمامه بالعلويين وأئمة أهل البيت فاستدعى إليه في سامراء الإمام العلوي علي الهادي بن محمد الجواد، فجاء علي الهادي مع ابنه الحسن العسكري إلى قصر الخلافة في سامراء،ولما دخل عليه استنشده المتوكل شعراً فأنشد قصيدة مطلعها:

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

فبكى المتوكل ومن في مجلسه تأثراً، واسكنه المتوكل بقربه، ثم سكن بعدها علي الهادي وابنه العسكري في محلة تعرف بالعسكر بسامراء. ويعد المؤرخون عصر المتوكل نهاية العصر العباسي الأول، وهو يمثل أيضا المرحلة الأخيرة في العصر الإسلامي المشترك، وقد حاول المتوكل -كما حاول قبله عمر بن عبد العزيز الأموي- أن يرجع بالحكم الإسلامي إلى عصر الخلافة الراشدة، وان يهتم بالسنة والعلوم الشرعية من جهة ويحارب البدع وأفكار الغلو وأهل الكلام وأنصار الأفكار الدخيلة والمستحدثة، ومن جهة أخرى حاول أن يصل رحمه العلويين، وان يقرب أئمة أهل البيت إليه ويستشير العلماء والفقهاء في إدارة شؤون الدولة، ولكنه لم يستطع أن يواصل هذه المسيرة للتغير الهائل والتبدل الكبير في البنية الاجتماعية والفكرية والسياسية في المجتمع الإسلامي، فكانت السياسة أقوى من المبدأ وكان الغلو أشرس من الوسطية وكان الحقد والشعوبية والطائفية تحكم مزاج الناس أكثر من المحبة والتسامح والإخوة، فدفع المتوكل حياته ثمناً لمواجهة أهل البدع والانحراف والتنافس على الدنيا[1].

سنة ٢٤١ هـ

- وفاة الإمام احمد بن حنبل: توفي سنة ٢٤١ هـ، وله من العمر ٧٧ سنة وكانت محنة احمد قد استمرت منذ أواخر حكم المأمون ثم خلافة المعتصم ثم الواثق وانفرجت خلال خلافة المتوكل، وكان الذين ثبتوا في الفتنة من العلماء خمسة: احمد بن حنبل وهو إمامهم، ومحمد بن نوح بن ميمون النيسابوري وقد مات في الطريق بعد اعتقاله مع احمد، ونعيم بن حماد الخزاعي وقد مات في السجن، وأبو يعقوب البوطي (تلميذ الإمام الشافعي) وقد مات في سجن الواثق وكان مثقلاً

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢٣٢.**

بالحديد لأنه لم يقل بخلق القرآن، واحمد بن نصر الخزاعي وقد قتله الواثق[١].

سنة ٢٤٤ هـ

- محاولة نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق: في سنة ٢٤٤ هـ حاول المتوكل الانتقال من سامراء في العراق إلى دمشق في الشام، وقد دخل دمشق في أبهة الخلافة وكان عازماً على الإقامة بها وأمر بنقل دواوين الملك إليها وأمر ببناء القصور فيها فأقام بها مدة، ولكنه استعذب هواء العراق وماءه ورأى كثرة الأمطار والثلوج في شتائها فضجر منها فجهز بعثاً منها إلى بلاد الروم ثم رجع في آخر السنة إلى سامراء بعدما أقام بدمشق حوالي ثلاثة أشهر ففرح به أهل بغداد فرحاً شديداً[٢] .

سنة ٢٤٧ هـ

- مقتل المتوكل: في سنة ٢٤٧ هـ، قتل المتوكل على يد ولده المنتصر، وكان سبب قتله أن أمر ابنه وولي عهده عبد الله المعتز أن يخطب بالناس في يوم جمعة فأداها بشكل بليغ ومؤثر، فحقد المنتصر وهو ولي العهد الثاني (وهو أكبر من أخيه المعتز) وحنق على أبيه وأخيه، فزجره أبوه وضربه وهدد بعزله عن ولاية العهد، وكان للمنتصر هذا أتباع من أهل البدع والاعتزال ومنهم بعض الأمراء، فتمالأ المنتصر وأنصاره من الأمراء على الفتك به في عيد الفطر فدخلوا عليه ليلة الأربعاء في الرابع من شوال وهو على السماط (المائدة) فابتدروه بالسيوف وقتلوه، ثم ولوا بعده ولده المنتصر وسجنوا

١ تاريخ ابن كثير/ جـ ١٠ ص ٣٤٩.

٢ تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢١٠ وابن كثير/ جـ ١٠ ص ٣٦٠.

أخاه المعتز. وكان المتوكل محباً لرعيته قائما في نصرة الحديث والعلم والعلماء، واخمد أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتهارها. وكان له من العمر يوم قتل أربعون سنة، وكانت مدة خلافته ١٥ سنة[١].

سنة ٢٤٨ هـ

- وفاة المنتصر: توفي سنة ٢٤٨ هـ بعد أن مكث في الخلافة ستة أشهر عن عمر ٢٥ سنة، إذ عرضت له علة كان فيها حتفهُ[٢].

- خلافة المستعين: وهو أبو العباس احمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم، بويع له بالخلافة يوم مات المنتصر سنة ٢٤٨ هـ وقد خرج عليه ابن عمه عبد الله المعتز الذي كان ولي عهد المتوكل قبل مقتله، واستطاع أن يخلعه، ويصبح هو الخليفة من بعده[٣].

سنة ٢٤٩ هـ

- علي بن الجهم: وهو قرشي وأحد الشعراء المشهورين، وكان من أهل البدع وعلى رأس فرقة الجهمية المعروفة، وله تحامل على علي بن أبي طالب، وقد كان المتوكل غاضباً عليه، ونفاه إلى خراسان، قتل في طريقه من الشام إلى العراق سنة ٢٤٩ هـ، قتله أناس من بني كلب[٤].

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢٢٢.

[٢] تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢٥١.

[٣] تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢٥٦.

[٤] تاريخ تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢٦٤ وابن كثير/ جـ ١٠ ص٣٦٣.

سنة ٢٥٠ هـ

- خروج يحيى بن عمر: سنة ٢٥٠ هـ، خرج على المستعين في الكوفة، وهو أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فاجتمع إليه خلق من الأعراب فدخل الكوفة، فاحتوى على بيت مالها وفتح السجن والتف حوله من الزيدية وغيرهم من أهل الكوفة. كما تولاه بعض أهل بغداد، وشرع في تحصيل السلاح ودخل في جيشه كثير من الفرسان والمشاة من عامة أهل الكوفة، فقاتل جيش الخليفة الذي كان على رأسه محمد بن عبد الله بن طاهر، فانهزم أصحاب يحيى بن عمر وقتل يحيى أثناء المعركة[١].

- خروج الحسن بن زيد في طبرستان: خرج سنة ٢٥٠ هـ، في أيام المستعين بناحية طبرستان، وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو ثاني حسني يملك -إذ ملك في المشرق- بعد الأدارسة في المغرب واجتمع للحسن بن زيد إمارة طبرستان بكمالها، ثم بعث إلى الري فأخذها أيضا، وصار إلى جند همذان. وفي سنة ٢٥٥ هـ حدثت معركة بين مفلح (قائد جيش الخليفة) وبين الحسن بن زيد فهزمه مفلح وهرب الحسن بن زيد إلى الديلم[٢].

- خروج أحمد بن عيسى الحسيني: سنة ٢٥٠ هـ خرج بالري احمد بن عيسى بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام المستعين، وخرج معه إدريس بن موسى بن عبد الله المحض الحسني، فصلى بالناس العيد في ذي الحجة احمد بن عيسى ودعا إلى الرضا من آل محمد، فالتقى جيشه بالجيش العباسي بقيادة

---

[١] **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢٦٦-٢٧٠ وابن كثير/ جـ ١٠ ص٣٦٨.**

[٢] **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢٧١-٢٧٦.**

محمد بن عبد الله بن طاهر وهزمه واستفحل بعدها أمر احمد بن عيسى الحسيني[1].

سنة ٢٥١ هـ

- خروج المعتز: سنة ٢٥١ هـ، إذ وقعت في هذه السنة فتنة بين جند بغداد وجند سامراء، فسار المستعين في حرّاقة (مركب نهري حربي) من سامراء إلى بغداد فنزل دار قائده محمد بن عبد الله بن طاهر، فاستغل الأمراء الأتراك غياب المستعين فاخرجوا عبد الله المعتز وأخاه المؤيد من السجن فخرجا على الخليفة المستعين، فبايع أهل سامرا المعتز واستحوذ على بيت المال، وكتب كل من المعتز والمستعين إلى موسى بن بغا الكبير -وهو مقيم بأطراف الشام لحرب أهل حمص- يدعوه إلى نفسه. فركب موسى مسرعاً إلى سامرا مكان المعتز، ثم عقد المعتز لأخيه أبي احمد بن المتوكل على حرب المستعين، وجهز معه جيشاً لذلك، وكان مع المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر، إذ نزل داره، ولكنه سرعان ما أيد المعتز وسعى إلى خلع الخليفة المستعين وتسلم منه جوهر الخلافة (وهي بردة النبي ﷺ وحربته وبقية أرث الخلافة) وأرسله إلى المعتز[2].

- خروج الكوكبي سنة ٢٥١ هـ، خرج الحسين بن احمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين السبط في خراسان ويعرف بالكوكبي، وفي سنة ٢٥٣ هـ التقى موسى بن البغا الكبير مع الكوكبي وانهزم أصحاب الكوكبي وفر الكوكبي إلى الديلم.

---

[1] **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢٧٥ وابن كثير/ جـ ١٠ ص٣٧٠.**

[2] **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٢٨٢.**

- وخرج إسماعيل العلوي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى، وظهر بمكة سنة ٢٥١ هـ، فهرب نائبها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العباسي، وانتهب منزله ومنازل أصحابه، واخذ ما في الكعبة من الذهب والفضة وكسوة الكعبة، ولقي منه أهل مكة كل بلاء وقتل من الحجيج ألفاً ومائة وسلبهم أموالهم. وهلك سنة ٢٥٢ هـ[١].

- وخرج أيضاً بالكوفة في هذه السنة، الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين السبط، فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان فاقتتلا وهزم الحسين بن محمد وقتل من أصحابه خلق كثير[٢].

سنة ٢٥٢ هـ

- مقتل المستعين: سنة ٢٥٢ هـ، وقد استقرت الخلافة باسم عبد الله المعتز بن جعفر المتوكل بن المعتصم، بعدما خلع المستعين نفسه وبايع المعتز، وكان ذلك في مستهل سنة ٢٥٢ هـ، ثم ما لبث المستعين أن خرج على المعتز بعد أن خرج من بغداد إلى واسط، فأرسل له المعتز جيشاً بقيادة أحمد بن طولون التركي، فقتل في شوال من سنة ٢٥٢ هـ في القاطول في جنوب بغداد[٣].

سنة ٢٥٤ هـ

- وفاة الإمام علي الهادي: سنة ٢٥٤ هـ، وهو من أبرز أئمة أهل البيت العلويين في عصره، وكان عابداً زاهداً، استدعاه المتوكل إلى

---

[١] **تاريخ الطبري/ جـ ٩ ص٣٤٦.**
[٢] **تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ١١.**
[٣] **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٣٦٢-٣٦٥.**

سامراء محبة وتكريماً ووصلاً، فأقام بها أكثر من عشرين سنة ومات فيها، وكانت ولادته ونشأته في أرض النبوة وأرض أجداده المدينة المنورة.

سنة ٢٥٥ هـ

- مقتل المعتز بن المتوكل: سنة ٢٥٥ هـ، وبعد سيطرة الأمراء الأتراك على خلافة بني العباس وتحكمهم في مصير الخلفاء خلع المعتز نفسه مجبراً من قبل الأتراك ثم قتلوه بعد خمسة أيام من خلعه، وكان عمره يوم قتل دون الثلاثين، وكانت مدة خلافته أربع سنين ونصف السنة[١].

---

١ **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٣٩٠ وابن كثير/ جـ ١١ ص ١٨.**

٢ـ عصر الافتراق:

أـ العصر العباسي الثاني

سنة ٢٥٦ هـ

-مقتل المهتدي بالله: بويع له بالخلافة سنة ٢٥٥ هـ بعد مقتل المعتز، وهو أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن الواثق بن المعتصم، وكان حازماً عادلاً مستقيماً، أمر بنفي القيان والمغنين من سامرا وأمر بقتل السباع والنمور وقتل الكلاب المعدة للصيد، وأمر بإبطال الملاهي ورد المظالم وان يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، تمالأ عليه الأتراك فقتلوه، وكانت مدة خلافته اقل من ستة أشهر بأيام. قتل في رجب سنة ٢٥٦ هـ وكانت ولادته سنة ٢١٩ هـ، وعمره ٣٧ سنة، وكان المهتدي من أحسن الخلفاء ديناً وأجودهم طريقة وأكثرهم ورعا وعبادة، وكان يحب الاقتداء بما سلكه عمر بن عبد العزيز الأموي في خلافته من الورع والتقشف. وكان من عزمه أن يقضي على قوة الأتراك الذين أهانوا الخلفاء وأذلوهم وانتهكوا منصب الخلافة[١] .

- خلافة المعتمد: سنة ٢٥٦ هـ، وهو أحمد بن المتوكل، بويع بالخلافة سنة ٢٥٦ هـ قبل خلع المهتدي وقتله بأيام[٢].

- خروج علي بن زيد الطالبي: سنة ٢٥٦ هـ خرج في الكوفة رجل يقال له علي بن زيد الطالبي، وأرسل المعتمد جيشاً إليه فكسره الطالبي واستفحل أمره بالكوفة وقويت شوكته[٣].

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٤٥٦-٤٦٩ وابن كثير/ جـ ١١ ص ١٩.
[٢] تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٤٧٤ وابن كثير/ جـ ١١ ص ٢٧.
[٣] تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٣٢٨.

- خروج صاحب الزنج: سنة ٢٥٦ هـ، ظهر رجل في البصرة زعم انه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد الحسيني، ولم يكن صادقاً وإنما كان أجيرا من عبد القيس واصله من قرى الري، وقد التف حوله خلق من الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ من الأرض، ثم اجتمع معه عدد كبير، وكروا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً، وخافه أهل البصرة[١].

- وفاة الإمام البخاري: ولد محمد بن إسماعيل البخاري سنة ١٩٤ هـ إمام الحديث في عصره، مات أبوه وهو صغير ونشأ في حجر أمه، وكان يحفظ وهو صغير عدداً كبيراً من الأحاديث سرداً. وممن روى عن البخاري، مسلم والترمذي (في جامعه) والنسائي (في سننه)، وقد اجتمع مع الإمام احمد بن حنبل فحثه على المقام في بغداد، وكان يلومه على الإقامة بخراسان، للحاجة إلى علمه في عاصمة الإسلام. توفي سنة ٢٥٦ هـ زمن المعتمد، وكان عمره يوم مات ٦٢ سنة، إذ قدم من بلده بخارى إلى بلدة خرتنك على بعد فرسخين من سمرقند ومرض فيها ثم مات[٢].

سنة ٢٦٠ هـ

- ابن مفلح وصاحب الزنج: وقد توجه موسى بن بغا في هذه السنة إلى حرب الزنج، وخرج عبد الرحمن بن مفلح إلى بلاد الأهواز نائباً عليها فهزم عبد الرحمن هذا جيش الخبيث صاحب الزنج وقتل من الزنج خلقاً كثيراً واسر طائفة كبيرة منهم وأرعبهم بحيث لم يتجاسر الزنج على موافقة زعيمهم ثانية[٣].

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٤٧٠-٤٧٣ وابن كثير/ جـ ١١ ص ٢١.
[٢] تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٢٧-٢٨.
[٣] تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٣٤.

- وفي سنة ٢٦٠ هـ قتل صاحب الزنج علي بن زيد الطالبي صاحب الكوفة وفرق أتباعه في الكوفة وفي سنة ٢٦٥ هـ دخل صاحب الزنج النعمانية فقتل وحرق ثم سار إلى جرجيريا ثم حاصر الزنج تستر حتى كادوا يأخذونها فوافاهم تكين البخاري وناجزهم وهزمهم هزيمة منكرة[١].

سنة ٢٦٥ هـ

- أحمد بن طولون: في سنة ٢٦٥ هـ، حاصر أحمد بن طولون نائب مصر عن الخليفة مدينة أنطاكية فأخذها من عاملها وجاءته هدايا من ملك الروم، فاجتمع لأحمد بن طولون ملك الشام بكماله مع مصر، وكان قبلها قد دخل دمشق وحمص وحلب، فأسس الدولة الطولونية[٢].

سنة ٢٧٠ هـ

- مقتل صاحب الزنج: سنة ٢٧٠ هـ، بعد أن فرغ الموفق بالله أخو المعتمد على الله من بناء الموفقية التي بناها بالقرب من مدينة المختارة (مدينة صاحب الزنج) ليتقوى بها على حرب صاحب الزنج، شن حربه على المختارة واحتاز ما كان فيها من الأموال وقتل من كان بها من الرجال، ثم ظفر بصاحب الزنج وقتله، ورجع بعدها إلى مدينته الموفقية. وقد استمرت فتنة صاحب الزنج ١٥ سنة، إذ ظهر سنة ٢٥٥

---

[١] **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٦٥٤ وابن كثير/ جـ ١١ ص ٤٠.**
[٢] **تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٤٠.**

هـ وهلك سنة ٢٧٠ هـ[١]. وأسس دولة قوية كادت أن تهدد دولة الخلافة لولا شجاعة وهمة الموفق وعزمه على القضاء عليه[٢].

- وفاة أحمد بن طولون: سنة ٢٧٠ هـ، وهو أمير مصر وباني جامع ابن طولون في مصر، وقد ملك الشام أيضا لفترة طويلة. وكان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون سنة ٢٠٠ هـ، وقد ولد احمد سنة ٢١٤هـ، ونشأ في صيانة وعفاف ودراسة للقرآن الكريم. ولي نيابة مصر للمعتز سنة ٢٥٤هـ. وكانت له صدقات كثيرة، ثم ملك دمشق بعد أميرها ماخور سنة ٢٦٤ هـ فأحسن إلى أهلها أيضا، وتوفي في مصر من علة إصابته وقد ترك من الأموال شيئاً كثيراً. فخلفه ابنه خمارويه. وفي سنة ٢٧٩هـ قدم الحسين بن عبد الله المعروف بالجصاص من مصر بهدايا عظيمة من خمارويه بن احمد بن طولون إلى المعتضد، فتزوج المعتضد بابنة خمارويه (قطر الندى) فجهزها أبوها بجهاز لم يسمع بمثله[٣].

- وفاة الحسن بن زيد العلوي: سنة ٢٧٠ هـ، وهو صاحب طبرستان، كانت ولايته حوالي ٢٠ سنة، وكان الحسن بن زيد كريماً جواداً يعرف الفقه والعربية، وقام من بعده بالأمر أخوه محمد بن زيد[٤].

---

[١] **حركة الزنج من الحركات المغالية الباطنية التي تظهر الإسلام وتبطن الزندقة، شأن الخرمية قبلها والقرمطية بعدها، وغيرها من الحركات الباطنية الهدامة، التي كان يدعمها المجوس واليهود لهدم الإسلام والقضاء على دولته وحضارته.**

[٢] **تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٤٧.**

[٣] **تاريخ الطبري/ جـ٩ ص٦٦٦.**

[٤] **تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٥٠.**

- وفاة الإمام داود بن علي الظاهري: سنة ٢٧٠ هـ، وهو إمام أهل الظاهر، وكان مولده في سنة ٢٠٠ هـ، وقيل إن أصله من اصبهان وولد في الكوفة ونشأ في بغداد ورحل إلى المغرب والأندلس، وكان شافعياً ثم تحول إلى المذهب الظاهري[١].

سنة ٢٧١ هـ

- خروج محمد وعلي ابني الحسين: وهما ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر الصادق، دخلا المدينة سنة ٢٧١ هـ فقتلا خلقاً من أهلها وأخذا أموالا جزيلة، وتعطلت الصلاة في المسجد النبوي أربع جمع، ولم يحضر الناس فيه جمعة ولا جماعة[٢].

سنة ٢٧٢ هـ

- هزيمة محمد بن زيد: سنة ٢٧٢ هـ، حيث سار نائب قزوين إلى محمد بن زيد صاحب طبرستان بعد أخيه، وكان بالري في جيش عظيم في الديلم، فاقتتلوا قتالاً شديداً وهزم محمد بن زيد وقتل من أصحابه ستة آلاف ويروي الطبري أن محمد بن زيد قد ضعف أمره بعد ذلك وقتل سنة ٢٨٧هـ[٣].

- وفاة أبي معشر الفلكي: توفي سنة ٢٧٢ هـ، واسمه جعفر بن محمد البلخي أستاذ عصره في صناعة التنجيم والفلك، وله تصانيف مشهورة. والظاهر أن الذي ينسب إلى جعفر الصادق من علم الرجز

١ تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٥١.

٢ تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٥٢.

٣ تاريخ الطبري/ جـ ١٠ ص٨١ وابن كثير/ جـ ١١ ص ٥٤.

والطرف واختلاج الأعضاء إنما هو لجعفر بن أبي معشر وليس للصادق فانه اجل من هذا وأعظم.

سنة ٢٧٨ هـ

- ظهور القرامطة: سنة ٢٧٨ هـ، وفي هذه السنة تحركت القرامطة. ويقول ابن كثير عن هذه الفرقة: إنهم فرقة من الزنادقة أتباع الفلاسفة من الفرس وغيرهم الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك، وكانوا يبيحون المحرمات، ويقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ويقال لهم القرامطة نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار وقيل إلى حمدان قرمط، وقيل أن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة في كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة. ثم اتخذ اثني عشر نقيباً وأسس لأتباعه دعوة ومسلكا يسلكونه ودعا إلى إمام أهل البيت، ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض، ويقال لهم المحمرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً لهم، ويقال لهم التعليمية نسبة إلى التعلم من الإمام المعصوم وترك الرأي ومقتضى العقل. وقد أسسوا جمعية سرية ذات مظاهر فلسفية وعسكرية وسياسية، لتقويض الإسلام ودولته وإقامة حكومة بديلة تدين بأفكارهم وعقائدهم المغالية. فأسسوا جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا في البصرة لبث أفكارهم الفلسفية والباطنية من خلال أطروحات عقلية جذابة، وحاولوا السيطرة على طرق الحج وطرق خراسان والهند التجارية للضغط السياسي على الخلافة، وقاموا بأعمال عسكرية وهجمات جنونية في الكوفة والبصرة والبحرين والأهواز واليمن والجزيرة، وقتلوا الكثير لنشر الذعر والخوف من بطشهم، ثم استفحل أمرهم حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام، فسفكوا دم الحجيج في داخل الحرم المكي،

وكسروا الحجر الأسود واقتلعوه من موضعه وذهبوا به إلى بلادهم على ساحل البحر (البحرين) في سنة ٣١٧ هـ، ثم لم يزل عندهم إلى سنة ٣٣٩هـ، وذلك بسبب ضعف الخلفاء وتلاعب الترك والعجم بمنصب الخلافة[١].

- وفاة الموفق: توفي سنة ٢٧٨ هـ، وكان أخوه المعتمد حين صارت الخلافة إليه قد عهد إليه بالولاية بعد أخيه جعفر ولقبه بالموفق بالله، وكان اسمه أبا احمد طلحة بن المتوكل. ولما انتصر على صاحب الزنج وقتله تلقب بناصر دين الله، وصار بيده مقاليد الأمور وكان يخطب له على المنابر مع الخليفة بل مقدماً عليه، وكان غزير العقل حسن التدبير يجلس للمظالم وعنده القضاة، وكان عالماً بالأدب والنسب والفقه وسياسة الملك وله محاسن ومآثر كثيرة. مات قبل أخيه المعتمد بستة أشهر بمرض النقرس وله من العمر ٤٧ سنة، ولما توفي اجتمع الأمراء على اخذ البيعة من بعده إلى ولده أبي العباس احمد بن الموفق ولقب المعتضد بالله فبايع له المعتمد بولاية العهد.

سنة ٢٧٩ هـ

- وفاة المعتمد: سنة ٢٧٩ هـ، مكث في الخلافة ٢٣ سنة وكان عمره يوم مات ٥٠ سنة، ولم يكن إليه مع أخيه شيء من الأمر. وكان المعتمد أول خليفة انتقل من سامرا إلى بغداد ثم لم يعد إليها احد من الخلفاء. بل جعلوا إقامتهم في بغداد[٢].

- خلافة المعتضد: سنة ٢٧٩ هـ، وهو أبو العباس احمد بن الموفق بن المتوكل كان من خيار خلفاء بني العباس، بويع له بالخلافة أثر

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ١٠ ص٢٣-٢٧ وابن كثير/ جـ١١ ص٧٠.

[٢] تاريخ الطبري/ جـ١٠ ص٢٩ .

موت المعتمد، وهو الذي تزوج قطر الندى بنت خمارويه نائبه على مصر.

سنة ٢٨٦ هـ

-تفاقم خطر القرامطة: سنة ٢٨٦ هـ، ظهر أبو سعيد الجنّابي رأس القرامطة (وهو الحسن بن بهرام الجنّابي) بنواحي البصرة، فالتف حوله الأعراب وغيرهم كثير، وقتل من حوله من أهل القرى، وفي سنة ٢٨٧ هـ جهز الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً وأمر عليهم العباس بن عمرو الغنوي وأمره على اليمامة والبحرين ليحارب أبا سعيد، وكان العباس في عشرة آلاف مقاتل، فأسرهم أبو سعيد كلهم ولم ينج منهم إلا الأمير وحده، وقتل الباقون عن آخرهم صبراً. ثم عادت القرامطة بسواد الكوفة، وقصدت دمشق وتفاقم الحال بهم[1].

سنة ٢٨٨ هـ

- وفاة المعتضد: وهو احمد بن الأمير أبي احمد الموفق بن المتوكل، ولد سنة ٢٤٢ هـ، وتولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ وتوفي سنة ٢٨٨ هـ، وكانت خلافته اقل من عشر سنين، وكان أمر الخلافة قد ضعف في أيام عمه المعتمد، فلما ولي المعتضد أقام شعارها وجدد هيبتها، وكان شجاعا فاضلا. ولم يبلغ الخمسين من عمره، وترك بعد وفاته في بيت المال خزينة عامرة فيها أكثر من ١٧ مليون دينار، وكان يمسك عن صرف الأموال من غير وجهها ويذكر ابن كثير أن

[1] تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٩١.

هناك من يعده من الخلفاء الراشدين المذكورين في حديث جابر بن سمرة الذي يذكر اثني عشر خليفة كلهم من قريش[1].

- خلافة المكتفي: ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٨٨ هـ وعمره ٢٥ سنة. وتوفي سنة ٢٩٥ هـ وكان عمره ٣٢ سنة. وفي أيامه وفي سنة ٢٨٩ هـ فتحت أنطاكية وكان فيها من أسارى المسلمين بشر كثير، وفي هذه السنة أيضا انتشرت القرامطة في الآفاق وقطعوا الطريق على الحجيج وتسمى بعضهم بأمير المؤمنين[2].

سنة ٢٩٠ هـ

- مقتل ابن زكرويه القرمطي: قُتل يحيى بن زكرويه بن مهرويه أبو القاسم القرمطي المعروف بالشيخ على باب دمشق سنة ٢٩٠هـ، قتله رجل من المغاربة من جملة جيش المصريين فقام بأمر القرامطة من بعده أخوه الحسين وتسمى بأحمد وتكنى بأبي العباس وتلقب بأمير المؤمنين وأطاعه القرامطة فحاصر دمشق وحمص وحماة ومعرة النعمان، فقهر تلك النواحي واستباح أموالهم وحريمهم[3].

سنة ٢٩٢ هـ

- مقتل ابن خمارويه: سنة ٢٩٢ هـ، دخل محمد بن سلمان في نحو عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفي إلى مصر لقتال هارون بن خمارويه فبرز له هارون فاقتتلا فقهره محمد بن سلمان، وجمع آل

---

[1] تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٩٢.
[2] تاريخ الطبري/ جـ١٠ ص٨٨ وابن كثير/ جـ ١١ ص ١٠١.
[3] تاريخ الطبري/ جـ١٠ ص٩٧-١٠٨ وابن كثير/ جـ ١١ ص ١٠٢.

طولون وكانوا ١٧ رجلاً فقتلهم واستحوذ على أموالهم وأملاكهم وانقضت دولة الطولونية في مصر، وكتب بالفتح إلى المكتفي[1].

سنة ٢٩٤ هـ

- هزيمة القرامطة: سنة ٢٩٤ هـ، اعترض زكرويه في أصحابه إلى الحجاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة فقتلهم عن آخرهم وأخذ أموالهم وسبى نساءهم، ولما بلغ الخليفة المكتفي خبر الحجيج جهز جيشا كثيفا، فالتقوا معه وقاتلوا قتالا شديدا، فضرب احد الجند زكرويه بالسيف فقتله واحتوى عسكر الخليفة على ما كان بأيدي القرامطة من الأموال، وقتل أصحاب القرمطي، وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم[2].

سنة ٢٩٥ هـ

- خلافة المقتدر: سنة ٢٩٥ هـ، وفيها تولى المقتدر الخلافة وكان عمره ١٣ سنة، وهو المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد، وفي سنة ٢٩٦ هـ اجتمع الأمراء والقضاة على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم، ولقب بالمرتضى فما مكث بالخلافة إلا يوماً، ثم انتصر المقتدر وقتل معظم من خرج عليه واعتقل ابن المعتز ثم قتله، ثم صفح المقتدر عن بقية من اشترك في الفتنة[3].

---

[1] **تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ١٠٥.**

[2] **تاريخ الطبري/ جـ١٠ ص١٣٠-١٣٢.**

[3] **تاريخ الطبري/ جـ١٠ ص١٣٩ وابن كثير/ جـ ١١ ص ١١٥.**

سنة ٣٠١ هـ

- مقتل أبي سعيد الجنّابي: سنة ٣٠١ هـ، قُتل أبو سعيد صاحب القرامطة، قتله بعض خدمه، وعهد بالأمر من بعده لولده سعيد فغلبه عليها أخوه أبو طاهر سليمان الجنّابي[١].

سنة ٣٠٣ هـ

- وفاة النسائي: سنة ٣٠٣ هـ، توفي الإمام احمد بن علي النسائي صاحب السنن عن عمر ٨٨ سنة، كان افقه علماء مصر في عصره واعرفهم بالصحيح من السقيم من الآثار واعرفهم بالرجال، خرج في أواخر عمره إلى الرملة بفلسطين ثم ذهب إلى مكة فمات فيها[٢].

سنة ٣١٢ هـ

- أبو طاهر القرمطي: في سنة ٣١٢ هـ، اعترض أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنّابي القرمطي الحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام فقتل منهم خلقاً كثيراً واسر نساءهم وأبناءهم واخذ أموالهم[٣].

- ظهور محمد بن إسماعيل بالكوفة: سنة ٣١٢ هـ، ظهر رجل بين الكوفة وبغداد وادعى انه محمد بن إسماعيل بن محمد. والتف حوله جمع من الناس وقويت شوكته، وهذا المدعي المذكور هو رئيس الإسماعيلية وهو أولهم[٤].

---

[١] تاريخ الطبري/ جـ١٠ ص١٤٨ وابن كثير/ جـ ١١ ص ١٢٩.
[٢] تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ١٣١.
[٣] تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ١٦١.
[٤] تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ١٦٢.

سنة ٣١٣ هـ

- مهدي القرامطة: في سنة ٣١٣ هـ اتصل جمع من أتباع محمد بن إسماعيل بالقرامطة، وادعوا انه مهدي جماعة القرامطة.

سنة ٣١٦ هـ

- القرامطة وهدم الكعبة: في سنة ٣١٦ هـ عاث أبو طاهر سليمان الجنّابي في الأرض فساداً، حاصر الرحبة فدخلها وطلب منه أهل قرقيسيا الأمان فأمنهم، ثم جهز الخليفة المقتدر جيشا كثيفا مع مؤنس الخادم فاقتتلوا مع القرامطة فقتلوا من القرامطة خلقا كثيرا. وفوض القرامطة أمرهم إلى رجل يقال له حريث بن مسعود ودعوا إلى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب جد (العبيديين)[1].

وفي سنة ٣١٧ هـ خرج القرمطي في جماعته يوم التروية فانتهب أموال الحجاج واستباح قتلاه وأمر أن يدفن القتلى في بئر زمزم وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين أصحابه، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود وأخذوه معهم إلى بلادهم فمكث عندهم ٢٢ سنة، حتى رده العباسيون في سنة ٣٣٩ هـ[2]. وفي سنة ٣٢٩ هـ مات أبو طاهر بن أبي سعيد.

وقد كان القرامطة ممالئين للعبيديين الذين ظهروا ببلاد أفريقيا وكان يلقب أميرهم بالمهدي، وهو أبو محمد عبيد الله بن ميمون القداح وقد كان صباغاً بسلمية، ويذكر أنه كان يهوديا فأسلم، ثم سافر من سلمية فدخل بلاد افريقية وادعى انه شريف فاطمي وصدقه طائفة من

---

[1] **انظر تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ١٦٩.**

[2] **انظر تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ١٧١-١٧٢.**

الناس. وصارت له دولة ثم ابتنى مدينة في المغرب وسماها (المهدية) وكان قرار ملكه بها[1].

سنة ٣٢٠ هـ

- مقتل المقتدر: في سنة ٣٢٠ هـ قتل المقتدر بالله الخليفة وكان مولده سنة ٢٨٢ هـ، وبويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي وله من العمر ١٣ سنة ولهذا أراد الجند خلعه سنة ٢٩٦ هـ محتجين بصغره وعدم بلوغه وتولية عبد الله بن المعتز فلم يتم ذلك وانتقض الأمر في اليوم التالي، ثم خلعوه سنة ٣١٧ هـ وولوا أخاه محمداً القاهر فلم يتم ذلك سوى يومين، ثم عاد المقتدر وكان مؤثرا لشهواته مطيعا لغلمانه، كثير العزل والترف، وما زال ذلك دأبه حتى كان هلاكه على يدي غلمان مؤنس الخادم، فقتل وله من العمر ٣٨ سنة، وكانت مدة خلافته ٢٥ سنة تقريبا.

- خلافة القاهر: وهو محمد بن المعتضد (أخو المقتدر) ولقب بالقاهر بالله، تولى الخلافة بعد مقتل أخيه المقتدر بالله سنة ٣٢٠ هـ، وكان معروفا بسطوته وإقدامه وسرعة بطشه، فاجتمع عليه الأمراء الأتراك والقوا القبض عليه وسملوا عينيه في سنة ٣٢٢ هـ ثم أرسلوه، فتارة يحبس وتارة يخلى سبيله، وقد مات سنة ٣٣٣ هـ، وكان قد أودع بعد سمل عينيه دار الخلافة برهة من الدهر ثم أخرج إلى دار ابن طاهر قبل وفاته.

---

[1] **انظر تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ١٧٢.**

ب- عصر البويهي العباسي:

سنة ٣٢٢ هـ

- بنو بويه: في سنة ٣٢٢ هـ ابتدأ أمر بني بويه وظهور دولتهم وهم ثلاثة إخوة: عماد الدولة أبو علي الحسن، وركن الدولة أبو علي الحسين، ومعز الدولة أبو الحسين احمد أولاد أبي شجاع بويه بن قبا خسرو بن تمام، قيل يرجع نسبه إلى يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف الفارسي. وكانوا عند ملك يقال له (ماكان بن كاني) في طبرستان، فتسلط عليه مرداويج فضعف هذا الملك، فتشاورا في مفارقته فخرجوا عنه ومعهم جماعة من الأمراء فصاروا إلى مرداويج فأكرمهم واستعملهم على الأعمال في البلدان. واستولى عماد الدولة على أصبهان ثم أذربيجان ثم اخذ بلدانا كثيرة، واشتهر أمره وبعد صيته وخبره فقصده الناس محبة وتعظيما حتى آل به وبأخويه الحال إلى أن ملكوا بغداد من أيدي الخلفاء العباسين وصار لهم فيها القطع والعزل واليهم تجبى الأموال. وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بويه وبني حمدان والعبيديين وكل ملوك بلاد مصر والشام والعراق وخراسان وغالب بلاد المغرب، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة، في العصر البويهي خلال سني القرن الرابع الهجري[1].

- خلافة الراضي بالله: أبو العباس محمد بن المقتدر بالله، تولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ، بعد أن سملت الجند عين القاهر (وهو ابن أخ القاهر)، فقام الراضي بأعبائها وكان من خيار الخلفاء. توفي سنة ٣٢٩ هـ، وكانت خلافته ٧ سنين تقريبا، وكان عمره يوم مات ٣١ سنة بداء الاستسقاء.

---

[1] انظر تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص٢٣٠.

ـ وفاة عبيد الله بن المهدي: توفي المهدي صاحب افريقية وأول الحكام العبيديين (وهو أبو محمد عبيد الله المدعي انه علوي) سنة ٣٢٢ هـ وكانت ولايته ٢٤ سنة. تولى أمر الخلافة بعده ولده أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله، وكان ظهوره (أي المهدي) في سنة ٢٩٦ هـ، فلما ظهر زالت دولة بني العباس عن تلك الناحية.

سنة ٣٢٩ هـ

ـ خلافة المتقي لله: سنة ٣٢٩ هـ تولى المتقي لله إبراهيم بن المقتدر الخلافة بعد موت أخيه الراضي بالله وكان تقيا ورعاً، وكان كثير الصيام والصلاة وقال لا أريد جليسا ولا مسامرا، فالتف الشعراء والوزراء حول الأمير بجكم التركي، ولما استقر المتقي في الخلافة أنفذ الرسل والخلع إلى بجكم وهو بواسط، وفي عهده تسلط الأتراك الأمراء على الحكم وأقام الخليفة المتقي لله زمنا عند أولاد حمدان بالموصل.

وفي سنة ٣٣٣ هـ رجع الخليفة المتقي إلى بغداد وخلع من الخلافة وسملت عيناه من قبل تورون التركي، وكان قد عرض الإخشيد محمد بن طغج على المتقي أن يصير معه إلى الديار المصرية أو يقيم ببلاد الشام ولكنه لم يسمع وركب إلى بغداد، فكانت خلافة المتقي ثلاث سنين وخمسة أشهر[١].

سنة ٣٣٣ هـ

ـ خلافة المستكفي بالله عبد الله بن المكتفي بن المعتضد: كان عمره يوم بويع له بالخلافة سنة ٣٣٣ هـ إحدى وأربعين سنة، وقد ولي

---

١ **انظر تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٢٢٣.**

الخلافة سنة وأربعة أشهر، توفي في سنة ٣٣٨ هـ وهو معتقل في داره وله من العمر ٤٦ سنة.

- وفي هذه السنة مات القائم العبيدي وتولى ولده المنصور إسماعيل بعده.

- وفي هذه السنة اقبل معز الدولة احمد بن الحسن بن بويه في جحافل عظيمة من الجيوش قاصدا بغداد فلما اقترب منها بعث إليه الخليفة المستكفي بالله الهدايا وكتب ألقابهم على الدراهم والدنانير، ونزل معز الدولة بدار مؤنس الخادم، وبعد شهر خلع معز الدولة المستكفي وسمل عينه[1] وأودعه السجن حتى كانت وفاته سنة ٣٣٨ هـ، وبايع أبو القاسم بن المقتدر بالخلافة[2].

- خلافة المطيع: وهو أبو القاسم الفضل بن المقتدر، وفي زمنه ضعف أمر الخلافة حتى صارت إلى معز الدولة وذلك لان بني بويه ومن معهم من الديلم كان فيهم تعسف شديد وكانوا يرون أن بني العباس قد غصبوا الأمر من العلويين ولكنهم لم يقوموا بإرجاع الخلافة إلى العلويين، وقد نصح البويهيين احد علمائهم بأنه إذا جعل الخلافة إلى العلويين فانه لا يستطيع التحكم بالخلفاء وسيأمر الخليفة العلوي بقتلهم، وهكذا كانت السياسة أهم من المبدأ[3].

---

[1] إن عملية سمل عيون الخلفاء، من أكثر الطرق وحشية وهي طريقة ابتدعها العجم للسيطرة على الخلفاء وتحديد مصيرهم، وقد مارس الصفويون والقاجاريون -فيما بعد- هذه العادة مع الحكام الأمراء عند عزلهم، ويبدو أن سمل العيون عادة كسروية، مورست في بلاد فارس قبل مجيء الإسلام. انظر:لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د. على الوردي وغيره.

[2] انظر تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٢٢٦.

[3] تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٢٢٦.

واستمرت خلافة المطيع حتى عام ٣٦٣ هـ وقد أصيب بالفالج فثقل لسانه، فسأله قائد الجيش سبكتكين (التركي) أن يخلع نفسه ويولي ولده الطائع، فخلع نفسه وكان يسمى بعد خلعه بالشيخ الفاضل، والجدير بالذكر إن دور الأتراك لم يضعف في عهد البويهيين بل كان الأتراك يسيطرون على الجيش وقيادته وكان البويهيون مسيطرين على الحكم والخلفاء، وكان الترك يوالون أهل السنة وكان البويهيين يوالون الشيعة، فكان هذا العصر بحق عصر الافتراق الطائفي والصراعات والفتن، وقد اشتدت وكثرت في هذه الفترة، وكانت كفة القوة تتأرجح بين الأتراك والبويهيين، ففي عهد عضد الدولة البويهي وبعد وفاة معز الدولة ضعف أمرهم وقويت شوكة الأمراء الأتراك، وقد استمر العهد البويهي من سنة ٣٣٣ هـ حتى سنة ٤٥٠ هـ، وقد حكم بنو بويه الدولة العباسية في بغداد وكانت لهم فروع في (فارس وخوزستان) وكرمان و (همدان وأصبهان) والري وعمان، وكانت لهم أسر حاكمة في هذه الفروع عدا الأسرة الكبرى في بغداد، وكان الحاكم البويهي في بغداد يسمى أمير الأمراء وكان أقوى نفوذاً من الخليفة، وكان أمر الناس والخليفة بيده.

سنة ٣٣٨ هـ

- وفاة علي بن بويه: وهو أبو الحسن علي بن بويه، وهو أكبر أولاد بويه وأول من تملك فيهم وكان عاملا حميد السيرة، كان أول ظهوره سنة ٣٢٢ هـ، توفي سنة ٣٣٨ هـ عن عمر ٥٧ سنة وكان من كبار الملوك وكان الخلفاء يكاتبونه بأمير الأمراء، وكان أخوه معز

الدولة ينوب عنه في العراق والسواد وقد عهد من بعده إلى أخيه ركن الدولة[1].

سنة ٣٤١ هـ

- وفاة المنصور العبيدي : توفي سنة ٣٤١ هـ، وهو المنصور بن القائم بن عبيد الله المهدي صاحب المغرب وله من العمر ٣٩ سنة، وكانت خلافته ٧ سنين، وقد عهد بالأمر إلى المعز الفاطمي (الذي بنى القاهرة)، وكان عمره ٢٤ سنة، وفي زمنه قهر أبا يزيد الخارجي، وهو باني المنصورية ببلاد المغرب.

سنة ٣٤٩ هـ

- إسلام التركمان: وفي سنة ٣٤٩ هـ أسلم من الترك مائتا ألف نفس فسموا ترك إيمان ثم خفف اللفظ بذلك فقيل تركمان[2].

سنة ٣٥٠ هـ

- وفاة عبد الرحمن الناصر الأموي: سنة ٣٥٠ هـ توفي فيها الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس وكانت خلافته خمسين سنة وله من العمر يوم مات ٧٣ سنة وهو أول من تلقب بلقب أمير المؤمنين من الأمويين الداخلين إلى المغرب والأندلس حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق وتغلب الفاطميين فتلقب قبل موته بثلاث وعشرين سنة، ولما توفي قام بالأمر بعده ولده الحكم وتلقب بالمنتصر.

- دولة بني حمدان: تعدد قادة بني حمدان، وقد عاصروا البويهيين، وحكموا الموصل وحلب من سنة ٣٥٠ هـ وحتى سنة ٣٨٠ هـ في

---

[1] **تاريخ ابن كثير/ جـ ١١ ص ٢٣٥.**

[2] **تاريخ ابن كثير/ ج١١ ص٢٤٠.**

الموصل، ومن سنة ٣٤٠ هـ وحتى سنة ٤٠٦ هـ في حلب. وكان أشهرهم سيف الدولة أبو الحسن علي الحمداني (ت:٣٥٦ هـ) وكان ابرز وزرائه وشعرائه أبو فراس الحمداني ينافسه المتنبي المعروف، الذي فر بعد ذلك إلى مصر زمن حاكمها كافور الإخشيدي، وكان سيف الدولة أول حكام حلب من الحمدانيين، الذين كانوا على التشيع، ولكن لم يكن لديهم غلو ومنكرات كثيرة مثل القرامطة والعبيديين.

- دولة القرامطة الجنّابيين في البحرين: استمر حكم القرامطة في البحرين منذ مجيء أبي سعيد الجنّابي سنة ٢٨٦ هـ حتى وفاة حفيده الرابع أبي يعقوب يوسف بن الحسن بن احمد بن بهرام الجنّابي سنة ٣٦٦ هـ. وكان للقرامطة وجود في العراق واليمن ولكنه أقل أثرا من البحرين.

- دولة العبيديين (الفاطميين) في مصر والمغرب: أسس الدولة العبيدية أبو محمد عبيد الله المهدي المنسوب إلى العلويين الفاطميين وهو نسب باطل باتفاق المؤرخين، وقد حكم الدولة العبيدية في مصر والمغرب ١٤ حاكماً وكان يسمي الحاكم نفسه الخليفة لعدم اكتراثه بالخليفة الشرعي في بغداد (وقد حكموا من سنة ٣١٠ هـ حتى سنة ٥٦٧ هـ). بعد سقوط دولتهم على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي وتأسيس الدولة الأيوبية في مصر والشام سنة ٥٦٧هـ.

- الدولة الأيوبية: اتسع نطاق حكم الأيوبيين في مناطق عديدة ضمن الدولة الإسلامية فشمل إضافة إلى مصر، الشام والمغرب ومناطق من أفريقيا. وقد حكم الدولة الأيوبية تسعة أمراء ابتداءً من الناصر صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ حتى وفاة آخرهم الأشرف مظفر الدين سنة ٦٥٠ هـ.

جـ- العصر الأندلسي:

- الدولة الأموية في الأندلس: حكم الأمويون الأندلس بعد سقوط دولتهم في الشام ودخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي إلى الأندلس (ت:١٧٢ هـ) زمن المنصور العباسي، وتغلبه على الجيش العباسي الذي أرسل للقضاء عليه فسماه المنصور (صقر قريش) وكان هو وأبناؤه يحكمون الأندلس باسم الأمراء، حتى عام ٣٠٠ حين تراجع دور خلفاء بني العباس وضعف مركزهم في قيادة العالم الإسلامي، فأعلن حينذاك عبد الرحمن الناصر الأمير الثامن لأمراء بني أمية في الأندلس الخلافة وتسمى بها. وقد أسس الأمويون دولة قوية وحضارة راقية في الأندلس كانت الأساس الحقيقي للنهضة الأوربية الحديثة، وكانت جامعة قرطبة في الأندلس -فيما بعد- ثاني جامعة في العالم بعد الجامعة المستنصرية التي بناها العباسيون في أواخر عهدهم. واستمرت الخلافة الأندلسية من ٣٠٠ هـ حتى سنة ٤٢٨ هـ بعد وفاة آخر من تسمى بالخلافة وكان جديرا بها من الأمويين، وهو المعتمد بن المستكفي بن المستظهر وهو الخليفة الأموي التاسع والأخير في الأندلس، وقد تفرق أمر الأندلس بعد ذلك إلى دويلات وإمارات وصراعات وخروج كثيف ومتكرر أموي وعلوي وبربري وغيره، حتى سقطت الإمارات الأندلسية الواحدة تلو الأخرى بيد اسبانيا كطليطلة وسر قسطه واشبيلية وقرطبة وأخيرا غرناطة التي سقطت سنة ٨٩٩ هـ، وتعرض بعدها المسلمون في الأندلس لأبشع مذبحة صليبية قتل فيها مئات الألوف على يد محاكم التفتيش الصليبية الغاشمة المشهورة، وطرد بعدها أكثر من مليون مسلم إلى المغرب لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع الغربي مع المسلمين، تلك هي مرحلة الاحتلال والاستعمار الذي شمل المغرب

العربي وأفريقيا ومصر والهند وجنوب شرق آسيا وغيرها، أما إيران وتركيا المسلمتان فقد انشغلتا بحروب طائفية استمرت أكثر من ثلاثة قرون دمرت فيها قلاع الإسلام ومنابع حضارته وعلى رأسها بغداد وتبريز وأصفهان ودمشق وغيرها، حتى وقعت إيران وتركيا وبقية أمصار الدولة العثمانية فريسة لدول الغرب بعد سقوط الخلافة العثمانية في نهاية النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري [بعد سنة ١٩١٧ م] وتم تكريس التجزئة والتشتت والاستقلال لدول العالم الإسلامي، فظهرت للوجود أكثر من خمسين دولة إسلامية بدل الدولة الواحدة أو الدولتين أو بضع دول خلال الأربعة عشر قرنا الماضية، كما زرع الغرب المستعمر دولة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي، ليبدأ مرحلة الغزو الفكري والحضاري والاستعمار الثقافي العلماني للقضاء على الإسلام دولة وحضارة وتراثاً. والمسلمون في سبات وتخلف وطائفية واختلاف حتى كانت مشيئة الله سبحانه ورحمته، فهيأ لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، وشحذت الهمم ليبدأ عصر جديد هو عصر الصحوة الإسلامية والدعوة إلى الوحدة والتقريب والجهاد للوقوف في وجه الطغيان الغربي، ولاستنقاذ العالم الإسلامي من براثن الاستعمار والأفكار الدخيلة، والعودة بالمسلمين إلى النبع الصافي وتعاليم القرآن، واتخاذ الأسباب لنهضة جديدة للمسلمين، وإعادة بناء حضارة القرآن ليتسنى للمسلمين أصحاب الرسالة الإلهية استعادة دورهم في قيادة العالم نحو الحق والنور، فأصبحت بوادر تلك الصحوة تنير أصقاع الأرض في المشرق والمغرب بل حتى أوربا وأمريكا وغيرها من البلدان، بفهم جديد وروح جديدة تسري في الأمة لتحيي بوار النفوس وتواجه مكر الشيطان ونسج الباطل خلال القرون، قال

تعالى {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون}[1].

د- عصر النفوذ السلجوقي

- دولة السلاجقة: جاء السلاجقة الأتراك السنيون بعد البويهيين الروافض، وكانوا في الأصل مماليك ضمن دولة بني العباس ثم أصبحوا أمراء ثم أصبحوا حكاما وسلاطين، وقد حكم السلاجقة عدة مماليك في المشرق الإسلامي ثم حكموا بغداد وما حولها ضمن إطار خلافة بني العباس، أشهرهم طغرل بك وارسلان وملك شاه وغيرهم. وقد حكموا في خراسان وخوارزم من سنة ٤٣٠ هـ حتى سنة ٥٥٢ هـ وكانوا سبعة سلاطين ابتدئوا بطغرل بك وانتهوا بسنجر. أما في بغداد فقد حكموا منذ سنة ٥٠٠ هـ حتى سنة ٥٨٥ هـ، وكان أول سلاطينهم في بغداد (مغيث الدين بن محمد بن ملك شاه ت: ٥٢٥ هـ) وآخرهم طغرل (الثاني) بن ارسلان شاه (ت:٥٨٥ هـ) وبعد نهاية العصر السلجوقي استمر حكم بني العباس وقد ضعفت الخلافة في تلك الفترة بشكل كبير حتى أصبح الخليفة ذا دور شكلي ومنصب رمزي في حياة المسلمين ولا يسيطر إلا على جزء يسير من ارض المسلمين قد لا يتجاوز بغداد وما حولها، وأحيانا حتى هذه الرقعة لا تخضع لنفوذ الخليفة، بل كان الأمراء والحكام والسلاطين يحكمون الأمصار باسم هؤلاء الخلفاء الضعفاء وخصوصا في القرن السادس والسابع الهجريين حتى واقعة بغداد سنة ٦٥٦ هـ، وقد أدى ذلك الضعف إلى استثارة أطماع الغرب الصليبي إضافة إلى التشتت والشرذمة بين

[1] **الأنبياء ١٨.**

المسلمين، فاستطاع الصليبيون من احتلال أجزاء من بلاد الشام واغتصاب بيت المقدس لمدة ٧٠ سنة، وقد استطاع الناصر صلاح الدين الأيوبي استرجاعها وطرد الغزاة من فلسطين.

وممن حكم من الخلفاء العباسيين للفترة من ٥٨٥ هـ (بعد السلاجقة) حتى واقعة بغداد سنة ٦٥٦ هـ هم : الناصر بن المستضيء حكم من(٥٧٥-٦٢٢هـ)، والظاهر بن الناصر (ت ٦٢٣ هـ)، والمستنصر بن الظاهر (ت:٦٤٠ هـ) وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية الشهيرة، وأخيرا المستعصم بن المستنصر (ت:٦٥٦ هـ) الذي قتله هولاكو بعد احتلال بغداد مع أهل بيته والعلماء والفقهاء والقضاة الذين كانوا معه حين ذهبوا إليه لإعلان استسلامهم وخضوعهم له دون حرب بمكيدة ومشورة ابن العلقمي الذي أغرى هولاكو بسفك دمائهم وقتل الخليفة ومن معه حقداً على الخلافة الإسلامية، وبسقوط بغداد انتهى عصر الافتراق ليبدأ عصر اشد فرقة وطائفية هو العصر الطائفي والصراع الدموي.

وقد كانت أهم الأحداث في عصر الافتراق:

١- خلافة المعتمد وولي عهده الموفق.

٢- ظهور الزنج والقرامطة والعبيديين وغيرهم من دعاة الباطنية.

٣- سيطرة الأمراء الأتراك على الخلفاء العباسيين والتحكم بسياسة الدولة الإسلامية. وتفتت الدولة الإسلامية وتفشي الخروج والعصيان.

٤- ظهور بني بويه الفرس وسيطرتهم على دولة الخلافة في بغداد.

٥- ظهور بني سلجوق الأتراك وسيطرتهم على بغداد بعد البويهيين.

٦- تفشي الترف والركون إلى الدنيا، وضعف خلفاء بني العباس الأواخر وتفشي الصراع الطائفي والسياسي في مرافق الدولة وبين طوائف وفرق المسلمين.

٧- ظهور الدولة الأيوبية وصد الهجمات الصليبية وتحرير القدس الشريف ،وطرد الغزاة الأوربيين من بلاد الشام.

٣- العصر الطائفي:

وأبرز الأحداث السياسية والطائفية في هذا العصر:

١- سقوط بغداد على أيدي المغول عام ٦٥٦ هـ، ودور مؤيد الدين بن العلقمي وزير آخر خلفاء بني العباس (المستعصم). وخيانته وتواطؤه مع هولاكو، ومقتل الخليفة وأهل بيته وجمع من العلماء والأمراء والقادة وسقوط الدولة العباسية.

٢- سيطرة المغول على المشرق الإسلامي، وصد المسلمين المصريين لتوغلهم في بلاد الشام في عين جالوت، وتوقف المد المغولي.

٣- انتقال الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة ولكن دون أن يكون لها دور أو تأثير قوي على بقية الأمصار الإسلامية.

٤- ضعف الدولة الأموية في الأندلس التدريجي وسقوط قرطبة وغرناطة في أواخر القرن العاشر الهجري بعد الازدهار الذي شهدته خلال القرن الرابع والخامس.

٥- ظهور الدولة العثمانية وتوسعها في آسيا وأوربا.

٦- الصراع العثماني الصفوي حول السيطرة على بغداد والأمصار الإسلامية لمدة ثلاثة قرون.

٧- التحالف الصفوي الأوربي ضد العثمانيين.

٨- سقوط الدولة الصفوية وظهور الدولة القاجارية في إيران.

٩- سقوط دولة الخلافة العثمانية في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري.

٤- عصر الصحوة الإسلامية والتقريب:

وأهم مميزات هذا العصر:

١- السيطرة الاستعمارية على دول المسلمين وفرض التجزئة وتغذية الطائفية وتكريس التبعية للغرب.

٢- ظهور إسرائيل ودورها الخطير في التخريب والتجزئة وتنفيذ مخططات الغرب في العالم الإسلامي.

٣- الصحوة الإسلامية والصراع الإسلامي الغربي.

٤- النظام العالمي الجديد والعداء الغربي للإسلام .

٥- الوعي الإسلامي الشامل والمطالبة الشعبية بتطبيق الشريعة الإسلامية وتعاليم القرآن في واقع المسلمين .

٦- محاربة الطائفية والدعوة إلى الوسطية والاعتدال ونبذ البدع والمستحدثات والمكفرات بين المسلمين وتزايد الجهود المبذولة لإرساء مفاهيم التقريب والوحدة الإسلامية، مع تزايد دور المستشرقين الغربيين واليهود في بث الطائفية والخصومة والتجزئة بين المسلمين واستغلال ورقة الطائفية لإنهاك المسلمين بالحروب والصراعات المستمرة.

الخروج السياسي في العصر الإسلامي المشترك

لعل بعض المؤرخين والمحللين المهتمين بالخلافيات لم يصيبوا الحقيقة حين وضعوا الخروج السياسي وتراثه ضمن المواضيع الخلافية والصراع الطائفي، وتضاعف الخطأ حين أهملت أخبار الخروج والقيام لغير العلويين، وتم تسليط الضوء والتركيز على الخروج العلوي في هذه الحقبة والتركيز على مقاتل الطالبيين فحسب[1]، دونما اعتبار للوقائع والأحداث التاريخية التي تُجمع على أن ما أصاب الأمويين لم يكن قليلاً إذا ما قورن بمقاتل الطالبيين وكذلك العباسيين، أما الزبيريون فرغم قلة عددهم وانشغال أحفادهم بعد نكبة عبد الله بن الزبير بالعلم والرواية، فقد كان البيت الزبيري من أكثر بيوت قريش تعرضاً للقتل والتصفية، إذ قتل الزبير في وقعة الجمل، وقد بشر الإمام علي ﷺ قاتله بالنار، وقال بشروا قاتل ابن صفية بالنار، ثم قتل المنذر بن الزبير في أعقاب معركة الحرة، وعند حصار الحجاج لمكة قتل عبد الله بن الزبير بعد أن قتل أخوه مصعب في الكوفة، كل تلك الأحداث والمقاتل تجرنا إلى وضع الخروج ضمن الإطار السياسي وليس الديني وانه شمل القرشيين بل الأنصار أحيانا كما حدث في الحرة وحصار المدينة ومكة وحركة ابن الأشعث الكندي في الكوفة. والأمر الثاني الذي لا يقل أهمية عن تصنيف الخروج بوصفه من إفرازات الظرف السياسي والتنافس على الحكم، هو مدى مبدئية الخارجين. لقد حدث الخروج لدوافع عديدة، ولا يمكن أن نضع جميع الخارجين في ميزان واحد، فقد يكون الخارج من أهل الحق

---

[1] انظر مثلاً كتاب مقاتل الطالبيين/ لأبي الفرج الأصفهاني، حيث وضع الأصفهاني كتابه هذا، تملقاً للبويهيين الذين عاصرهم.

والمبدئية الإسلامية والحاكم اقرب إلى الخطأ والبغي كما هو الحال في خروج الحسين وابن الزبير وقد يكون العكس صحيحاً، كخروج معاوية على خلافة علي، وخروج عبد الملك على خلافة ابن الزبير، وخروج المختار وابن الأشعث على عبد الملك، وخروج إسماعيل العلوي بمكة، ومحمد وعلي ابنا الحسين ابن جعفر بالمدينة أيام المعتمد، وقد يكون الطرفان متساويين في المبدئية والدافع كخروج السفاح على مروان الأموي، وقد يكون الطرفان على خطأ يدفعهما حب الدنيا والتنافس على السلطة كخروج مروان على إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك وخروج المأمون على الأمين، وخروج المعتز على المستعين العباسي ثم خروج المستعين -بعد عزله- على المعتز والذي أدى إلى مقتله. ولهذا ليس من السهولة أن يجعل المحلل أو المؤرخ نفسه حكماً على شرعية الخروج وأسبابه[1]، ويمكن أن تدرس كل حالة على حدة لمعرفة الأسباب والدوافع المحتملة، ويبقى ذلك على وجه اليقين في علم الله سبحانه {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون}[2].

وإذا ما أردنا متابعة تاريخ الخروج في صدر الإسلام حتى مطلع العصر العباسي الثاني فسنرى إن الكثير من أحداث الخروج التي -رغم شرعية بعضها- قد سببت الكثير من المآسي والآلام عبر التاريخ، ولعل أحد أهم الأسباب التي كانت تحفز على الخروج ترك مبدأ الشورى وتبني الحكم الوراثي لدى الأمويين والعباسيين وكذلك

---

[1] إن ما ذكر أعلاه في تحديد أنواع الخروج ، إنما هو وجهة نظر شخصية، وليس بالضرورة أن يكون دقيقاً، فان ذلك بحاجة إلى بحث منفصل ودراسة تحليلية موسعة.

[2] البقرة ١٣٤ و ١٤١.

العلويين. والمحفز الثاني الذي هو نتيجة طبيعية للأول، هو اعتلاء غير ذوي الكفاءة والعدالة والقدرة، العرش والخلافة، وقد عُرف ذلك بعد الخلافة الراشدة، إلا أن عصر الخلافة الراشدة لم يسلم من حالات الخروج السياسي على الحاكم أو الخليفة، فإذا استثنينا عصر الشيخين أبي بكر وعمر الذي لم يشهد خروج أحد من المسلمين عليهما، عدا ظاهرة الردة وهي خروج عن الدين وارتداد إلى الكفر، وكانت رد فعل طبيعي للأعراب، خارج أطار القاعدة الصلبة في مكة والمدينة والطائف، التي ركز الرسول ﷺ عليها وعلى استقرار الإسلام فيها في حياته وقد قاد الردة مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي، وهم من اتفق العلماء على خروجهم عن الإسلام ومحاولتهم ملأ الفراغ السياسي بعد وفاة النبي ﷺ وقد استطاع الخليفة أبو بكر ﵁ وبمؤازرة الصحابة وبقية المسلمين وأبرزهم عمر وعلي، من قبر هذه المحاولة والقضاء على الردة في منابعها، فإذا استثنينا ذلك، فقد شهد آخر عهد عثمان نوعاً من الاضطرابات والخروج والفتن، بعد أن كان عهده عهد فتوح واستقرار ورخاء خلال عشر السنوات الأولى من حكمه الذي دام اثنتي عشرة سنة، وكان مصدر هذه القلاقل والفتن جموع من البصرة والكوفة ومصر، معترضين على عدة أمور في سياسة عثمان ﵁ ويجمع المؤرخون على أن ذلك الخروج كان يضم فيما يضم بعض رؤوس الغلو والنفاق من أعداء الإسلام، وبتخطيط ومتابعة من اليهود والمجوس والروم وخطوطهم الخفية، وكان على رأس هؤلاء رجل يهودي يدعى عبد الله بن سبأ، أصله من صنعاء، تظاهر بالإسلام وركب موجة الخروج على الخليفة واثأر الفتنة، ورغم إننا لا ندعي إن هذه الفتنة كانت بتفاصيلها من صنع هذا اليهودي، فان للفتنة أسبابا عديدة سنوجزها فيما بعد، إلا انه ليس من الموضوعية والعلمية إن نقفز إلى الطرف النقيض ونتبنى موقفاً غريباً ردده بعض المعاصرين

لنفي شخصية ابن سبأ، واعتبارها شخصية أسطورية من صنع الرواة والمؤرخين الإسلاميين، وتلك المقولة التي قال بها بعض المستشرقين اليهود أمثال برنارد لويس (انكليزي) ويوليوس فلهاوزن (ألماني) الذي بدأ دراسته باللاهوت، وكذلك الأمير الايطالي ليون كيتاني[1]، وبعض المستغربين من أذنابهم كطه حسين ومحمد كامل حسين وماجد حنفي وغيرهم من تلاميذ مدرسة الاستشراق. وتابع بعض كتاب الشيعة المتشددين المعاصرين كمرتضى العسكري في كتاب مائة وخمسون صحابياً مختلقاً والدكتور علي الوردي في وعاظ السلاطين وكامل الشيبي في الصلة بين التصوف والتشيع ومحمد جواد مغنية في التشيع والتيجاني في كتاب لأكون مع الصادقين وغيرهم، ولا نريد أن ندخل في متاهات الجدل العقيم والأخذ والرد، لان العديد من العلماء والمختصين قاموا بالرد على ذلك واثبات شخصية ابن سبأ أمثال د. سعدي الهاشمي في (ابن سبأ حقيقة لا خيال) وإحسان الهي ظهير في معظم كتبه الخلافية وغيرهم فضلاً عن المصادر الشيعية التي نصت على وجوده. إلا انه من المفيد أن نقف على طريقة معالجة علي الوردي لهذا الموضوع ومحاولة إثباته إن ابن سبأ هو نفسه عمار بن ياسر، بحجة إن كليهما من أصل يمني، إذ أن ياسراً والد عمار من أصل يمني وكان حليف أبي حذيفة المخزومي وزوّجه أمة له اسمها سميّة، وكذلك ابن سبأ صنعاني ويسمى (ابن السوداء)، وكان عمار من أصحاب علي واشد أتباعه، وكلاهما ذهب إلى مصر أيام عثمان، وينسب إلى ابن سبأ قوله إن عثمان ﵁ أخذ الخلافة بغير حق وان

---

[1] انظر كتاب ابن سبأ حقيقة لا خيال/ د.سعدي الهاشمي ص٩، وقد أيّد مستشرقون آخرون وجوده ومنهم نيكلسن وكولد زيهر وغيرهم، وانظر أيضا (عبد الله بن سبأ وأثره في الفتنة)/ د. سليمان العودة.

صاحبها الشرعي هو علي ﷺ. في الحقيقة إن خطورة هذا الاستنتاج وهذا المنطق الإستشراقي في نقد وتحليل التراث الإسلامي تأتي من أسلوب التغاضي والإهمال للأسس والقواعد التي يقوم عليها علم الرجال والتراجم وعلم الجرح والتعديل الإسلامي وبالتالي سيؤدي ذلك إلى نسف كل ما في التراث والتاريخ الإسلامي من حقائق، فحين نعلم إن شخصية ابن سبأ من الشخصيات التي اتفق عليها التراث الشيعي والسني، واتفق على تقويم دورها وخبثها ولعنها، بشكل متميّز قلما يحصل حول أي شخصية أخرى، بالإضافة إلى اتفاقهم على ترجمة عمار بن ياسر وعلو منزلته واعتبار الشيعة له من الأركان الأربعة، وهم : عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري[١]، فان رد إجماع كتب الجرح والتعديل والرجال الموثقة عند الفريقين حول وجود ابن سبأ وخبثه واصله اليهودي بشكل مميز، يجعلنا أمام أمرين، أما إن نهمل طريقة المستشرقين وأذنابهم، الانتقائية في نقد وتحليل التراث الإسلامي والإحداث التاريخية، لان تلك الطريقة لا تحترم الأسس والقواعد التي بني عليها علم الرجال الإسلامي سواء الشيعي أو السني، أو أن نشكك في علمائنا ومنهجهم العلمي. والطعن بالمستشرقين أولى، لعدم توفر الثقة بهم من جهة وتوفر دافع التشكيك واحتقار تراثنا ومحاولة الطعن فيه من جهة أخرى. أما أهم مصادر علم الرجال الشيعية التي ذكرت ابن سبأ وترجمته، فهي كثيرة منها: رجال الطوسي، ورجال الحلي أحوال الرجال للكشي، فرق الشيعة للنوبختي، وتنقيح المقال للمامقاني وغيرها، إما كتب الرجال والتاريخ السنية فهي كثيرة أيضا، ولولا مخافة الإطالة لذكرنا روايات كثيرة من مصادر الطرفين، ويمكن للقارئ أن يرجع إلى كتب التاريخ الموثقة

---

١ **فرق الشيعة/ للنوبختي ص٣٧.**

لـدى الفـريقين ليـرى تجنـي المستشـرقين والمسـتغربين علـى التـاريخ الإسلامي.

أما أهم أسباب الفتنة، فيمكن أن نوجز بعضها بما يأتي:-

١- تعـاظم رقعـة الدولـة الإسـلامية وصـعوبة السـيطرة علـى أرجائهـا بعـد الفتح الإسلامي ودخول العديد من الشعوب والممالك والأمصار في دار الإسلام.

٢- التغير النـوعي فـي المجتمـع الإسـلامي بعـد وفـاة الكثيـر مـن الصـحابة وانتشار بعضهم الآخر في الأمصار، وكان في عهد عمر لا يسمح لهم بالخروج من المدينة المنورة.

٣- شخصـية الخليفـة عثمـان ﷺ اللينـة المتسـامحة بعـد أن كـان عهـد عمـر عهد حزم وأسلوبه في الحكم أسلوبا مركزياً.

٤- تجـرؤ المجـوس واليهـود والـروم علـى تـوهين قـوة الدولـة الإسـلامية المتعاظمة بعد نجاحهم في قتل الخليفة عمر على يد أبـي لؤلـؤة الفيـروز المجوسـي بالتنسـيق مـع الهرمـزان وجفينـة النصـراني. ومـن مظـاهر الدور الخفي لأعداء الإسلام ظهور شخصية ابن سبأ وأتباعه ومحاولـة نشر أفكار الغلو، وتشجيع الفتنة والعصيان على الخليفة.

٥- تقريب الخليفة عثمان لأقربائه وأصـحابه، لعدم إمكانيـة السيطرة علـى الأمصار بالأسلوب السابق نتيجـة التغيـر الاجتمـاعي والسياسـي الهائـل الذي حدث في أواخر عهده[١].

٦- الرخاء والترف الذي عم كافة أرجاء الدولة الإسلامية فـي أواخـر عهـد عثمـان بعد توقف الفتوح الإسلامية، ممـا أدى إلـى الركون إلـى النعيم

---

[١] والجدير بالذكر إن هذه السياسة في تقريب ذوي الرحم قد اتسعت بعد عهد عثمان، فقد استخدم علي أكثر من ضعف من استخدمهم عثمان من أقاربـه لنفس السبب أعلاه. انظر العواصم من القواصم/ أبو بكر ابن العربي.

والبذخ والتنافس على مباهج الحياة، مما ولّد تيارين ومدرستين متعارضتين في فهم الدين وتطبيقه، مدرسة الزهد والكفاف، ومدرسة التمتع بالمباحات والميل إلى الترف والبذخ أحياناً، مثلها بعض الأغنياء الذين كانوا يعتقدون أن بالإمكان إيجاد حالة من التوازن بين التمتع بالنعيم وأداء الحقوق والواجبات المترتبة على وفرة المال، والذي يراه جمهور العلماء إن التوسط والتوازن هو الذي ينسجم مع روح الإسلام.

وغير ذلك من الأسباب التي أدت إلى تلك الفتنة والخروج الذي أدى في النهاية إلى اكبر كارثة في التاريخ الإسلامي، أدت إلى التمزق والفرقة والصراع السياسي والطائفي بين قيادات الدولة الإسلامية.

أما عهد الإمام علي ﷺ فقد شهد خروج طلحة والزبير والسيدة عائشة للمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان، ونشوب حرب الجمل التي أدت إلى مقتل الكثير من المسلمين وعلى رأسهم طلحة والزبير اللذان قتلا غيلة وهما رفاق الإمام علي في الجهاد في عصر الرسالة، وقد حزن عليهما وأكرم أبناءهما ورد السيدة عائشة إلى المدينة معززة مكرمة، بعدما أوقع قتلة عثمان ﷺ بين الجيشين في معركة الجمل في البصرة. وكذلك خروج معاوية في الشام على الخليفة علي ﷺ الذي أدى إلى وقوع معركة صفين والتي قتل فيها آلاف المسلمين من الطرفين، ثم انتهت بالتحكيم وبعد التحكيم تصدعت جبهة الخليفة وخرج الخوارج عليه، ثم المواجهة بين معاوية والحسن بعد مقتل علي، والتي انتهت بالصلح بينهما بعد ستة أشهر، بعد أن رأى جبن أتباعه وخيانتهم وعدم صبرهم على الحرب والمكاره، وقد سمي ذلك العام الذي تصالح فيه معاوية والحسن بعام الجماعة، واتفقوا على شروط منها، أن تؤول الخلافة بعد معاوية شورى بين المسلمين، وقد مات الحسن قبل معاوية مما شجعه أن يعهد بالخلافة إلى ابنه يزيد وطلب بيعة الصحابة له، فأبى معظم الصحابة وأبرزهم عبد الرحمن

بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن العباس والحسين بن علي وأخوه محمد بن الحنفية[1]. وفي زمن يزيد خرج الحسين وابن الزبير، فقتل الحسين في وقعة الطف مع بعض أهل بيته، وخرج أبناء المهاجرين والأنصار لبيعة ابن الزبير وخلع يزيد، فكانت وقعة الحرة التي حاصر فيها جيش الشام المدينة وقتل فيها من أبناء المهاجرين والأنصار وقريش، منهم أبناء سعد بن أبي وقاص والمنذر بن الزبير، وحوصرت بعدها مكة وضربت بالمنجنيق في محاولة للقضاء على ابن الزبير، إلا إن موت يزيد غير الأمر وانسحب جيش الشام، ثم خرج في زمن خلافة عبد الله بن الزبير، مروان بن الحكم في الشام ومصر ولم يستطع أن يفعل شيئاً ثم عهد إلى ابنه عبد الملك بعد موته فخرج عبد الملك على ابن الزبير واستطاع بعد اقل من عشر سنوات أن يوسع ملكه، فاقتطع الشام ثم مصر وأخضعهما لملكه ثم زحف على العراق فقتل مصعب بن الزبير في الكوفة وولى الحجاج على البصرة والكوفة، وكان الحجاج شديداً سفاكاً للدماء، فأمره عبد الملك أن يغزو مكة والمدينة ويحاصر ابن الزبير، واستطاع بعد حصار مكة لعدة أشهر أن ينتصر على ابن الزبير ويقتله، بعد خذل أتباع ابن الزبير خليفتهم إذ لم يبق معه إلا قلّة نتيجة الحصار الشديد والجوع، وهذا هو شأن القوة دائماً ترهب الناس فلا يثبت إلا النجدة والشجاعة. وخرج ابن الأشعث على عبد الملك وقائده الحجاج فقتل. وفي زمن هشام بن عبد الملك خرج زيد بن علي في الكوفة وقتل ثم خرج ابنه يحيى في خراسان ثم قتل. وخرج إبراهيم الإمام العباسي وهو أمير الدعوة العباسية في زمن مروان آخر حكام بني أمية وكان مروان محارباً باسلاً وشجاعاً، وقد لقب بالحمار لجلده وبأسه وعدم خلوده للراحة

---

[1] **انظر تاريخ الطبري وابن كثير وغيرهما.**

ومتابعته أعداءه إذ ابتدأ حكمه بالخروج على ابن عمه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك فعزله وأصبح خليفة مكانه وسجن مروان إبراهيم الإمام بعد أن كشف أمره، ومات في السجن. ثم خرج عليه أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين واستطاع أن ينال منه وان يسقط الخلافة الأموية في الشام وتعقبه العباسيون في الزاب قرب الموصل ثم في دمشق ثم في وقعة نهر أبي فطرس في فلسطين التي قتل فيها المئات من الأمويين، ثم تعقبه صالح بن علي بعد أخيه موسى بن علي إلى مصر حتى ظفر به في قرية بوصير بمصر وقتله. ويذكر أن السفاح قتل الكثير من مناوئيه الأمويين وقاد حملة إبادة ضدهم، ويروى انه قتل العشرات منهم بعد أن أمنهم، وفي الوقت نفسه قرب أبناء عمه العلويين وأجزلهم العطاء. إما عهد المنصور فقد شهد توتر العلاقة مع العلويين بعد خروج محمد النفس الزكية ومقتله، وسجن عدد من آل بيته الحسنيين في المدينة، ومن ثم مقتل أخيه إبراهيم في البصرة، وبعدها تصاعد الصراع العباسي العلوي، فقام الحسين بن علي الحسني في فخ قرب مكة، فأرسل الهادي له جيشاً فقُتل مع أهل بيته أيضاً ثم خرج يحيى بن عبد الله المحض، فأمنه قائد الجيش جعفر البرمكي وخدعه فقاده إلى بغداد، فسجنه الرشيد ثم عفي عنه. واستطاع إدريس بن عبد الله المحض أن يفر إلى المغرب ليؤسس بعدها دولة الأدارسة الحسنية في المغرب.

إما بقايا البيت الأموي، فقد استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب بالداخل أن يخرج على المنصور وان يهزم العباسيين ويؤسس أمارة أموية في الأندلس كانت أساسا للدولة الأموية في الأندلس، وقد لقبه المنصور بصقر قريش أعجاباً به وبنجاحه في الهروب من الشام إلى مصر فالمغرب ومن ثم الدخول إلى الأندلس والاستحواذ على الحكم فيها والانتصار على الجيش العباسي، ومن

نسله -كما مرّ- الخليفة الأموي المشهور عبد الرحمن الناصر وغيره من الرجال العظام الذين حكموا الأندلس، وكما شهد التاريخ حدة الصراع والخروج السياسي، فقد شهد أيضا حالات كثيرة وحقباً طويلة من الوئام والسلام والوحدة والتعاون، ومنها استخدام الإمام علي ﷺ معظم عماله من العباسيين، والإخوة والتعاون في عهد الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز، وفي عهد الخليفة العباسي السفاح إذ وصل العلويين وقربهم، وفي عصر المأمون، إذ حاول المأمون أن يتنازل عن الخلافة والعرش إلى سيد العلويين آنذاك الإمام علي الرضا وصاهره في بنتيه ولكن المشيئة الإلهية لم تقّدر ذلك، إذ توفي الرضا بعد سنتين من ولايته للعهد. أما تولية الأمصار واختيار العمال، فقد شهد التاريخ الإسلامي تداخلاً كبيراً بين هذه البيوت الشريفة من قريش وكذلك اختيار الولاة من الأنصار، وقد اشتهرت الكثير من تلك العلاقات الودية، وفي كتب التاريخ والتراجم المزيد لمن يريد. ومن خلال هذا الاستعراض السريع لأحداث الخروج التي ذكرت والتي لم تذكر والتي يضيق بها المقام نستنتج انه لا يمكن تعليل أسباب الخروج لدوافع دينية أو طائفية كما يحلو لبعض الباحثين أن يفسرها، وإنما هي أحداث سياسية تقليدية متوقعة ضمن حقب طويلة من الزمن لدولة حكمت معظم أرجاء العالم القديم، فكان لابد للتنافس ودوافع النفس والطموح المشروع وغير المشروع ممتزجة مع العوامل والظروف والمبررات المبدئية والظرفية التي إذا ما قورنت مع أحداث الأمم الأخرى بدت طبيعية وقليلة بالنسبة لما حدث في دولتي الروم وفارس سواء قبل الإسلام أو بعده.

الشعوبية والقبلية

كان العرب في الجاهلية قبائل متناحرة تعج أيامهم بالسلب والنهب والغزو والحروب والثأر والعصبية القبلية، واستمر هذا الحال في الجاهلية قروناً طويلة، والواقع إن الوضع القبلي العربي كان يتصف أيضا بالكثير من المزايا والأعراف الطيبة كالشجاعة والنخوة والكرم والشرف والصالة والأدب الرفيع وفي مقدمته الشعر الجاهلي ذو البلاغة التي تميز بها عن باقي العصور، فلما جاء الإسلام وأصبحوا حملته ومادته ومعدنه، وصاروا جزءاً منه، وأصبحت اللغة العربية هي لغة المسلمين جميعاً، تغير حال العرب بعد ظهور الإسلام، فأصبحوا امة واحدة مجاهدة مؤمنة ذات أخلاق ومزايا فريدة لم يشهد التاريخ لها مثيلا، بفضل هدي القرآن وبركة المصطفى ﷺ الذي بين إن من أسباب بعثته تقويم الأخلاق وإتمام الفضائل، فقال (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، فتشرف العرب بحمل رسالة الإسلام إلى العالم، بعد أن وحد اللّه صفوفهم وألف بين قلوبهم، وجعلهم إخوة في الدين رحماء بينهم أشداء على الكفار بعدما كان بأسهم بينهم شديداً.

وكانت الجزيرة العربية مهد القبائل العربية التي انتشرت بعد الفتح الإسلامي شرقاً وغرباً في آسيا وأفريقيا، واهم قبائل العرب في عصر الرسالة هي قريش وهي عشيرة النبي ﷺ وصحابته المقربين من المهاجرين ومسلمي مكة بعد فتحها، والأوس والخزرج في يثرب حيث كونا بعد الهجرة النبوية الأنصار، وثقيف وغفار ودوس وغيرها من القبائل العربية في عصر الرسالة.

لقد صهر الإسلام في بوتقته تلك القبائل المتناحرة الشديدة البأس الصلبة المراس المتعصبة، فأصبح ولاؤها للدين الجديد، تأتمر بأمره وتجاهد في سبيله، فحول الإسلام تقاليدها وأعرافها وسلوكها لخدمة الدين العظيم، فظهروا للعالم قوةً متماسكة فتحت العالم القديم آنذاك خلال اقل من نصف قرن، بعد أن قضت نصف هذه المدة في جهاد مرير مع عتاة الشرك والوثنية من صناديد قريش فقضت الصفوة المؤمنة بقيادة النبي ﷺ على جذور الوثنية في إنحاء الجزيرة كافة بعد القضاء على قوة قريش سادنة الكعبة، فبعد فتح مكة والطائف وبعد أن قدم المسلمون عدداً كبيراً من الشهداء في صراعهم مع الوثنية، ومقتل الكثير من مشركي العرب العتاة المتصلبين الذين وقفوا في وجه الإسلام، انتصر الحق في نهاية المطاف وعم نور الإسلام ارض الجزيرة وتحولت تلك القبائل إلى قوة عملاقة قادها الصحابة في عصر الخلافة الراشدة، تحمل النور والأخلاق والحضارة إلى البشرية التي كانت غارقة في الضلال والفساد والظلام الذي ساد العالم القديم.. آنذاك.

وتذكر مصادر التاريخ أن أصحاب الحضارات القديمة في بلاد الروم وفارس، بعد اندحارهم أمام قوة الإسلام ونوره ودخول شعوب فارس والروم في الإسلام، استغلوا الصفة القبلية التي امتاز بها العرب قبل الإسلام، حين كانوا قبائل متفرقة لا يجمعهم أمير أو ملك. فشعر بعض الحاقدين على العرب والدين الجديد، بأن ثمة فارقاً أساسيا بينهم وبين العرب، إذ أنهم كانوا شعوباً أصحاب حضارة، وهؤلاء العرب كانوا قبائل متخلفة وأدنى منهم -بزعمهم- وكان هذا أول مؤشر لبدء الحركة الشعوبية في التاريخ الإسلامي، فكان أول أفك نشروه لتغطية حقدهم على العرب والمسلمين، هو ذلك الزعم الذي يدعو إلى التعالي على العرب والمسلمين، فأطلقوا دعاتهم يرددون بان العرب بدو وقبائل

وليسوا أصحاب حضارة، ولا يستحقون ذلك التكريم بحمل رسالة الإسلام إلى العالم، وهم أي العجم شعوب متطورة ومتحضرة ومن جنسٍ أرقى من العرب، وهم أولى بذلك التكريم بدل هذه الأمة الهزيلة المتخلفة[١]، ثم تبعوا ذلك بإفك آخر مبني على أساس الإفك الأول، حيث لفقوا الروايات والأحاديث لافتراض وجود خصومة مستحكمة بين أهل البيت والصحابة ليصلوا إلى الهدف الثاني بعد احتقار العرب.. حملة رسالة الإسلام، وهو التشكيك بجيل الصحابة وإسقاط عدالتهم وأمانتهم في نقل التراث الإسلامي، متمثلاً بالقرآن والسنة، لهدم الدين الحنيف ونشر الفساد والضلال وإطفاء نور الإسلام وإحياء نار المجوسية. {يريدون أن يطفِؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون}[٢].

لقد استطاعت الشعوبية مع الزمن أن تزرع في ارض المسلمين ما راق لها من أفكار مغالية وشاذة سواء في العقيدة أو الأدب أو السياسية، حتى صاروا يرون لأنفسهم فضلاً على بني العباس في تحويل الخلافة إليهم، واستطاعوا في العصر البويهي وما بعده أن يسيطروا على زمام

---

[١] لقد سبق ذلك في العصر الأموي، شعار التسوية مع العرب حيث كان دعاة الشعوبية في أول أمرهم يبثون في طبقة الموالي المسلمين، مطالبة الدولة الأموية بالمساواة مع العرب، وذلك للتمهيد لتوسيع رقعة نفوذهم، ثم طالبوا بالحكم والسيطرة على الدولة الإسلامية في العصور العباسية، بعد ظهور مراكز القوى الشعوبية ممثلة بالأسر والفرق الغالية، كالبرامكة وآل سهل والمزدكية والخرمية وحركة الزنج والقرامطة وغيرها من مظاهر الشعوبية والباطنية التي شاعت في القرن الرابع الهجري وما بعده.

[٢] الصف: ٧.

الأمور في دولة الإسلام، وكان هذا العصر بداية عهد ضعف وانحلال وتخريب وفساد وفجور بعد مضي ثلاثة قرون من بدء رسالة الإسلام وأصبح الخلفاء العباسيون ألعوبة بأيديهم وعم الفساد والرشوة والتحزب والطائفية وكثر الوضع والكذب في التراث والروايات التاريخية كما يذكر المؤرخون وفي مقدمتهم الطبري وابن كثير في تاريخيهما، وسادت الأفكار الشعوبية في احتقار العرب والتشكيك بالصحابة وسبهم والغلو في تقديس الأئمة وأهل البيت، كما فشا المجون والغزل بالغلمان واستباحة النساء والجواري، وأدى ظهور القرامطة الشعوبيين المؤمنين بأفكار الغلو والتطرف والعنف إلى كثرة القتل وسفك الدماء والصراعات الطائفية والسياسية وتوقف الحج بسبب حوادث العنف والسطو والسلب وقتل الحجاج، كما استبيحت مكة المكرمة ونهبت وخلع الحجر الأسود من الكعبة وبقي عند القرامطة في البحرين أكثر من عشرين عاماً ثم أعيد بعدها. إن الشعوبية البغيضة كانت من الأسباب الرئيسة وراء الفتن والصراعات التي شاعت في العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري والى اليوم.

التصوف بين التسنن والتشيع

إن الصلة بين التصوف والتسنن حقيقة يقّرها الجميع ولا تحتاج إلى برهان، بل إن التصوف يعد أحد ثمار التسنن وامتداداً له، في مجال التربية وتزكية النفوس، حتى قيل إن التصوف الأصيل هو مدرسة تحاول أن تغوص في أعماق النفس متلمسةً أمراض القلوب العديدة فتعالجها وتنقلها إلى سبل الإيمان، لتصل بها إلى درجة الإحسان وان تعبد الله كما يريد، كأنها تراه، فأن لم تكن تراه فانه يراها، مستخدمة الوسائل والأساليب التي حث عليها الكتاب والسنة لتطبيب النفوس وتزكيتها بالزهد والصبر والمراقبة والعبادة والذكر والصلاة والصيام وغيرها، وتعميق الإخوة والطاعة من خلال مراقبة الله سبحانه في كل سكنات المسلم وحركاته، ولقد كان التصوف ولا يزال بصورته الصافية الوسطية البعيدة عن الغلو والشطح والتأثر بالأفكار الدخيلة، هو الزاد والمدد والأساس الروحي لبنية المجتمع الإسلامي، وبقيت مدارس التصوف وطرقه تغذي كتائب الجهاد منذ عصر الافتراق وحتى اليوم، لصد الهجمات الصليبية المتكررة إضافة إلى الأثر الكبير في نشر الإسلام والدعوة إليه. فكان التلازم بين التصوف والجهاد ضرورياً في التسنن الإسلامي، لان الجهاد من دون تصوف وتزكية النفوس يصبح سياسة وطموحاً دنيوياً وتنافساً على الزعامة والمكاسب، والتصوف بدون جهاد، هو انزواء وذلة ورعاية لمجموعة من الضعفاء. والإسلام يريد أن يربي سادة أقوياء لا يعرفون العبودية والذل إلا لله سبحانه. تلك صورة مباركة واضحة لدى الجميع ولا يشك أحد في انتماء التصوف للتسنن وأنهما انعكاس لمدرسة أهل البيت والصحابة في صدر الإسلام. ولكن الوجه الثاني

للحقيقة لم يفكر فيه الكثير، وهو الصلة بين التصوف وأهل البيت من جهة والصلة بين التصوف والتشيع عبر التاريخ.

إن انتماء التصوف إلى أهل البيت وأعلام البيت العلوي وعلى رأسهم سيدنا علي بن أبي طالب، واضحة ولا تحتاج إلى برهان أيضا، ذلك إن الكثير من طرق التصوف ومدارسه إنما ترجع ضمن سلسلة شيوخه إلى علي بن أبي طالب نسباً ووراثة للعلم والطريقة، وأشهرها الطريقة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني، والطريقة الرفاعية للشيخ السيد احمد الرفاعي الحسيني وغيرها، وتذكر معظم الطرق الصوفية انتماءها لأهل البيت ولمدرسة الإمام علي بذكر سلسلة من الشيوخ والعلماء والأئمة الذين اخذوا الطريقة واحداً عن الآخر حتى تصل إلى علي بن أبي طالب مروراً بالحسن البصري وغيره من التابعين[1]. وهناك طرق ترجع في طريقتها إلى سيدنا أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب، أو إلى الإمامين معاً. أما الصلة بين التصوف والتشيع تاريخياً، فقد ذكر العديد من الكتاب والمؤرخين هذا الترابط والتداخل الوثيق منهم كامل الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع وعلي الوردي حينما تطرق لبداية ظهور الدولة الصفوية في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، وغيرهم. ويكاد يجمع المؤرخون على أن بدايات العثمانيين ونشاطهم الجهادي والفتوحات الإسلامية في أوربا التي كانت تعتمد بشكل أساس على مجاهدي الجيش الانكشاري، كانت تعتمد على الطاقة الروحية والتعاليم الجهادية لأحد شيوخ الطرق الصوفية (وهي الطريقة البكتاشية) وهو الحاج محمد بكتاش الذي كلفه السلطان العثماني

---

[1] غير أن انتساب هذه الطرق إلى أئمة أهل البيت والصحابة لم يثبت على وجه اليقين، ولكنه –على أي حال– انتساب إتباع ومحبة وموالاة.

أورخان (١٣٢٦م) بتدريب جنوده وتعليمهم ما يتطلبه الجندي المسلم من الطاعة والصبر والشجاعة والتضحية إضافة إلى معرفة أصول الدين والعبادة والأذكار وغيرها، وقد أعطى الشيخ محمد ولي بكتاش[١] صلاحيات واسعة، مهدت لتأسيس الجيش الانكشاري[٢] العقائدي الإسلامي، وعمليات الفتوح والجهاد الإسلامي في قلب أوربا ولقرون عديدة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى استطاع إتباع الطريقة الصوفية نفسها في شمالي إيران من تكوين كيان سياسي غير انه اشتهر بالغلو والباطنية، وكانت هذه الطريقة تدعو إلى تقديس أئمة أهل البيت وبخاصة الفرع الحسيني، وهذا الأثر الصوفي في نسبة الوجود الصفوي والعثماني يدل على تلك الصلة وذلك التداخل التاريخي بين التشيع والتصوف ومن الدلائل المهمة أيضا على إن منبع التصوف والتشيع والتسنن واحد، وإنها كانت تمثل أوجهاً متعددة لحقيقة الإسلام ومنهجه القويم، ثم طرأ عليها ما طرأ من مستحدثات وأفكار دخيلة عبر الزمن والصراعات التي حدثت بعد عصر الافتراق. والذي يبدو إن كلاً من التصوف والتشيع كانا خلال العصر المشترك يعتمدان في استلهام عقيدتهما من الكتاب والسنة الصحيحة، وقد تبنى التشيع موقف المعارضة والاهتمام بموضوع الخلافة لما رأى بعضهم من حيف في ابتعاد أئمة أهل البيت العلوي عنها، كما اهتم التصوف بالزهد بالدنيا والملك والاهتمام بتزكية النفس وترقيتها في رحاب الإيمان والتأكيد

---

١ راجع كتاب لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د. على الوردي، وتاريخ الدولة العلية العثمانية/ محمد فريد وجدي، والفكر الشيعي والنزعات الصوفية/ د. كامل الشيبي.

٢ معنى الانكشاري: الجيش الجديد.

على الكفاف والتقشف والزهد، بعدما ملك الإسلام الأرض وما فيها من كنوز ونعيم بعد أن فتح الله على المسلمين مشارق الأرض ومغاربها، فكان لابد من صيحة ودعوة قوية تذكرهم بعصر النور وجيل القدوة وما كان عليه الصحابة وأهل البيت، يقودهم الرسول الكريم ﷺ، فنشأت مدارس التصوف ومنهجه القاسي الذي يحارب الشهوات وحب الدنيا وكراهية الموت، واستمر الحال هكذا، صور متعددة تستند إلى أساس واحد وعقيدة واحدة هي عقيدة السلف الصالح حتى العصر العباسي الثاني الذي شهد ظهور العديد من فرق الغلو وأهل الكلام والفلسفة العقلية الاعتزالية، مع ضعف منصب الخلافة وانتعاش الشعوبية وتعاظم دور العجم (ذوي الخلفية المجوسية والوثنية) وتدخلهم في سياسة الدولة الإسلامية حتى وصل الأمر إلى خلع الخليفة واستبداله أو قتله في بعض الأحيان، وقد صاحب ذلك اختفاء الشخصيات المؤثرة القوية والآسرة في البيت العلوي كشخصية الإمام الصادق والكاظم والرضا. كل ذلك أدى إلى نوع من الافتراق الحاد بين التصوف والتشيع، فركب الاعتزال بعد أن فقد بريقه ورجاله والمدافعين عنه، موجة التشيع والدفاع عن أهل البيت يشاركه في ذلك بعض فرق الغلو والباطنية والشعوبية، واختلط التصوف مع بعض الأفكار الوثنية الروحية الدخيلة التي كانت موجودة ضمن أفكار وفلسفات أمم الهند واليونان وغيرها، كأفكار وحدة الوجود والحلول والتناسخ والكشف والإلهام[1] والشطح، وغيرها من العقائد الدخيلة على الإسلام

---

[1] إننا هنا لا نقصد بطبيعة الحال الكشف والإلهام الشرعي، الذي يقع ضمن دائرة الكرامة والربانية وفراسة المؤمن، وغيرها من المفاهيم الإسلامية الأصيلة، لان ذلك لا يعني -بأي حال- أن يحدّث المسلم عن قلبه بدون أدلة شرعية من الكتاب والسنة.

والتصوف الأصيل. وعبثاً حاول دعاة التصوف ورجاله الكبار تنقيته من ذلك إلا باللجوء إلى الكتاب والسنة الصحيحة، كما لم يفلح دعاة التشيع والإمامية في التخلص من أفكار الاعتزال والغلو إلا بالالتجاء إلى فهم الكتاب والسنة الصحيحة وفق المنهج الرباني الوسطي المعتدل. ذاك لان تعاليم القرآن والهدي النبوي هي المقياس الدقيق لمعرفة نقاوة العقيدة عند المسلمين والتحصن برسالة الإسلام الخالدة، وجوهرها الأساس وهو التوحيد. فكما تجلو النار الخبث من الحديد والمعادن التي ران عليها الصدأ والمواد الدخيلة، فكذلك العقيدة الصافية تجلو الخبث والران والمستحدثات والخرافات والأساطير التي تراكمت عبر قرون طويلة، فجعلت من تراث الإسلام أفكارا وعقائد لفرق وملل كثيرة يجمعها العودة إلى النبع الصافي وتركها ما هو دخيل. وهكذا نشأ بعد عصر الافتراق، افتراق واضح بين التشيع والتصوف رغم أن كلاً منهما يدعي الانتماء إلى مدرسة أهل البيت والمرجعية إلى أئمته وإعلامه، ومع ذلك استطاع الصفويون أن يجمعوا بين التعاليم الصوفية في بنائهم الروحي وبين المنظور السياسي المعارض الذي يرفض الوحدة الإسلامية والتعايش السلمي بين فرق المسلمين، فنشأ الصراع الطويل بين الصفويين والعثمانيين، وأدى ذلك إلى تحالف خطير بين الصفويين ودول أوربا المسيحية ضد العثمانيين المسلمين، مما أدى إلى توقف الزحف الإسلامي على أوربا من جهة، والى ضعف وتفكك العالم الإسلامي ووقوعه فريسة سهلة بيد الاستعمار الغربي اللئيم[١]، والى وجود كيانات مصطنعة في آسيا وأفريقيا تعمل لصالح الغرب، وكذلك إلى انتعاش الحركة الصهيونية وتعاظم نفوذها

---

[١] راجع كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي/ د. علي شريعتي.

بين المسلمين بعد أن وجدت دولة لهم في قلب العالم الإسلامي في فلسطين.

كما استطاع العثمانيون أن يستفيدوا من التصوف البكتاشي[١] ليبنوا جيشاً عقيدياً كبيراً يعتمد في نشاطه الجهادي على مبادئ التصوف المعروفة في التضحية والزهد والطاعة والبسالة، فاستطاعوا خلال فترة غير طويلة أن يفتحوا شرق أوربا (ألبانيا والبوسنة والهرسك وبلغاريا وغيرها) وان يكتسحوا اليونان ويحاصروا فينا (عاصمة النمسا) ويهددوا روما (عاصمة ايطاليا). ولكن سرعان ما ضعفت هذه القوة (العثمانية) بعد التورط بالصراع مع الصفويين، ثم بعدها تحول الجيش الانكشاري الذي كان يستند على تعاليم الصوفية، إلى عقبة في وجه الدولة العثمانية في سبيل التطور وتحديث بنية الدولة ومؤسساتها في عصر النهضة، فقد كان الانكشاريون يعارضون أي عمل يؤدي إلى تطوير مؤسسات الدولة بحجة مخالفة روح الإسلام وتقليد الكفار، فاضطر السلاطين العثمانيون وعلى رأسهم مراد الرابع إلى تصفيتهم والقضاء عليهم بعد كثير من المشاكل والمآسي التي واجهتها دولة الخلافة العثمانية فخرجت من هذه الأزمة دولة متخلفة مثقلة بالديون والأعباء والمشاكل التي أدت في النهاية إلى تخلفها عن دول الغرب والى موتها تدريجياً.

---

[١] التصوف البكتاشي، ويسمى أيضا القلزباشي، أي ذوي الأعلام الحمراء، وهذا الشعار مشترك مع الصفويين أيضا، والبكتاشية من الطرق الباطنية وهم (علي اللهية) ويكثرون اليوم في ألبانيا، وقد كان بعض شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية، بكتاشيين. انظر لمحات اجتماعية/ د. علي الوردي، والدولة العلية العثمانية/ محمد فريد وجدي.

معالم مضيئة في طريق الوحدة

لاشك إن المنهج القرآني هو محل اتفاق كل المسلمين وأفضل السبل للسير على الصراط المستقيم وبناء المجتمع الفاضل، ولاشك أيضا إن هذا المنهج دقيق ولا يخلو من الصعاب ولا يمكن استلهامه بدون مراقبة ومتابعة متواصلة، شأنه شأن مراقبة القلب وخلجاته والمحافظة على الإيمان والارتفاع بالنفوس والهمم إلى درجات التقى والإحسان، ولذلك جعل الله سبحانه الأمة الوسط شهيدة على الناس بكل مشاربهم وميولهم ومعتقداتهم، وأفضل من مثّل الأمة الوسط، الجيل الذي استحق لقب خير أمة أخرجت للناس، انه جيل الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، ويمكننا تصور صعوبة الثبات على المنهج الوسط في كل أمر من أمور الدين والدنيا، حين نتصور أرجوحة مستندة في وسطها على رأس مثلث، فأي شخص يستطيع أن يقف على أحد طرفيها بسهولة، وبشكل دائم دون جهد أو مراقبة، لكن الصعوبة تكمن في الوقوف في وسطها، وموازنة الأرجوحة والجسم وثقله للبقاء في الوسط دون أن تميل به، وكذلك من يريد الثبات على طريق النور والإيمان ومنهجه الوسط فانه لابد أن يواجه صعوبات ويحتاج إلى جهد ومراقبة مستمرة لتحقيق ذلك، وتلك المعاني يُعبر عنها أحيانا بمراقبة النفس والقلب، وحفظ عهد الله سبحانه والحذر من الشيطان ووساوسه، وفي الحديث الشريف، الذي يوصي به الرحمة المهداة عبد الله بن عباس: يا غلام.. إحفظ الله يحفظك..أحفظ الله تجده تجاهك، وإذا استعنت فاستعن بالله، وإذا سألت فاسأل الله[1]. وفي الحديث الثاني: إن

---

[1] **رواه الترمذي (٢٥١٦) عن ابن عباس، وقال حديث حسن صحيح.**

الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من اللحم[1].. فلابد إذن من المراقبة والتواصي والاقتران بالجمع المؤمن، والسير مع الجماعة التي تحيى في ظل القرآن وتعاليمه ونوره. وتلك الأمة المؤمنة، التي تتصف بالاعتدال والتواصي والتناصح على الخير، لابد أن تتحصن وتبتعد عن طريق الغلو والهوى والتطرف ومداخل الشيطان وطرقه ومستحدثاته، وتجاهد في الله حق جهاده.. قال تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[2] ولابد لها أن تكون أمة حية مؤمنة واعية رشيدة مهتدية بنور القرآن والهدي النبوي، تعي ما يخططه الأعداء المتربصون، ومؤامراتهم التي تنسج في الظلام، لإشاعة الفساد والانحراف والفتن بين أفراد الأمة، وأبرز تلك المداخل الخبيثة، داء الطائفية والتعصب والخصومة والتحزب والصراعات المترتبة على ذلك. فينتشر الشقاق والنفاق والفرقة، فليس صعباً على المرء أن يفسّق أو يكفرّ غيره سواء فرداً أو فئة، لكنه يواجه صعوبة ومشقة ويحتاج إلى جهود كبيرة لإضفاء روح الوحدة والإخوة والتعاون والتشاور والنقد البناء بين المسلمين، وجمعهم تحت مظلة القرآن الكريم والسنة الصحيحة ومحاولة تهذيب أفكار التشدد والغلو والانحراف ومحاربة الكبائر والمنكرات، لذلك فقد جعلها الله سبحانه مهمة الأمة الوسط، التي أشربت روح الإسلام، لتكون الطليعة والقاعدة الصلبة، التي لابد من ظهورها لاستلهام منهج القرآن وجيل الخيرية الذي قال عنه تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن

---

[1] متفق عليه/ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١٤٠٤). ورواه أبو داود(٢٤٧٠)، والترمذي (١١٧٢).

[2] العنكبوت: ٦٩.

المنكر وتؤمنون بالله..}[1] لإنقاذ الأمة ومداواة عللها وإمراضها المزمنة، أنها الفرقة الناجية التي بشّر بها النبي الكريم ﷺ لأنها فرقة القرآن ومنهجه، مهما ضمت من فرق ومذاهب وأفراد آمنوا بأركان الإسلام والإيمان الحق الذي جاء به المصطفى ﷺ، ولا يضر بعد ذلك اختلافهم في الآراء والاجتهادات التي ليس فيها نص، إذا كان دستورهم القرآن، وعقيدتهم التوحيد وشعارهم الأخوة والمحبة ووحدة المسلمين، وكشف مداخل الزيف والفرقة التي يخطط لها الأعداء، ومما يميز الفرق الاثنتين والسبعين الأخرى التي أشار إليها حديث الفرقة الناجية المشهور، إنها لا تأخذ القرآن دستوراً ومنهاجاً، أو تخلطه مع الهوى ومناهج البشر، وتتحدث بلغة الغلو والتطرف والتكفير، ويميزها الغرور والتعصب، فتحسب نفسها أصح من غيرها، وإنها تمثل الإسلام الصحيح وتكفر كل ما عداها. وهذا شأن كل مغالٍ ومغرور وفي أي مجتمع. والإسلام يدعونا أن نكون دعاة هادين مهديين، ميسرين ومبشرين وليس قضاة على الناس، والله اعلم بالسرائر. ويدعونا إلى التوازن والوسطية والتكامل مع بقية أهل الإيمان، فينبغي أن لا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين وآمن بالقرآن وصلى إلى قبلتنا، واجتنب الكفر الصريح وما يؤول إليه، وهي شروط اتفق عليها العلماء المسلمون، وهي معروفة لدى من له علم شرعي متواضع، وان تكون الحكمة والفكرة المضيئة ذات الأصل الشرعي ضالة المسلم، أنى وجدها عند أي فرد أو مذهب فهو أحق الناس بها، وتلك المقاصد والمعاني تضمنها مخطط الوسطية والتكامل في الإسلام، الذي يشير إليه كتب ثقافة الوسط[2]، إذ يؤكد المخطط على جوهر الإسلام وهو

---

[1] **آل عمران: ١١٠.**

[2] **انظر كتاب: ثقافة الوسط، مبحث الأمة الوسط/ للمؤلف.**

التوحيد المستند إلى القرآن والسنة، والاعتصام بحبل الله، وان الميزان الحق هو في التفاضل بين المسلمين هو التقوى، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون: {وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون}[1].

إن الأفكار الأساسية التي تضمنها المخطط مستمدة من نصوص القرآن والسنة، والدعوة إلى الوسطية والتعاون بين الفرق والمذاهب وإرساء قواعد الحد الأدنى للتعايش ونبذ الخرافات والبدع والغلو والطائفية، لدى أصحاب الانتماءات الإسلامية الرئيسية الثلاث: التسنن والتشيع والتصوف، ذات التوجه الأصيل وفق تعاليم المنهج الإسلامي المستمد من الوحي الصادق، والتراث الإسلامي وتاريخ رجاله ورموزه، بعد عرضه على القرآن والسنة (الوحي) ونقده وتحليله بشكل بناء، وبنفس رباني وسطي، واعتماداً على تراث السلف الصالح في العصر المشترك، بعيداً عن ركام المستحدثات والبدع التي أفرزتها عصور الصراع الطائفي، كمستحدثات التشيع الصفوي والتسنن السلطاني وشطحات التصوف الوثني التي تسربت إلى المسلمين، من عقائد وتراث الشعوب الوثنية وعقائد أهل الكتاب، يغذيها التعصب والحقد الذي ولده الصراع الطويل عبر الزمن.

إن جوهر التسنن والتشيع والتصوف واحد، فقد كانت تلك المسميات لا تعني في العصر المشترك إلا صوراً متعددة وزوايا عديدة لحقيقة واحدة، هي حقيقة الإسلام الحنيف، فالتسنن كان يعني الاهتمام بالعلم النبوي والسنة الشريفة والرجوع إلى منهج الإسلام الصافي القويم، أما التصوف فكان يرمز إلى الزهد في الدنيا وتزكية النفوس وصولاً إلى مراتب الإيمان والإحسان، أما التشيع فقد ركز اهتمامه في

---

[1] **الأنعام: ١٥٣.**

العصـر المشـترك حـول الخلافـة والحكـم والفقـه السياسـي ومجاهـدة الانحراف والبعد عن الشروط الشرعية للإمامـة والحكم، فكانـت تلك الصور الثلاث ترمز إلـى العلم والزهد والجهاد لتعكس مزايـا الإسـلام الحق، حتـى ولـد الغلو والتعصـب فـي عصـر الافتـراق وانتشر الزيـف والشـطح والباطنيـة وظهـرت الخصـومة والطائفيـة واختلفـت العقيـدة وتلوث صـفاؤها عند الغـلاة المتعصـبين الـذين ابتعـدوا مـع الـزمن عن المنهج القرآني الوسط، ويمكن أن نقول، أن أفضل حالـة لذلك التكامل والوسطية في واقع المسلمين بعـد عصـر الرسـالة، كانـت فـي عصـر الخلافة الراشدة وكان عهد الخليفة عمر ﷺ، بحق عهد العدالة والوحدة والتكامـل، وهيمنـة شـريعة الإسـلام وحضـارة القـرآن، فبعـد أن هـدم الباطل وتيار الردة في خلافة الصديق، جاء البناء الشامخ في عهد عمر الفاروق، وكان خروج الحسين وابـن الزبير واستشـهادهما يمثل التحـام أهل البيت والصحابة ورفضهما للانحراف والمستحدثات التـي طـرأت على دولـة الإسلام في عهد يزيد. فلو بقـي التشيع فـي إطـاره السياسـي، كمـا كـان فـي العصـر الإسـلامي المشـترك دون أن تصـيبه لوثـة الغلـو ومسـتحدثات التشـيع الصـفوي وغيرهـا، ممـا أثـر علـى وحـدة العقيـدة والفهم المشـترك لأصـول الـدين، للمسـنا صـور التـداخل والتكامـل بـين التسنن والتشيع التي تجسدت فـي صـدر الإسـلام، فلابد للبنـاء الصـريح الذي يريده الإسلام من هدمٍ لأركان الباطل، فهما وجهان لعملـة واحـدة، لأن البناء وإقرار كل مـا يبنـى دون ضـابط يؤدي إلـى فسـاد البنـاء كلـه، وكذلك فان الهدم من أجل الهدم يؤدي إلى الفوضـى، والـى الخـروج من أجل الخروج، فلابد من تداخل البناء والهدم في وقت واحد، هدم الباطل وبنـاء الحـق لكـي لا ينبـت فـي الأرض إلا مـا يحبـه الله ويرضـاه بفعـل خلافـة الإنسـان ودوره علـى الأرض. إن تلـك الآليـة والجدليـة القرآنيـة، جدليـة الأمـر بـالمعروف والنهـي عن المنكـر، هـي مـن أهـم خصـائص

الأمـة الوسط، ومن صلب تعـاليم القرآن، وهذا الفهم المتـوازن يصـبغ الشخصية المسلمة بالتوازن والحدة والتوحيد والايجابية والربانية، حين تؤمن بالوسطية والتقارب وتبتعد عن الغلو والطائفية، وهكذا يبدو جلياً أن هذه الآلية (البناء والهدم) آلية مهمة لتمييز الخبيث من الطيب، وان الهدم وحده عملية فوضوية، إذا لم يلحقها بناء دولة الحق.. ومن هنا نرى التكامل بين التسنن والتشيع الأصيل. وذلك التداخل كان في أجمل صوره في صدر الإسلام حين تكامل قلم العلماء والمحدثين والفقهاء مع سيف المجاهدين الصـادقين، سواء فـي كتائب الفتح الإسلامي أو فـي محاربة البدع والانحراف في الداخل. واستمر ذلك التداخل والتكامل بين السيف والقلم طيلة العصر المشترك في عصر التـابعين وتـابعيهم حتـى عصر تدوين الحديث والسيرة والتاريخ. ثم اضطربت وحدة المسلمين بعدها، وكثر الغلو والخبث والفرقة والخصومة، قبل مطلع القرن الرابـع الهجري، ثم تعـاظم دور الأعاجم والغلاة مع وصول البويهيين للحكم وتسييرهم لخلفاء بنـي العباس والسلاجقة من بعدهم، وظهور البدع والفلسفات الدخيلة مع ظهور المعتزلة والقرامطة والباطنيين، ثم جاء دور المغول، الذي توج بسقوط بغداد والقضاء على الخلافة العباسية. وفي عصر المتوكل العباسي وبعد منتصف القرن الثالث الهجري ظهر لأول مرة فـي التـاريخ الإسلامي مصطلح التشيع العقائـدي، وقـد تشـرب بفكـر المعتزلـة واخـتلط مـع فكـر الغـلاة والشعوبيين، وقد كان لفظ التشيع في العصر المشترك يقصد به المعنـى اللغوي والسياسـي، فكـان هنـاك شـيعة معاويـة وشـيعة علـي، وشـيعة العلويين وشيعة العباسيين وهكذا. وكانت ظاهرة الخروج على الحاكم ظـاهرة مشتركة شملت معظم بيوت قريش وأبرزها بيوت العلويين والعباسـيين والأمـويين والزبيـريين. وكـذلك مصـطلح السـنة ورجـال الحديث، كان يطلق علـى العلمـاء الـذين اهتمـوا بعلـم الحـديث والروايـة،

وهم الذين سموا أيضا المحدثين وكان إلى جوار ذلك الفقهاء والمجتهدون، وكان اسم الإسلام والانتماء إليه هو الذي يجمع أهل السنة والشيعة والمتصوفة وعلماء المسلمين وعامتهم، وكان كبار الأئمة والعلماء في ذلك العصر المبارك هم أوائل العلماء والفقهاء والمجتهدين الذين ترجع إليهم المدارس والمذاهب الإسلامية المختلفة، وكون إتباعها فيما بعد الفرق والتيارات العديدة التي ظهرت خلال التاريخ الإسلامي. وأبرزهم أئمة أهل البيت وأبناء الصحابة والتابعين، كابن عباس وابن عمر وزين العابدين والباقر والصادق ومالك وأبي حنيفة والبخاري ومسلم وغيرهم من كبار الأئمة الأعلام.

في الحقيقة إن إهمال المسلمين لمبدأ الشورى في الحكم الذي سار عليه الخلفاء الراشدون، ومبدأ العدالة والأخوة والمساواة التي جاء بها الإسلام، وإبدال ذلك بالنظام الوراثي الذي سار عليه الأمويون والعباسيون وكذلك العلويون[1]، وتفشي الظلم والقهر والاستبداد بالرأي والحكم الذي برز بشكل خطير وواضح بعد فتنة المعتزلة وبداية العصر العباسي الثاني. وإبدال الشورى بالصراع السياسي والدموي بين بيوت قريش الأربعة، هو الذي أدى إلى الكوارث والفتن بين المسلمين، وأدى مع الزمن إلى استئصال قيادات المسلمين من الصحابة وأهل البيت وأبنائهم وهم الذؤابة من قريش. وترك في قلوب المسلمين الجراح والحسرة على مقتل هؤلاء الرجال العظام وبشكل بشع أحياناً كما حصل عند مقتل طلحة والزبير بعد عثمان ثم

---

[1] لقد مارس العلويون وآمنوا بالمبدأ الوراثي شأن الأمويين والعباسيين، ولكن وهم يشكلون المعارضة، حين كان أساس الخروج نفسه يستند إلى المبدأ الوراثي، كما طبقوه فيما بعد، حين حكموا في المغرب (الأدارسة) وفي المشرق (الحسن بن زيد) وفي اليمن وغيرها.

علي ثم الحسين ثم ابن الزبير ثم زيد بن علي وهكذا حتى دار الزمن على الأمويين فقتلوا مع بداية خلافة بني العباس في الموصل ودمشق وفلسطين (واقعة نهر أبي فطرس) ومصر والمغرب وغيرها. ثم مقاتل العلويين والعباسيين ضمن مؤامرات وخطط دفينة في العصور التي تلت، وأحيانا كثيرة كان على أيدي أعداء الأمة وان كان بسيوف الإخوة أحيانا، والجدير بالذكر أن هذه المقاتل ذات الطابع السياسي والتنافس على الحكم، رغم كثرتها في التاريخ الإسلامي، فهي أقل مما حدث في تاريخ الأمم الأخرى سواء قبل الإسلام أو بعده، وسواء عند الفرس أم الروم، مقارنة مع طول الحقب التاريخية، إذ أن تاريخ الإسلام السياسي امتد قرابة ألف عام، وطبيعي أن يشهد هذا الزمن الطويل كثيراً من الصراعات والمقاتل والأحداث المنوعة، لاسيما وان حصون الأمة المسلمة لم تخل على مر الزمن من وجود أعداء مندسين تظاهروا بالانتماء إلى الإسلام، وهم معاول هدم وإثارة فتن بين المسلمين، وقد استخدموا كل ما بوسعهم لهدم هذا الدين والقضاء عليه من داخله، ومن جملة مؤامراتهم منذ مقتل عثمان ﷺ ولحد اليوم، إثارة الفرقة والخصومة والطائفية ونشر الأفكار الباطنية والمستحدثات الوثنية والأفكار الدخيلة على الإسلام، وكان من نتائج ذلك الصراع بين المسلمين والمنافقين تلك الفتن والمقاتل وضياع الخلافة والحكم الإسلامي وفساد أخلاق المسلمين وضعفهم ووهنهم وتنافرهم، وضياع الأندلس وفلسطين وكثير من ديار الإسلام. ومع هذا التنافس والتناحر السياسي فان مما يسجل لصالح هذا الدين ويعلي من شأنه بقاء العقيدة الإسلامية منهجاً وفكراً وعملاً وتطبيقاً في بلاد المسلمين، وكان ذلك فضلاً من الله وحماية لدينه وبجهود العلماء والمجاهدين في العصر المشترك وما بعده، فقد حفظ الإسلام، كتاباً وسنة وسيرة وتاريخاً وتراثاً مليئاً بالمآثر والأمجاد والإخبار الدقيقة عن جهاد أمة الإسلام

ودورها في صنع حضارة القرآن. ومن مميزات العصر المشترك أيضا أن رجال البيوت الثلاثة، كانوا يشعرون بأواصر النسب والمصاهرة فيما بينهم، حتى أن حكام بني أمية -وكذا بني العباس فيما بعد- كانوا يسمون العلويين بني عمنا (خصوصاً عندما تخمد الفتن ويعم السلام)، وقد تكررت تلك الصيغة على لسان محمد بن الحنفية العلوي بحق الأمويين وعلى لسان عبد الملك وغيره من خلفاء بني أمية، وكذلك السفاح والمأمون وغيرهم من خلفاء بني العباس. ولكن الإعلام الطائفي والشعوبي، جعل المسلم اليوم يشعر بالتباعد والتنافر بين أفراد هذه البيوت الشريفة، التي كان لها السبق في الإسلام وكان لأحفادهم تاريخ مشرق في بناء مجد الإسلام وتوسيع رقعته، رغم ما حدث من بعض الأحداث المؤسفة التي كانت وليدة الظرف السياسي. فيتصور البعض إن بني أمية -مثلاً- من أعدى أعداء الإسلام ورجاله، وكذا بالنسبة للعباسيين، وتلك صورة ولدت في العقول المريضة وأفرزتها الجهات المدسوسة المعادية للإسلام، واستعراض سيرة هؤلاء الرجال وتاريخهم ومتابعة أواصر الإيمان والإخوة والنسب والمصاهرة فيما بينهم[1]، يثبت عكس هذه الصورة، فهم أخوة في الدين والنسب وكانت فترات التعاون والجهاد المشترك أكثر بكثير من فترات الصراع والتنافس، حتى إن نسبة من اشترك من الصحابة في معركة الجمل وصفين -مثلاً- هي اقل بكثير مما يتوقع البعض واثبت التاريخ إن معظمهم لزم الحياد واعتزل الفتنة ولم يقاتل، وكذلك كان كبار أبناء الصحابة وأهل البيت فيما بعد، كابن عمر وابن الحنفية

---

[1] انظر: تاريخ الطبري وابن كثير وطبقات ابن سعد وغيرها، للتعرف على مآثر أهل البيت والصحابة وأخوتهم والأواصر النسب والمصاهرة والجهاد المشترك، الذي طبع حياتهم سواء في عصر الصحابة أو عصر التابعين.

وعروة بن الزبير والباقر والصادق وغيرهم كثير. وينبغي على المسلم أن يحذر الدس والتزييف وإقحام أحداث التاريخ بشكل انتقائي في الطائفية وأسبابها، وأن يعلم إن هذا المرض مصدره الغلو والشعوبية وأعداء الأمة من خارجها. وذلك لا يعني بأي حال أن كل من اعتلى الخلافة أو طالب بها على أساس النسب أو الموقع، فانه على حق وانه أهل لها. ولكننا نضعها في أطار السياسة لا العقيدة، وينبغي أن نعرف إن الإسلام العظيم لا يمكن أن يحيط به فرد، أو جماعة، أو مذهب معين أو مدرسة من مدارسه التي استلهمت فكرها وعقيدتها من القرآن والسنة والتراث المشترك. بل ينبغي أن ينظر له من خلال مذاهبه تلك وزواياه ومشاربه. مادامت قد استمدت عقيدتها من منهجه الرباني، والوحي الإلهي الخالد. وفق منظور الاعتدال والوسطية والتكامل التي هي من سمات الأمة الوسط. وعليه فان المنظار المذهبي الأخوي الذي يسع الجميع حين يحل محل المنظار الطائفي المغالي. سيكون إحدى وسائل علاج التعصب البغيض، وعندها سنكون قد دفعنا بأمتنا إلى شاطئ الإخوة والوحدة الحقة مع الاحتفاظ بحرية الاجتهاد والاختلاف المشروع، وحركة الفكر خارج أطار النصوص الثابتة والوحي الصادق. فلا بأس حينئذٍ بالمدارس الفكرية والمذهبية والاختلاف المحمود الذي يعبر عن سمو الفكر وحرية الاستنباط والاجتهاد، ضمن الإطار الذي يرسمه المنهج الرباني، وعندها يكون الانتقاء والأخذ وما جاء في تلك المدرسة وبعض ما جاء من آراء طيبة في ذلك المذهب، فتنبعث الحياة الفقهية والفكرية من جديد بين المسلمين. وتسود الأخوة ويغلق باب الخصومة والأحقاد إلى الأبد، لان الخصومة والتعصب مرض خطير يورث النفاق، بينما الاختلاف المشروع على عكس ذلك يشرح الصدر وفيه حياة العقول وحركة الفكر نحو التطور والإبداع. وقد روي عن الإمام الصادق قوله

المأثور: (إياكم والخصومة في الدين فإنها تحدث الشك وتورث النفاق). فشتان بين الخصومة التي هي ثمرة الطائفية، وبين التنوع المذهبي، فالأول مرض وعقدة خبيثة تصيب النفس والروح وتحجر الفكر وتميت القلب. والثاني سعة للفكر ورحمة للعباد وتطور فكري وسمو روحي، يعطي للحياة معنى وللمجتمع حركة خلاّقة لمواجهة المستجدات والتغلب عليها، وعليه فان هذا الدين هو جوهرة الوجود المهداة إلى البشر لتهديهم سواء السبيل، والمسلمون في كل زمان يُحب لهم الله سبحانه أن يكونوا أمة وسطاً تكون شاهدة على الناس ويكون الرسول شهيداً عليها من خلال أتباعها للمنهج الذي أنزله الله على قلب رسوله دستوراً لنا، لكيلا تحيد عن منهجه إلى بقية المناهج البشرية. وان لجوهرة الإسلام، أوجهاً وزوايا عديدة، وانه لمن القصور أن ننظر لهذه الجوهرة من زاوية واحدة وهي زاوية الخلافات السياسية بشكل خاص، لأننا سنفقد بذلك صور الجمال وملامحه الأخرى لهذا الدين العظيم. ومن هذه الصور، تلك الصور الثلاث الحية الأصيلة، التي تعبر عن رسالته وعقيدته ومنهجه، إذا رجعنا بها إلى عصر النور في صدر الإسلام، وفي قرونه الأولى، وكما إن الصحابة لم يستطيعوا أن يستوعبوا عظمة الرسول ﷺ ودوره وسيرته وأحاديثه أفرادا، بل استوعبه جيل الصحابة بأجمعه، فكان جيلاً فريداً، وخير امة أخرجت للناس لأنها كانت امة القرآن، وكان النبي ﷺ قرآناً يمشي على الأرض، وعن السيدة عائشة قالت، تصف رسول الله ﷺ : كان خلقه القرآن[1]. فكذلك الإسلام العظيم، لم تستوعبه فئة معينة أو فرقة محددة، وإنما يمكن استيعابه بتكامل مدارسه وفرقه ومذاهبه، بشرط أن

[1] رواه الإمام احمد، وانظر مختصر تفسير ابن كثير/ للصابوني، تفسير سورة القلم/ جـ ٣ ص ٥٣٣.

تهتدي بهدي القرآن ومنهجه الوسط، وان تتجنب الشوائب الدخيلة والبدع والخرافات والغلو والمستحدثات التي لا يؤيدها نص من القرآن والسنة الصحيحة. وتلك هي الفكرة والخلاصة التي يتضمنها مخطط (الوسطية والتكامل) معلماً من المعالم المضيئة. في طريق الوحدة والتقريب وعلاج الطائفية بين المسلمين[1].

وبناءً على ما تقدم، فان الرجوع إلى منهج السلف الصالح من الصحابة وأهل البيت والتابعين، وفهم الإسلام كما فهموه وطبقوه وتفيئوا ظلالـه، هو حجر الزاوية في الدعوة إلى الوحدة والأخوة والتقريب. وبرجوع المسلمين إلى تراث العصر الأصيل، الذي لا يحمل في ثناياه ما يثير الفرقة والتطرف والأفكار الدخيلة، فيكون الرجوع إلى تعاليم القرآن، مفسرة بأقوال النبي ﷺ وأحاديثه الصحيحة ووفق قواعد اللغة العربية المتفق عليها، وما فهمه السلف من هذه النصوص، هو عماد الأمة الوسط والمنهج الرباني الذي ندعو لـه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

[1] **انظر كتاب ثقافة الوسط/ للمؤلف.**

مدارس التقريب المعاصرة

نحاول هنا تسليط الضوء على جهود التقريب المبذولة بعد أن استعرضنا أهم الأحداث السياسية والمهمة في القرون الأولى للتاريخ الإسلامي والوقوف على دوافع وأسباب الخروج السياسي، والتأكيد على تراث العصر المشترك (عصر الصحابة والتابعين) والمنهج الرباني (الوسط)، بما ينسجم مع ما يطرحه القرآن الكريم من خلال الآيات التي تتحدث عن حياة الصحابة وجهادهم وتضحياتهم مع النبي الكريم قائداً وقدوة ومربياً لهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بما ينسجم مع ما بذل من جهود طيبة ومباركة للعديد من الكتاب والدعاة والمصلحين لمحاصرة الطائفية البغيضة والقضاء عليها، وإشاعة جو الإخوة والوحدة والألفة بين المسلمين مذاهب وإفرادا، ومحاولة التماس الوسائل المؤثرة لدعم وإثراء الجهود المبذولة للتقريب بينهم، من خلال التركيز على أهمية التقارب والتحاور والتشاور والإخوة بين المسلمين وفق المفهوم القرآني الذي يؤكد على الوسطية والتوازن والتعاون ويذم التعصب والفرقة والخصومة، في نصوص كثيرة مبثوثة في ثنايا الكتاب العزيز، وكذلك من خلال تحذير المسلمين من مغبة استغلال العدو لذلك الداء العضال والصراع المرير الذي كلف الأمة الكثير، وكان من الأسباب المهمة لضعف المسلمين وتخلفهم عن غيرهم من دول وأمم العالم في معظم الميادين، وكان من الأسباب المهمة أيضا لسقوط الخلافة الإسلامية مرتين، حين سقطت بغداد على يد المغول وقد كان الصراع الطائفي حينئذ على أشده، وكان المسلمون غارقين في الجدل العقيم عن صحة هذا الخبر أو ذاك، مما دفع ابن العلقمي وغيره أن يتعاون مع العدو الخارجي الغازي ضد الخلافة في بغداد

وضد أبناء جلدته ودينه[1]. وفي مطلع القرن العشرين، كان الصراع الإيراني العثماني من ضمن الأسباب التي أدت إلى سقوط الخلافة العثمانية، التي كانت تمثل رمز وحدة المسلمين وكيانهم الحضاري والسياسي، فكان سقوط الدولة العثمانية بدايةً لمآسٍ عديدة تدمي القلب وتجعل الولدان شيباً، في مقدمتها وقوع العالم الإسلامي بيد المستعمر الغربي، وانتشار التفكك والضعف والشلل السياسي العام، وضياع مصادر الثروة والقدرة على استغلالها لدى المسلمين وتحكم الغرب فيها، وأقساها ضياع فلسطين والقدس الشريف والاحتلال اليهودي البغيض لها بمساعدة الغرب الغادر. وانزواء الحضارة والحياة الإسلامية، وانتشار الأفكار العلمانية ومفاهيم الحضارة الغربية في ربوع بلاد المسلمين، واستمر ذلك حتى بزغت شمس الصحوة الإسلامية في الربع الأخير من هذا القرن، وانحسر المد الغربي وثقافته وحضارته الميكافيلية المستعمرة وانتباه المسلمين إلى ضرورة العودة إلى الإسلام وحضارته ومثله، وكما ترادف ضياع فلسطين مع سقوط الخلافة العثمانية، فقد ترادف ضياع الأندلس مع سقوط الخلافة العباسية في بغداد أو لنقل بداية الضعف والتشتت الذي أرتد إليه المسلمون في أرض الأندلس والذي امتد لأكثر من قرنين من الزمان، مع تعاظم قوة الغرب في حينها ممثلة في اسبانيا وفرنسا (دولة الإفرنج) المحاذية لبلاد الأندلس، ولم يشفع التقدم العلمي والرقي الحضاري لشعب الأندلس واستفادة الغرب المتخلف من معاهدها وجامعاتها وعلمائها في إنقاذ الفردوس المفقود من براثن الغرب وغطرسته وحقده على الشرق المسلم، حتى سقط آخر معقل لبلاد

---

[1] انظر كتاب بغداد والغزو المغولي/ سلمان التكريتي/ مكتبة الشرق –بغداد ١٩٨٨م.

الأندلس، وهي أمارة غرناطة في مطلع القرن العاشر الهجري، أي قبل خمسمائة عام من الآن، وهو نفس الوقت الذي اكتشف فيه الغرب القارة الأمريكية، ومد نفوذه إليها، ولم تنقطع الحملات الصليبية قبل وبعد هذا التاريخ، وقد استطاعوا احتلال أجزاء من بلاد الشام واحتلال القدس وتأسيس دويلات لقيطة فيها، ولقد استطاع الناصر صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية في مصر الذي ظهر في أواخر القرن السادس الهجري، أن يطهر القدس من الغزاة ويطردهم من فلسطين وبلاد الشام، وان يأسر ويذل قائد التحالف الغربي الملك رتشارد، فرجعوا خائبين من حيث أتوا. وكان من ثمرة احتكاك الغرب في فلسطين أثناء الحروب الصليبية وفي الأندلس انتقال حضارة الشرق ممثلة في النظم والأفكار والفلسفات والعقائد الإسلامية إلى الغرب، فكانت إحدى الأسس المهمة في النهضة الحديثة للغرب باعترافهم أنفسهم، وتمكن الغرب بعد قرون أن يطور تلك العلوم واستخدم الغربيون ذلك التطور وسيلة لاحتلال الشرق وتخريبه، فبعد سقوط غرناطة والأندلس اجتاحوا المغرب العربي ومصر وتغلغلوا في أفريقيا والهند وإيران والدولة العثمانية عموماً، وسيطروا على البحار والمحيطات التي تحيط بالشرق المسلم، حتى تم لهم ما أرادوا واحتلوا الشرق كاملاً وتقاسموه تماماً كما تتداعى الأكلة على قصعتها - كما أخبر النبي ﷺ - وانتهت المسألة الشرقية وقصة الرجل المريض، إلى لقمة سائغة بيد الغرب الغادر ودوله الاستعمارية[1]، ولا يزال الصراع مستمراً بين دول

---

[1] روى أبو داود/ جـ ٤ (٤٢٩٧) عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) فقال قائل: أَوَمِنْ قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال: بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم. وليقذفن الله في

الغـرب علـى مزيـد مـن الفتـك والتخريـب والـذل والتبعيـة ومصــادرة المـوارد الطبيعيـة وفـي مقدمتها النفط الذي هو مـن أعظـم نعم الله بعد الهدايـة علـى بلاد الإسلام، فاستطاعوا أن يقلبـوه نقمـة، وسـبباً لاحتدام الصراع بين دول الغرب للسيطرة عليـه، وسـبباً للقلاقل والمشـاكل بـين دول الإسلام إضافة إلى المشاكل الإقليمية والحدودية التي رسم وخطط لها واختطها الغرب بين دول الشرق عموماً.

ومن هذا الاستعراض يمكننـا تصـور مـدى إمكانيـة استغلال عدو الإسلام وغريمـه الـدائم المتمثـل بـالغرب والصـهيونية لورقـة الطـائفيـة، ومدى اهتمامـه ببقـاء المسلمين متخلفين ومختلفين، فاهتمامـه بالتجزئـة يوازي اهتمامـه بالطـائفيـة ولنـا أن نتصـور مـدى اهتمـام الغـرب واتفاقـه علـى متابعـة الدراسـات الشـرقية وتـاريخ الشـرق وفرقـه وصـراعاته والفتن التـي أصـابته، مـن خـلال معرفـة حقـائق مهمـة فـي هـذا المجـال، منهـا[1]: إن اغلب المستشرقين الـذين اهتمـوا بالدراسـات الشـرقية، لـدى الـدول الاسـتعمارية الرئيسـة بريطـانيـا وفرنسـا، وأمريكـا، مـن علمـاء اللاهـوت اليهـود والنصـارى، بـل هنـاك فـي الغـرب أيضـا جامعـات لاهوتية متخصصة، تعطـي الأولوية لهذه الدراسات، أما مستشرقو بقيـة دول أوربا، فهم من اختصاصات منوعة تاريخية وفلسفية وغيرها. وقد كشــفت أحــدى المصــادر الإستشــراقية إن المخــابرات الأمريكيــة والانكليزيـة تعتمـد فـي معلوماتهـا عـن الشـرق المسـلم علـى سـتين ألـف بحـث إستشـراقي أنجـز خـلال القـرون الثلاثـة الماضـية حـول مختلـف

قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الــوهن ؟ قــال: (حــب الــدنيا وكراهية الموت).

[1] انظر: كتاب حصوننا مهددة من داخلها/ د. محمد محمد حســين، وكتــاب النظام الدولي الجديد/ منير شفيق، وكتابات أنور الجندي.

العلوم الدينية والاجتماعية والتاريخية لدول الشرق كافة[1]، ومن الحقائق المؤلمة الأخرى، انه رغم حدوث حربين غربيتين هما الحرب العالمية الأولى والثانية، ورغم تمزيق ألمانيا في الحربين وخسارتها الفادحة فيهما، إلا إن مركز الدراسات الإستشراقية الذي يقع في برلين (عاصمة ألمانيا) استمر يعمل بانتظام ونشاط دون أن يتعرض لما تعرضت له دولة ألمانيا من عقوبات وغرامات وتقسيم، مما يدل على إن الغرب متفق فيما بين دوله -ومنذ عدة قرون ولحد الآن- على أن هذا المركز من ضروريات الأمن القومي الغربي، لمحاربة الشرق عموماً، وحضارة الإسلام وعقيدته بشكل خاص، ولا يصعب الاستنتاج بأن موضوع الطائفية من أهم ما يمكن أن يستغله الغرب للفتك بالمسلمين دولاً وإفرادا.

في الحقيقة إن هذا الاستعراض التاريخي ضروري لتذكير القارئ الكريم بأهمية موضوع التقريب والإخوة الإسلامية، وخصوصاً فيما بين أهل السنة والشيعة، بعد هذا الوعي الإسلامي الذي يعم اليوم بلاد المسلمين، ولقد بذلت جهود مباركة خلال هذا القرن لتوحيد الأمة وتقريب وجهات النظر. وهي ليست سوى امتداد للجهود المبذولة قديماً، سواء في بداية ظهور الصراع الطائفي بشكله السياسي، أو فيما بعد أبان الحكم العباسي أو العثماني وما تلاه، فكانت أولى جهود الإصلاح والوحدة، هي موقف سيدنا الحسن وتجرده وزهده في الحكم وتنازله لمعاوية، بحيث سمي ذلك العام عند المسلمين، بعام الجماعة، وكان ذلك العمل الرائد السلمي المبارك، جزءاً من نبوءه نبوية، نص عليها الحديث الشريف في صفة الإمام الحسن ﷺ: إن ابني هذا سيد،

---

[1] من محاضرة للدكتور محسن عبد الحميد في المجمع العلمي العراقي، بعنوان (التجديد في الفكر الإسلامي) سنة ١٩٩٦م.

ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[1]. ثم تلاه جهد آخر طيب ومبارك لرفع مستحدثات الصراع الأموي العلوي خلال حكم بني أمية. وكان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز الراشدة، إذ حاول ذلك الخليفة إقامة العدل والعودة بالحكم الإسلامي إلى عهد جده عمر بن الخطاب ﷺ. ثم تلا ذلك محاولة المأمون، تولية الإمام علي الرضا ولياً لعهده، بل فكر في التنازل عن الخلافة له لحسم التنافس العباسي العلوي وإيقافه[2]. ثم محاولة التقريب التي بادر بها الشريف المرتضى، نقيب العلويين في العصر العباسي الثاني، وحاول فيها رفع المكفرات والمستحدثات التي طرأت على الأفكار والعقائد خلال العهد البويهي. وكذلك جهود الإمام ابن الجوزي والذهبي وغيرهم من العلماء والمصلحين، ومنها أيضا محاولة نادر شاه في مؤتمر النجف قبل أكثر من قرنين وقد اتفق الفريقان على ضرورة محاربة المستحدثات الصفوية، كالتعصب والمغالاة، واستنكار عادة سب الشيخين التي استحدثها إسماعيل الصفوي في بداية الحكم الصفوي، والتركيز على تعاليم القرآن والسنة ومحبة أهل البيت والصحابة، وقد نجح المؤتمر في حينه ولو لفترة وجيزة، ولكن الأطماع السياسية للحكام حالت دون استمرار الاتفاق[3]. كما دعا كل من القطيفي والبهائي للتسامح والأخوة والتقريب بعكس نظرائهم من مجتهدي الإمامية في العصر الصفوي

---

[1] رواه البخاري، وانظر الأذكار/ للنووي (٣٢١).

[2] انظر كتاب الإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي/د.محمد علي البار.

[3] انظر كتاب مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة/ د. ناصر القفاري/ القسم الثاني ص١٥٣ وما بعدها، وانظر مؤتمر النجف/ عبد الله السويدي/ نشر محب الدين الخطيب.

من الغلاة وأشهرهم الكركي والمجلسي اللذين كانا أداة بيد الدولة لنشر التعصب والتكفير لتأجيج وتبرير القتال بين المسلمين، مع جارتهم آنذاك الدولة العثمانية، وبالمثل قام العثمانيون بتسخير العلماء والقضاة السنة لتكفير الصفويين والإفتاء بجواز قتلهم، لتستمر تلك الحروب قروناً طويلة لمصلحة أعداء الإسلام[1] ثم ظهرت محاولات عديدة في مطلع هذا القرن لإحياء فكرة التقريب، كان من روادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ثم جماعة دار التقريب، مع جهود العديد من الكتاب والمصلحين لوضع حلول ناجحة لتلك الفكرة الطيبة والهدف النبيل[2]. ولقد واجهت تلك الجهود عقبات حقيقية في وجه التقريب والوحدة، وذلك لأسباب عديدة منها.

---

[1] انظر كتاب لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د.علي الوردي ص٧٠ ، وكتاب هكذا تكلم علي شريعتي/ د. فاضل رسول.

[2] ومن هذه الجهود أيضا الدعوة لمؤتمر القدس سنة ١٩٣٠م، وقد حضره عدد من علماء الفريقين، وهو وان كان هدفه الأساس توحيد الجهود لإنقاذ فلسطين من مخططات الصهاينة، إلا أن انعقاده والاستجابة له يعكس اهتمام المسلمين بالتقريب، وقد حضره من علماء العراق، الحاج نعمان احمد الأعظمي ومحمد بهجت الأثري والعلامة محمد حسين كاشف الغطاء.. إضافة إلى عدد من علماء مصر وبلاد الشام، وقد صلى الفريقان في المسجد الأقصى، صلاة الجمعة مجتمعين على إمام واحد، كما حدث في مؤتمر النجف من قبل.. ثم تبع ذلك جهود الكثير من المصلحين، أمثال مصطفى السباعي في سورية ونواب صفوي في إيران، وهو رئيس جماعة فدائيان إسلام، وقد زار نواب عام ١٩٥٣ بغداد والقاهرة واجتمع مع عدد من علماء أهل السنة لتقريب وجهات النظر، وفي الفترة الأخيرة جهود التقريب للخالصي ومحمود

- عدم الواقعية في دراسة الطائفية وأسبابها وسبل معالجتها، وربما عدم الصدق في النوايا والعمل بأكثر من معيار، بدافع التعصب وعدم صفاء النية لخدمة ذلك الهدف.

- التطرف والتعصب ومبدأ التكفير واستحالة التعايش، ورفع شعار: كل ما عندي صحيح وكل ما عند خصمي خطأ.. وغيرها من الأسباب والعقبات.

في الحقيقة، ومن خلال الاطلاع على عشرات الكتب التي اهتمت بالخلافيات ومعالجة الطائفية، ومعايشة العلماء والمفكرين والمهتمين بهذا الموضوع من الجانبين، يتضح أن هناك عدة منهجيات لمحاولة علاج الخصومة والتعصب الطائفي، وإشاعة مفاهيم التقريب والإخوة الإسلامية بين المذاهب، أهمها :

١- منهجية التكفير والتطرف، إذ يحاول كل طرف أن يثبت صحة موقفه، وتكفير الطرف الآخر، وكأن الإسلام لا يسعه أن يستوعب موقفين في آن واحد[1]، فعلى سبيل المثال ليس كفراً ولا جريمة أن يعتقد احد من المسلمين أن علياً كان أجدر من غيره في الخلافة، وان يعتقد الآخر إن أبا بكر الصديق يستحق موقعه بجدارة أول خليفة للمسلمين. وقد انتخب وفق مبدأ الشورى، بل حتى إن علياً الذي ربما اعتقد في وقت ما بأنه أجدر من غيره وتأخرت بيعته لأبي بكر، عاد فبايع حين رأى انه إمام اتفاق الأغلبية، وقد آمن بشرعية خلافة أبي

غريب وغيرهم من المصلحين والعلماء الذين اختاروا الوسطية والتعايش بدل التطرف والخصومة.

[1] **انظر كتاب دعاة لا قضاة/ حسن الهضيبي، وحكم تكفير المسلم في القرآن والسنة/ حسين الصدر، فقد أكدا على عدم جواز تكفير مسلم اقر بالشهادتين، وان نترك حسابهم على الله.**

بكر وجاهد معه المرتدين، وقبل هدايا الخليفة وأصبح من ابرز وزرائه ومستشاريه[1]، وكذلك في عهد عمر الذي كان لا يقطع أمراً حتى يستشير أبا الحسن، ولم يكتفِ بذلك بل صاهر أبا الحسن في ابنته أم كلثوم، التي أنجبت له زيداً ورقية[2].

فليس في ذلك تناقض أو إشكال، وإنما الإشكال في الاعتقاد بان أحدهما قد ضل وارتد عن دينه كما يعتقد الغلاة، وحاولوا أن يدسوا في الروايات والتاريخ ما يؤيد تلك الأفكار الفاسدة وينسبوها إلى أحد أئمة أهل البيت أو غيرهم من رجال الإسلام.

٢- والمنهجية الثانية في التعامل مع موضوع الطائفية، منهجية التقريب دون شروط أو أسس منطقية أو واقعية، والاعتقاد انه ليس هناك خلافات أو مستحدثات توجب التداول والاتفاق، لأنها خلافات فقهية وفرعية، شأنها شأن الخلافات الفرعية بين المذاهب عموماً فيما ليس فيه نص، وغيرها من اجتهادات العلماء والفقهاء، وتلك أيضا نظرة قاصرة ساذجة، غير واقعية وليس لها سند إلا الوهم والخيال والعاطفة. وذلك الأسلوب في العلاج شبيه بطريقة النعامة حين تخفي رأسها في التراب وهي تظن أن لا يراها احد. إذ تهمل أسباب الخلاف الرئيسة دون أن تجد منافذ للتعايش والوحدة.

٣- وهناك منهجية ثالثة، منهجية مصلحيه نفاقية باطنية، تتبع أسلوب كسب الوقت ورفع شعارات التقريب واستغلال تلك الشعارات خدمة لمصالح طائفة معينة، والتغلغل في أوساط الطائفة أو الفريق الآخر، وتحسب الأمر نوعاً من الصراع والحرب الخفية وتحت شعار

---

[1] إن هذه التفاصيل هي محل اتفاق الفريقين، ومذكورة في مصادر الطرفين، انظر سلسلة كتب إحسان الهي ظهير.

[2] انظر: كتاب عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب/ لابن عنبه وغيره.

الحرب خدعة، وتحاول التظاهر بالاتفاق وتشجيع مبادرات التقريب تقية، ثم ما أن تنفرد مع فريستها حتى تحاول التأثير عليه وسحبه إلى ما تدعو إليه، دون اعتبار أو اهتمام بشعارات التقريب التي ترفعها.. وهذه المنهجية لا تعد منهجية في التقريب وعلاج الطائفية، بل هي الطائفية بعينها.

في الحقيقة أن منهجية التكفير والتطرف والحدية لم تعد صالحة اليوم في علاج الخصومة والافتراق، بعدما عرضنا جزءاً مما يخططه لنا الأعداء من استغلال تلك العلل المؤدية حتماً إلى الشرذمة والتشتت لكي يواجه المسلمون نوعاً من الفناء الحضاري الذي يخططه الغرب[1] لعدوه الأزلي الإسلام ورسالته الخالدة. إذ أن منهجية التكفير تعتمد على مبدأ التفنيد المطلق والانتصار للفكرة التي تسيطر على فريق ما. كما إن منهج التقريب المطلق وصم الآذان عن سماع أي طرح حول الخلافات المستحكمة وخصوصاً تلك التي استحدثت عبر العصور واعتماد مبدأ التقريب الفقهي فقط، والتي رفع شعارها دعاة التقريب في مصر ولبنان وإيران قبل نصف قرن تقريباً، وانشأوا لذلك دار التقريب ومركزها في القاهرة، لم تنجح أيضا لان هذه الجماعة أهملت أسباب الخلاف الحقيقية واعتبرت أن التقريب واقع حال لا يحتاج غير النطق به، وان الخلاف هامشي وفرعي يخص جوانب الفقه والعبادة فقط، وهذا خطأ جسيم، مما أدى إلى فشل ذريع لتلك المحاولات ومن يقف وراءها. ودفع بعض الطامعين إلى استغلال ذلك

---

[1] إننا نقصد بالغرب، الغرب الاستعماري الذي كان ولا يزال العدو اللدود للشرق الإسلامي، ولا نقصد بداهةً الغرب المنصف المحايد الذي يدعو إلى السلام والرقي الإنساني، حيث إن هذا التيار هو التيار الأضعف والأقل تأثيراً على الرأي العام الغربي، مع الأسف.

النشاط وجعله غطاءً مناسباً لترويج الأفكار الطائفية بحجة التقريب، وهو أمر كثير الوقوع نلمسه واضحاً في طروحات ومؤلفات عدد من الكتاب أمثال: عبد الحسين شرف الدين الذي كتب بقلم طائفي يغذي ويدعم التعصب ويثير الأحقاد على جيل الصحابة وعلى الفريق الذي يخاصمه، بحجة دعوى التقريب والوحدة[١]، وقد ظهر اليوم أحد تلامذة هذا المنهج ممن يدعي بأنه كان من أهل السنة ثم اهتدى إلى الرفض، فكتب عدة كتب تضاهي كتب أستاذه عبد الحسين، لكنها كتبت بأسلوب جديد فيه من المخادعة والكذب والتزوير الشيء الكثير، والكثير من المهتمين بالخلافيات يشككون بحقيقة انتساب هذه المؤلفات له، واسمه محمد التيجاني السمّاوي، ويعتقد هؤلاء أن تلك الكتب تكتب في دهاليز الطائفية ممن هم في خدمة الغرب والصهيونية، ثم تنسب إلى هذا الرجل، أو يقوم هو بطبعها بعد قراءتها والاطلاع عليها، والجدير بالذكر إن هذا الرجل يدعي بأنه تونسي الأصل ويسكن في باريس منذ أكثر من عشر سنين[٢] في الحقيقة إن مدرسة التقريب المطلق التي تبنتها دار التقريب في مصر[٣] أدت -إضافة إلى استغلالها من قبل دعاة الطائفية- إلى وجود ردود فعل عنيفة في أوساط الفريق الثاني، فظهرت منهجية التكفير واليأس من التقريب كرد فعل لاستغلال هذا

---

[١] ومن مؤلفات عبد الحسين شرف الدين التي تدعي الوحدة والتقريب، ولكنها أدت إلى نشر التعصب والطائفية: المراجعات، النص والاجتهاد وغيرها.

[٢] انظر كتاب منهج أهل البيت/ الحسني، وفيه رد على بعض كتب التيجاني.

[٣] لقد كانت هذه الدار -في الواقع- إحدى المراكز التي صنعها دعاة الطائفية والشعوبية، وكانت إيران تمدها بالمال والرجال السائرين في فلكها، مما أدى إلى افتضاح أمرها بعد حين. انظر مسألة التقريب/ د. ناصر القفاري وغيره.

المبدأ والهدف النبيل، فظهرت في وقتها كتابات محب الدين الخطيب ثم تلتها بعد ربع قرن كتابات إحسان الهي ظهير، ومحور هذه الكتابات إن التشيع بوضعه الحالي لا علاقة له بالإسلام، وان لا تقريب إلا برجوع الشيعة عن جميع عقائدهم ودخولهم في دائرة أهل السنة وعقائدهم وأفكارهم وأصولهم، وربما في كل جزئيات الخلاف. ورغم إن هذه المدرسة قد أثرت التراث الخلافي ببحوث غاية في الأهمية شأنها شأن كل ما كتب في هذا الموضوع لان ذلك سيكون المرجع لدراسة أسباب الخلاف ومعالجتها للمهتمين بالأمر من كلا الطرفين، إلا إن ظهور هذه الموجه والموجة الأخرى وّلد جواً طائفياً شديد التوتر بدا أن الصراع المرير عبر القرون قد تحول من صراع السيف وميدان القتال إلى صراع القلم وميدان الكتابة والإعلام، وضاع دعاة التقريب من ذوي النوايا الصادقة من الفريقين في خضم هذا الصراع الهائل وذلك الاضطراب الإعلامي الواسع النطاق، وقد أجاد الغرب بشقيه الصليبي والصهيوني في تزويد هذه النار بالوقود اللازم وبالإرجاف والشائعات والتزييف والفتن، مما يجعل الحليم حيران في بعض الأحيان، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

٤- منهجية الأمة الوسط: إن المنصف المعتدل والمسلم الحصيف، حين يرى إن الفريقين قد اتفقوا على اله واحد ونبي واحد وكتاب واحد وتراث إسلامي مشترك واحد لا يسعه إلا أن ينام قرير العين، بان الشيعي المعتدل أخٌ حميمٌ للسني المعتدل، ويمكن أن يجتمعوا تحت مظلة الإسلام الواسعة وفق منهج الأمة الوسط الذي رسمه القرآن الكريم. غير إن ذلك لا يتم بين يوم وليلة، كما يحلم الحالمون، ولا يعني إن التقريب واقع حال لا يحتاج إلى جهد وتعب ومتابعة وبناء، كما يرى دعاة دار التقريب في مصر وإيران وبعض علماء النجف والأزهر في العقود التي مرت. ولا يعني بحال ضرورة تحول السني

إلى شيعي أو العكس كما يتوهم بعض الكتاب.. بل يعني ببساطة إزالة المستحدثات والمكفرات التي رانت على الفكر والعقيدة الإسلامية، وان تحل المذهبية بدل الطائفية بحيث يستطيع من يريد أن يأخذ ما يراه من آراء المذاهب وفق الأصول التي يحددها العلماء وان يستمر التحاور والتشاور والتداخل الفكري بين الفريقين، وان يحاول كل فريق -من جهته- أن يعيد النظر في الكثير من مروياته، تحت شعار التصحيح والتقريب، وخصوصاً ذلك الركام الذي أنتج في عصر الافتراق والطائفية الذي بدأ مع مطلع العصر العباسي الثاني، وتفشي الشعوبية والغلو وتحول الصراع الطائفي من صورته السياسية حول الحكم والخلافة إلى الصراع العقائدي، حيث شمل جميع جوانب الفكر والعقيدة الإسلامية، وتحول تلك القناعات الموروثة عن المدارس الفكرية والثقافات التي شاعت بعد منتصف القرن الثالث الهجري، ممتزجة مع ثقافات أهل الكتاب والحضارات القديمة عند اليونان والفرس والهند وغيرها، فكونت التراث والتاريخ الإسلامي الذي يجب أن يخضع للنقد والتمحيص، لاستخلاص العبر، بعد طرح البدع والخرافات والشطحات التي هي جزء من نتاج العقل البشري، مع التسلح الكامل بالوحي وتعاليمه، الذي لا يقبل النقد والتمحيص، إلا من حيث صحة رواية الأحاديث النبوية وآثار أهل البيت والصحابة. واستيعاب وفهم تعاليم الوحي مشروطة بفهم السلف الصالح، والفهم اللغوي حسب قواعد اللغة العربية وأصولها. بهذه المنهجية الوسطية، ربما نكون قد وضعنا أرجلنا على أولى درجات سلم التقريب والأخوة الإسلامية، ولعل أفضل من مثل هذه المنهجية في فهم الإسلام والدعوة له -بشكل أو آخر- في العصر الحديث عدد من الكتاب والمصلحين

أبرزهم: الشيخ محمد أبو زهرة والشيخ محمد مهدي الخالصي وعلي شريعتي ومصطفى السباعي وغيرهم[1]. وتعتمد أسس هذه المنهجية إضافة إلى الوسطية والاعتدال والتكامل في استلهام الفكر الإسلامي من منابعه الأصلية، اعتماد مبدأ إشاعة الأفكار المتفق عليها والابتعاد عن مواطن الخلاف الفقهي الفرعي التي غالباً ما تكون مثار الجدل واللجاجة بين المسلمين[2]، بينما يمكن لإسلامنا السمح أن يسعها، كالتسبيل والتكتيف في الصلاة، أو طريقة الصلاة، أو غيرها من الخلافات المذهبية التي اشتركت فيها المذاهب الستة بضمنها الإمامية والزيدية، وتسليط الضوء على الجانب الجهادي من تاريخنا الإسلامي، وتوجيه الأنظار إلى ضرورة استلهام معاني القرآن الكريم بمنظور معاصر يخدم واقع المسلمين والمشاكل التي تواجههم. والتمييز بين التطرف والاعتدال في المنظار الطائفي، مع فهم واستيعاب التطور العقدي والمستحدثات التي دخلت العقائد والأفكار والفرق الإسلامية بعد عصر الإمام الصادق وبقية أئمة المذاهب، وقد أكد د. علي شريعتي في كتابه التشيع العلوي والتشيع الصفوي[3]، على ضرورة التمييز بين تشيعين متناقضين، الأول بنّاء وأصيل، والثاني هّدام ودخيل، إذ اعتبر التشيع الصفوي وجميع مستحدثات تلك الفترة هو تشيع السلاطين والمصالح والحقد الطائفي، واعتبر موقف الدولة الصفوية بتعاونها مع دول الغرب ضد العثمانيين موقفاً خائناً ومتخاذلاً وفق المنظور الإسلامي، وان الدولة العثمانية رغم ما كانت تحمله من

---

[1] **أمثال: رشيد رضا وأبو الحسن الندوي ومحمد جواد مغنية وموسى الموسوي واحمد الكاتب وسالم البهنساوي..**

[2] **قال تعالى:** ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ **المائدة: ٢.**

[3] **انظر كتاب: هكذا تكلم علي شريعتي/ د. فاضل رسول ص١٧٧-١٨٧.**

علل وعيوب وإمراض، ورغم أنها كانت تمثل التسنن، لكنه اعتبرها الممثلة الشرعية للوجود الإسلامي، وان التعاون مع أعدائها هو طعنة للإسلام من الخلف، وشجب أفكار الغلو والتعصب المتمثلة في سب الشيخين وكبار الصحابة واحتقار تاريخ العرب والمسلمين، وتضخيم مراسيم العزاء والمواكب الحسينية، ودعا إلى ضرورة التأسي -في ذكرى الإمام الحسين- بجهاده وسيرته وتضحياته، بدل البكاء عليه وعمل تلك المواكب والمظاهر المضخمة التي ظهرت أول مرة في العصر البويهي ثم تطورت في العصر الصفوي، حتى أصبح المسلمون مثار سخرية عند الغرب وشعوبه. وقد تابع د. موسى الموسوي المنهج نفسه[1]، ورفع شعار (التصحيح والتقريب)، وشعار (دور الشورى والحرية السياسية وأهميتها في عصر الرسالة)، وشعار (جواز إمامة المفضول بوجود الفاضل) الذي اعتمده الزيدية في الإقرار بخلافة الخلفاء الراشدين قبل الإمام علي ﷺ، وأخيرا شعار (رأيي صحيح قابل للخطأ ورأي الآخرين خطأ قابل لأن يكون صحيحاً)، بتلك الروحية وبتظافر الجهود يمكن أن يتحقق الكثير من ملامح التقريب والأخوة، ويكون عندها التعايش والتداخل بين الفرق والمذاهب كما كان في عصور الإسلام الأولى، فالاختلاف عندها سيكون رحمة وسعة للناس، فيكون أخي جعفرياً وابن عمي شافعياً وأكون حنبلياً ويكون الآخر زيدياً، وحينها ينشأ من يحاول أن يأخذ من كل بستان وردة وهكذا.

وهذا المنهج الوسطي لا يعني أيضا المداهنة، وتقديم التنازلات والوقوف في منتصف الطريق بين الفريقين. بل هو فهم قرآني معتدل،

---

[1] انظر الشيعة والتصحيح/ د. موسى الموسوي ص٨-٥٠، وانظر كذلك رسالة التصحيح/ للدكتور موسى الموسوي أيضاً.

وإتاحة الفرصة للزمن وحرية الفكر وبذل الجهود للتمحيص والتنقيح للانتقال من طور الطائفية البغيضة إلى المذهبية السمحة المنفتحة، التي تضمن حرية الفكر والتعبد والاحترام المتبادل لجميع الفرق ذات المنهج المعتدل غير المتشنج والمتطرف، فتحل المحبة والأخوة بدل الحقد والخصومة. ولا يعني أيضا اختيار عقيدة جديدة بين عقيدتين، لان ذلك ضياع للإسلام ومنهجه الإلهي، بل يعني الرجوع إلى عقيدة السلف الصالح وتحكيم الوحي، الذي هو محل اتفاق الفريقين، والعودة إلى التراث المشترك، ولا عبرة بعدها بالأسماء والألفاظ، بل العبرة بذلك الفهم الإسلامي الأصيل للدين الحنيف، وليكن المسلم بعدها صوفياً أو سلفياً أو شافعياً أو شيعياً أو سنياً.. وطبيعي إن منهج الاعتدال هذا له باب لمن يريد الدخول إليه والإيمان به بوصفه منهج القرآن ومنهج أهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم.. فبالنسبة لأهل السنة يجب أن يكون اهتمامهم بأئمة أهل البيت وكبار علمائهم، يماثل الاهتمام بالصحابة وأبنائهم من التابعين، إذ إنهم امة واحدة وحزب واحد، سواء في فهمهم للإسلام والجهاد في سبيله وتضحياتهم أو في أنسابهم ومصاهراتهم وحياتهم الاجتماعية ونشاطاتهم العلمية، وان تكون سيرة الحسين وحفيده زيد ومحمد النفس الزكية، جنباً إلى جنب كسيرة عمر بن الخطاب ﷺ وابنه عبد الله بن عمر الذي عاداه الحجاج لأنه رفض ظلمه وطغيانه، وهكذا بقية أهل البيت ومن في منزلتهم من العلماء والأولياء الصالحين. وان يكون تصورهم عن التشيع العلوي الأصيل تصوراً مكملاً لاستيعاب حركة الإسلام التاريخية ولفهم أحداث الفتنة وما تبع مقتل الخليفة عثمان ﷺ وأسباب الصراع والخروج السياسي الذي حدث فيما بعد. واستلهاماً لمعنى الآية الكريمة.. {وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت أحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر

الله، فـان فـاءت فأصـلحوا بينهمـا بالعـدل واقسـطوا إن الله يحـب المقسطين، إنمـا المؤمنـون أخـوة فأصـلحوا بـين أخـويكم واتقـوا الله لعلكم ترحمون}[1]. فكما يجب على الشيعي أن يستلهم من معنـى هذه الآيات إن الاقتتال بين المسلمين لا يرفع اسم الإيمان عن المتقاتلين، كذلك على السني أن يستلهم من هذه الآيات منهجية الفئة التي بغي عليها باتفاق المسلمين، ووجهة نظرهم في هذا الاقتتال وفي أمر الخلافة والحكم، تلك الفكرة التي ترجمها الحسين عملياً حين ضحى بحياته، فكان موته إحياء لمبدأ إسلامي خطير في حياة الأمة، وهو منهج رفض الانحراف وخلع الباطل وهدمه، ومحاربته بكل ما أوتي المسلم من قوة، وقد دفع حياته ثمناً لهذا المبدأ العظيم تماماً كما دفع عمر بن الخطاب حياته ثمناً لمبدأ العدل ولم يسجن ذلك العبد الذي توعده بالقتل، لعدم وجود دليل جرمي لسجنه، واكتفى بقوله: لقد توعدني العبد، وانه كان يعلم يقيناً انه قاتله، ولكن المبدأ عند عمر أهم من حياته، والشيء نفسه حدث مع عثمان ﷺ حين منع الصحابة من الدفاع عنه يوم الدار، وكانوا يستطيعون أن يطردوا أولئك الغلاة المندفعين، الذين حاصروه في داره، فقتل وهو يقرأ القرآن، وكذلك مع علي حين رأى ابن ملجم وهو يقول له: لتخضبن هذه من هذا.. [يعني يخضب لحيته من دم رأسه] ولم يسجنه. إننا بحاجة إلى مثل هذا الفهم الذي فهمه الأصحاب للإسلام ومبادئه لنعيد الإسلام ومثله إلى واقع الحياة.

أما بالنسبة للشيعي، فهناك أيضا بعض العقبات التي تحجبه عن المنهج القرآني الوسطي، ليقفز من ضيق الطائفية إلى سعة المذهبية، ومن التعصب إلى التسامح والإخوة والمحبة، ولعل البعض يعيش تلك

---

[1] **الحجرات: ٩-١٠.**

النقلة بفطرته ويسير على هدي القرآن ودعوته الخالدة {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً}، فكثيراً ما نلمس من بعض الشيعة المذهبيين إحساسهم الفطري بالإخوة والوحدة والمحبة الإسلامية الغامرة وشعورهم الصادق بوحدة الدين والتراث والكتاب والمنهج، وإذا أضفنا إلى ذلك إن بعض الدراسات التي تمت في جامعة الأزهر تؤكد على إن هناك أكثر من ٨٠% من الأحاديث النبوية مشتركة بين تراث السنة والشيعة، عدا الاتفاق على القرآن الكريم وصحته وانه دستور الإسلام الخالد، يصبح منهج الاعتدال والتقريب أكثر واقعية إلا عند أصحاب الحقد الأسود والتعصب المقيت، والمطامع والمصالح، وبوجود عملاء الغرب وإذنابه من المستغربين تكتمل صورة دعاة الطائفية بين المسلمين.

منهج التصحيح والتقريب

لقد بات واضحاً أنه لابد من تصحيح بعض المفاهيم والأفكار التي سادت خلال القرون الماضية بين المسلمين، للانتقال من طور الطائفية والخصومة والتعصب، إلى المذهبية والإخوة والتسامح.. ولكي نقف عند تلك المفاهيم وكيفية تصحيحها سنحاول التعرض لها بشكل نقاط أو فقرات مع شرح موجز ليسهل جمعها ومناقشتها والاتفاق عليها، ومن أهم تلك المفاهيم والعقائد والأفكار التي نحن بحاجة إلى تصحيحها:-

١- الرجوع إلى معطيات الوحي (القرآن والسنة) والتراث المشترك، لاستلهام خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، وتقديم ذلك التصور كإطار عام وثابت، للاجتهادات والآراء والنظرة العصرية للمشكلات والتحديات التي يواجهها المسلم في الحياة المعاصرة، وفق الصيغة المذهبية وقواعد المدارس الفقهية، التي ينتمي لها المجتهد والفقيه المسلم.

٢- الوراثة والشورى في التصور الإسلامي.

٣- خلفية التصور الإسلامية عن جيل الصحابة وعصر النور وحضارة القرآن الكريم ومنهجية تسليط الضوء على مآثر أهل البيت والصحابة بدل المثالب والخلاف الموهوم وتضخيم بعض الأحداث التاريخية.

٤- تصحيح مفهوم القطبية أو الميل لجهة ما سواء لتراث أهل البيت أو تراث الصحابة، ومحاولة المزج والاستفادة من تراثهما المشترك عبر العصور ومن مرويات الفريقين.

٥- استبعاد المستحدثات والبدع والخرافات والروايات المكذوبة والمدسوسة على التراث الإسلامي، والتي علقت به خلال ألف عام وفق المنظور والمعيار القرآني والأسس الصحيحة التي يتفق عليها.

٦- فتح باب الاجتهاد والمرجعية الإسلامية، بشرط أن لا تؤدي إلى خلق طبقة رجال الدين كما حدث عند النصارى في العصور الوسطى، وإيجاد علاقة حية وايجابية فاعلة بين المجتهدين والمقلدين أو الإتباع، ومحاربة فكرة التقليد الأعمى التي تؤدي إلى عبودية الإتباع وإلغاء دور العقل والتفكير الذي هو مناط التكليف[1]، كما تؤدي إلى نشوء نوع من الامتيازات والصلاحيات المطلقة للتحكم بالحياة الدينية بدون ضوابط أو قواعد شرعية محددة، فالمنهج الوسط في هذه النقطة أيضا يعطي توازناً وايجابية، ولا يسمح بالسلبية واستعباد المجتهدين لمقلديهم، مما يؤدي بالضرورة إلى ظهور البدع والمستحدثات من جديد، بحجج ومبررات جاهزة، ويضفي نوعاً من الثيوقراطية والتحكم والاستبداد الديني في حياة البشر.

٧- التوازن في تقويم أعلام أهل البيت والصحابة وكبار رجال التصوف، واعتبارهم أعلاماً للرشد والهداية، وإنهم بشر أكرمهم الله سبحانه بالدرجات العلى نتيجة سعيهم ومجاهدتهم ورقيهم الروحي، وان لا حول ولا قوة ولا تأثير إلا بالله وبأذنه وان لا غنى للمسلم عن التوحيد الذي هو أصل الإيمان ولا وجود لأي نوع من الشركيات والأفكار الدخيلة التي لا أصل لها في القرآن والسنة وتراث السلف الصالح.

---

[1] **يعبر القرآن الكريم عن مفهوم التقليد الأعمى والإتباع بدون تمييز بقوله تعالى:** ﴿إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ **الزخرف: ٢٣.**

٨- هنـاك مفـاهيم عديـدة ذات أصـل شـرعي وإسـلامي، ولكنهـا حورت وتطورت عبر الزمن لتعطي مدلولات وعقائد ليست من الدين في شيء، ففكرة المهدي -مثلاً- هي في الأصل بشارة نبوية مباركة عن ظهور رجل من نسل النبي ﷺ قبيل قيام الساعة يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً[1]. وهذه النبوءة موجودة أيضا عند العديد من الأمم والشعوب، منهم اليهود والنصارى، وهو ما يسمى لديهم المخلص والمنقذ. كما انه في الهدي النبوي هناك فكرة أخرى تذكرها الأحاديث الشريفة لأشعار المسلم برعاية الله سبحانه لهذا الدين الذي تكفل بحفظه وحفظ دستوره وتراثه إلى قيام الساعة لتعطيه الأمل الدائم والتفاؤل بان المستقبل للإسلام مهما طال الزمن. تلك هي فكرة المجدد، ففي الأثر عن النبي ﷺ: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[2]، ولتداخل النبوءتين، ظهر الكثير من المهديين سواء المهدي العلوي أو الأموي أو الزبيري أو العباسي أو السوداني وغيرهم كثير، منهم دعاة مجتهدون ومجاهدون ومجددون. ولسنا هنا بصدد دقة انطباق معنى المجدد أو المهدي على هؤلاء، ولكنها تشير إلى أن تلك النبوءة المباركة قد رافقت الأحداث السياسية في التاريخ الإسلامي. ولكن دعاة الغلو والتطرف أبوا إلا أن ينفخوا في تلك النبوءة حتى أعطوها من المعاني ما ليس له أصل أو نص شرعي وحملوها ما لم تحتمل، فظهرت في التاريخ الإسلامي بعد منتصف القرن الثالث الهجري بشكل بارز، فكرة الغيبة والعصمة المطلقة، وروايات الرقاع والاتصال بالمهدي وهو في غيبته وغيرها، علماً بان

---

[1] رواه أبو داود/ جـ ٤ (٤٢٨٤ و ٤٢٨٥). وانظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي/ ص ٦٩٩. للوقوف على أحاديث المهدي.

[2] رواه أبو داود/ جـ٤ (٤٢٩١) وهو حديث صحيح.

فكرة الغيبة قديمة في التاريخ الإسلامي، لأن هناك من الفرق من آمنت بغيبة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ، وغيبة العديد من أحفاده كأبي هاشم وهو عبد الله بن محمد بن الحنفية، ومحمد النفس الزكية وزيد وجعفر الصادق وابنه إسماعيل والحسن العسكري وغيرهم، حتى استقرت هذه الفكرة على غيبة محمد المهدي بن الحسن العسكري. وقد كتب الكثير من الكتاب ودعاة التقريب والوحدة في ذلك التطور العقائدي، وإقحام فكرة الغيبة في التشيع، وان الغيبة بشكلها النهائي فكرة طرأت على التشيع بعد وفاة الحسن العسكري بفترة ليست بالقصيرة فيما يسمى تاريخياً بزمن الحيرة. ومن الأفكار والعقائد التي تعرضت للتغيير والتطوير والتضخيم أيضا بحيث خرجت عن المدلول الشرعي، فكرة التقيه، فالتقية عقيدة إسلامية وأسلوب في التعامل مع الكفرة والظلمة عند الضرورة، حفظاً للنفس والدين من الفتنة والفتك ولحماية المسلم من أن يتحمل مالا طاقة له به من صور الابتلاء والمحن، أما أن تستخدم التقية في كل شيء حتى في تفسير الرؤى والأحلام والتعامل اليومي التجاري والاجتماعي وغيره، فهذا ما لا يمكن تصوره في المنهج الإسلامي القويم، مما يولد حالة من الاضطراب والفوضى الفكرية، وفقدان الثقة بين المسلمين، وضياع التراث الإسلامي وخصوصاً تراث الأئمة وأهل البيت، مما يشل القدرة على تمييز ما قيل من روايات على سبيل الحقيقة أم التقية. ومن الأمثلة الأخرى على تطور المفهوم الإسلامي من الوسطية والتوازن إلى الغلو والتطرف، فكرة التقليد بحيث تتحول من فكرة الإتباع المنيرة للائمة والمجتهدين وتعاليم الشريعة السمحاء إلى فكرة الثيوقراطية والاستبداد الديني والى إلغاء دور العقل -عند المقلّد- والعقل هو مدار التكليف، وبذلك يفقد الإنسان احترامه لنفسه وعقله، لأنه سوف لا يحتاج إليه في أمور الشريعة والدين، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى إلغاء عقله ومن ثَمَّ

يصبح إمّعة، فيقع في كثير من الأحيان فريسة بيد دعاة الغلو والطائفية والحقد والمصالح، فيتحول -رغم أنفه- إلى إنسان طائفي حقود، بدلاً من أن يكون محباً للآخرين بضمنهم مخالفوه في الرأي، ولا يستطيع أن يتخذ قراراً أو يتحرك إلا برأي غيره وتوجيهه، فمن شروط التقليد انه لا يصح في حالة تقليد الميت، حتى وان كان من أئمة أهل البيت، ويجب على المقلد تقليد المجتهد الحي، وبهذا الشرط يضمن دعاة التقليد، عدم قدرة المقلدين استخدام العقل والإتباع الواعي لأئمة أهل البيت ومتابعة مروياتهم، ومعرفة الرواية الصحيحة من السقيمة لان ذلك ليس من شأنهم وإنما من اختصاص المجتهد الحي، وبذلك يقطعون الطريق بين الشيعة وأئمتهم، والدخول في ميدان دراسة التراث وتاريخ التطور العقدي والفكري وتاريخ ظهور واختفاء الفرق عبر التاريخ الإسلامي، ويقطع الغلاة -بذلك- الطريق أيضا أمام المطالبة الجماهيرية بإزالة العقبات والمستحدثات والروايات المزيفة التي تقف أمام التقريب، وعدم السماح بدراسة مرويات الأئمة وسيرتهم وتاريخ عصرهم، إن ذلك يجعل العقل الجمعي مغلوباً على أمره، لا يستطيع تجاوز الأمور غير المنطقية والخرافية التي أقحمت في التراث الإسلامي عبر عهود الطائفية والصراع البغيض، وعليه ينبغي أن يكون تقليد المجتهد في مجال العبادة والأمور الفقهية الأخرى لا يلغي الإرادة والعقل، وينبغي أن يحق للمقلد إذا ما وصل إلى درجة النظر في النصوص، أن يأخذ تعاليم دينه حسب ما يفهمه من القرآن وتراث السلف الصالح. كما يحق له أن يطالب بالدليل الشرعي والنص الذي يؤيد فتوى معينة للمجتهد المقلد، كما إن تحديد التقليد بالمجتهد الحي، قد أضعف -عملياً- من دراسة تراث الأئمة وأقوالهم وتوجيهاتهم، بحجة إنهم من الأموات الذين لا يجوز تقليدهم، وانه لا أحد له القدرة على استنباط الإحكام والفتاوى من روايات وأقوال المعصومين إلا المجتهد

المقلَّد. الذي يستطيع أن يستخرج رأي الإمام المعصوم الصريح ويميزه عن آرائه التي رويت عنه على سبيل التقية، وان هذه العقبات أمام استلهام تراث الأئمة قد تؤدي إلى الشك في هذا التراث ومروياته لتداخل روايات التقية مع الروايات الصريحة وللحظر المفروض على الدراسة النقدية والتنقيحية لهذا التراث العظيم وعدم السماح للعقول المثقفة المنفتحة لتلك الدراسة المقارنة الناقدة التصحيحية.

٩- من المستحدثات والأفكار الدخيلة التي هي بحاجة إلى تصحيح، التشكيك في مبدأ ختم النبوة، فرغم إجماع المسلمين على عقيدة ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد وفاة النبي ﷺ إلا أن دعاة الغلو استطاعوا -مع الزمن- من اختراق هذا المبدأ الإسلامي وتلك العقيدة الصافية، التي كانت من الأسباب المهمة في حفظ الدين من عبث العابثين، إضافة إلى كونها حقيقة قرآنية، قال تعالى: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما}[1] ولقد عقب الأستاذ محمد إقبال على مبدأ ختم النبوة بعد اكتمال الرسالة الإسلامية ورحيل المصطفى ﷺ عن الدنيا، فقال: إن مبدأ ختم النبوة، هو إعادة اعتبار للعقل البشري، إذ شاءت حكمة الله سبحانه، بعد أن انزل الرسل تباعاً وانزل الشرائع السماوية بعد إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام، فجاء موسى بالتوراة وأحكام صارمة في العدالة والقصاص، لتحديد المنهج الإلهي للبشرية وهي في بداية وعيها ونضجها، ثم جاء عيسى بالإنجيل وتعاليمه التي امتازت بالدعوة إلى الرحمة والسلام، ولم يشر إلى التشريعات القضائية التي تحدد الجزاء والعقوبة وإنما دعا إلى العفو والمغفرة، ثم جاء المصطفى برسالة الإسلام الشاملة المتوازنة التي توسطت بين العدل والرحمة، وبين

---

[1] **الأحزاب/ ٤٠.**

السيف والقرآن فكان بشيراً نذيراً، وكانت البشرية قد وصلت في عصره ﷺ إلى المرحلة التي شاءت حكمة الخالق سبحانه أن تختم النبوة بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء، واعتماد دستور الإسلام لهداية البشر إلى يوم الدين. وهكذا نرى إن ختم النبوة وانقطاع الوحي، فضلاً عن كونه أمراً ربانياً لا يحق لأحد أن يدلو دلوه فيه، فهو أيضا إقرار لهذا الاعتبار والتكريم الإلهي للعقل البشري، في قدرته على استيعاب الحقيقة الإلهية كما يريد الله سبحانه، وفق المنظور القرآني والدستور الرباني الذي وضعه سبحانه في خدمة البشر، وجعل المسلمين امة وسطاً بين البشر ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً.

ومجمل القول في مبدأ التصحيح والتقريب، هو الرجوع إلى التراث الأصيل، وإقصاء التراث الدخيل وتحرير العقل والتفكير، ولقد جاهد دعاة التقريب والوحدة في الله حق جهاده، ومن اجل تلك الأصول، وإنارة العقول وإزاحة التحجر والتعصب عنها، أمثال أحمد الكسروي الذي قتل في الكويت وعلي شريعتي الذي قتل في لندن، وقبل ذلك جمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا وموسى جار الله وغيرهم كثير، وكان لهذه الجهود المباركة أثر واضح على الساحة الإسلامية، بحيث تقاربت وجهات نظر الفريقين، وأجهض الصراع الدموي المرير الذي دام قروناً، وضعف الصراع الفكري والاجتماعي، ولاحت في الأفق بشائر الوحدة والتقريب والتسامح والأخوة رغم انف الأعداء الذين لم يفتأوا ينفخون في رماد الطائفية دونما الحصول على شيء، اللهم إلا السراب بأذن الله، بحيث نستطيع أن نسمي العصر الحديث من دون مبالغة انه عصر الصحوة الإسلامية والوحدة والتقريب، وسيكون القرن الخامس عشر الهجري الذي نحن فيه، قرن الأخوة والتسامح والصحوة الشاملة، إذا تنبه المسلمون ولم

يعطوا الفرصة لعدوهم اللدود وربيبته إسرائيل من إثارة الفتن والحروب الطائفية بين المسلمين.

آراء معاصرة في مستحدثات عصر الافتراق والطائفية

يدافع الدكتور علي شريعتي عن العقل والحرية الفكرية والمبدئية والجهادية والدفاع عن المستضعفين في كتابه (التشيع العلوي والتشيع الصفوي) ويجعلها من أهم مميزات التشيع العلوي ومنهج أهل البيت ورجاله، ويجعل الوحدة الإسلامية من أهم الستراتيجيات التي اخلص لها أئمة أهل البيت الأعلام، وقد كانت واضحة بشكل ملفت لافت في سيرة الإمام علي والحسن وزين العابدين والباقر والصادق وغيرهم، وكان لهؤلاء الأئمة دور بارز في خدمة التراث الإسلامي وإشاعة جو الوحدة الإسلامية والتسامح مع بقية المسلمين حكاماً ومحكومين. وقد دافع علي شريعتي وكذلك الدكتور موسى الموسوي عن الحرية الفكرية والشورى، وانتقد المنهج الوراثي أو الطبقي الذي الصقه بعض الباحثين في سيرة ومنهج أئمة أهل البيت ورجال الإسلام. وكذلك المبدأ الوراثي في انتقال السلطة بديلاً عن نظام الشورى الإسلامي الذي ساد في عصر الخلافة الراشدة. ودافع أيضا عن الدولة العثمانية في تصديها للتحدي الغربي وأطماعه في ارض المسلمين السياسية والحضارية، وانتقد الموقف الصفوي المتخاذل الخائن الذي وقف مع الغرب ضد وحدة المسلمين وحضارتهم، واعتبرهم الأعداء الحقيقيين

للتشيع العلوي الأصيل[1]. ودعاً إلى ضرورة تحرير العقل المسلم من الخرافات والمستحدثات والركام الطائفي الذي تبلور عبر العصور ضمن التراث الإسلامي. وعّد الحرية الفكرية أولى مراحل الانتقال من التعصب إلى التقريب والإخوة والتسامح بعكس التقليد الأعمى والتقية بمعناها الطائفي. والتقية، هي من الضرورات التي لا يبيحها الشارع إلا عند الخوف من الموت، عند التعامل مع الطغاة والظلمة وأهل الكفر، وهو ما يمكن تسميته التقية السياسية، فتدخل حينئذٍ في باب (الحرب خدعة)، أما حين تصبح عادة اجتماعية أو دينية، فإنها تورث الازدواجية والتضليل في التعامل. وتتحول إلى صورة نفسية ومرض اجتماعي لا يليق بالمسلمين. وهذا السلوك بعيد كل البعد عن سيرة أئمة أهل البيت وممارساتهم في تاريخهم الطويل. فقد كانوا من أشجع الناس لا يخافون في الله لومة لائم، أو سطوة طاغٍ وقد نصحوا للأمة، حكاماً وعلماء ومحكومين. والتقية شرعاً أشد حرمة من أكل لحم الخنزير فكما لا يجوز أكل لحم الخنزير إلا عند الضرورة وخوف الموت، فكذلك التقية، غير إن أكل لحم الخنزير عند الضرورة واجب لحفظ النفس وتجنب الهلاك، أما التقية في هذه الحالة فهي ليست واجبة، ويجوز تجاوزها بالعزيمة. أما من أخذ بها رخصة فهو أقل درجة، كما يعمل الناس حين يواجهون ظلماً لا يمكن مواجهته. والتقية في الدين، تؤدي بالضرورة إلى الشك بتراث أهل البيت جملة وتفصيلاً لوجود روايات مختلفة ومتناقضة أحيانا في موضوع واحد، ولا مخرج لذلك الإشكال إلا باعتماد تعاليم الوحي (الكتاب والسنة) ودراسة السند وفق أصول علم الجرح والتعديل، وقد نهج السيد أبو

---

[1] انظر هكذا تكلم علي شريعتي/ د. فاضل رسول ص١٣-١٥ ، والتشيع العلوي والتشيع الصفوي/ د. علي شريعتي.

القاسم الخوئي رحمه الله -إمام الشيعة والمرجع الأكبر لدى الإمامية- هذا المنهج في كتابه القيم معجم رجال الحديث، محاولاً تمييز الروايات الضعيفة -التي اعترف بكثرتها في التراث الشيعي- عن الصحيحة من خلال دراسة أحوال الرواة ودرجة توثيقهم، في محاولة لتصحيح منهج الشيعة القديم، وتقوية علم الجرح والتعديل، الذي كان أحد علوم تراث العصر المشترك، ثم انفرد به التراث السني لقرون طويلة، حتى اعتبر علماء العصر الصفوي وأبرزهم محمد باقر المجلسي، إن هذا العلم لا ضرورة له، مما أدى إلى كثرة المستحدثات والموضوعات، حتى تضاعف حجم الكتب والروايات المذكورة في كتب الشيعة الأوائل إلى ضعف أو ضعفين، بسبب عدم الاهتمام بالسند والتدقيق في الروايات[١]. أما الغيبة التي تحدثنا عنها في الفقرة السابقة، فقد أرخ لها وحققها العديد من الكتاب المعاصرين من الفريقين، وكان من ابرز من سلط الضوء عليها وعلى الأفكار الدخيلة على فكرة المهدي المنتظر، الكاتب الشيعي المعاصر احمد الكاتب[٢]، ونحن نعلم إن فكرة الغيبة قد أعقبتها فكرة الاتصال بالإمام المهدي وظهور روايات الرقاع، وهذه الروايات من ابرز تراث العهد الصفوي والعهود السابقة له، والذي كان أساس التراث الطائفي وروايات التكفير والغلو في تقديس الأئمة وسب الشيخين وتكفير الصحابة ومحبيهم، مما مهد لظهور فتاوى معاكسة لدى الطرف الثاني في العصور العثمانية، فظهرت فتاوى بتكفير من سب الشيخين واستباحة دمائهم، ومهد للصراع الدموي الطويل الذي شهده التاريخ في القرون الأربعة الماضية، وقد أعقب فكرة الغيبة أيضا فكرة النيابة عن الإمام الحجة وغيرها من العقائد التي

---

[١] **راجع كتاب: مسألة التقريب بين السنة والشيعة/ جـ٢/ د. ناصر القفاري.**

[٢] **انظر كتاب: تطور الفكر السياسي الشيعي/احمد الكاتب.**

مهدت للافتراق والخصومة بين المسلمين. ومن الناحية التاريخية، تذكر الروايات الشيعية والسنية، انه بعد وفاة الإمام الحسن العسكري - الذي لم يعقب- انقسمَ أتباعه من الشيعة بعده إلى ١٤ فرقة، لم يدّعِ أي منها وجود عقب للحسن العسكري، وقد ولد الإمام العسكري في رمضان سنة ٢٣٢هـ وتوفي في ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ، عن عمر ناهز الثامنة والعشرين[1]. وقد قال الإمام جعفر بن الإمام علي الهادي شقيق العسكري، وبقية أهل بيته : أن الحسن العسكري توفي ولم يخلف ولداً، وعلى أساس ذلك تحولت تركته وميراثه إلى أخيه طبقاً لأصول المواريث الشرعية[2]ويعتقد الإمامية أيضا انه بعد الإمام الحسين ﷺ أصبح ابن الإمام هو الإمام والوريث الشرعي للإمامة الكبرى[3]، فيروي الكافي روايات عديدة عن الأئمة المعصومين ملخصها: إن ابن الإمام يكون إماماً ولا يمكن لقريب له إن يكون إماما بدلاً منه، أو أن يحل محله. ونتيجة لهذه العقيدة التي بنيت على تلك الروايات واجه الأمامية مشكلة تسلسل الإمامة بعد الحسن العسكري، وكيف يمكن الوصول إلى قرار فيما يتعلق بالإمام الثاني عشر الذي ينبغي أن يرث الإمام العسكري[4]، وحلاً لهذه المشكلة أشيع بأنه قبل

---

[1] انظر كتاب أصول الكافي/ للكليني ص٣٢٤.

[2] أصول الكافي/ للكليني ص٢٠٦.

[3] أي مبدأ الوراثة الدينية نظير مبدأ الوراثة في الحكم والسياسة.

[4] كانت مشكلة تحديد الإمام بعد وفاة الإمام الموجود من أهم المشاكل التي كانت تواجه الإمامية وتؤدي إلى ظهور فرق جديدة ضمن الإطار الشيعي العام، وابرز مظاهر تلك المشاكل في التاريخ الشيعي، ظهور الزيدية منذ البدء وانفصالهم عن بقية الإمامية واقترابهم من أهل السنة حتى عدوا من

وفاة العسكري بأربع أو خمس سنوات -أي سنة ٢٥٥ هـ أو ٢٥٦ هـ في رواية أخرى- ولد له ولد من إحدى جواريه، وظل مختفياً عن الأنظار ولم يستطع أحد أن يراه، ويروي الرضا انه قال في المهدي: (لا يُرى جسمه) وفي رواية أخرى : (إنكم لا ترون شخصه) ثم غاب واختفى بعد وفاة والده بعشرة أيام فقط، وفي الكافي روايات عديدة تذكر إن متاع الأئمة السابقين قد وصل إلى الإمام الحسن العسكري في النهاية، ويقصد بالمتاع : القرآن الذي جمعه وكتبه الإمام علي ﷺ والتوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء الآخرين في شكلها الأصلي ومصحف فاطمة[1] والجفر والجامعة وعصا موسى وقميص آدم وخاتم سليمان، وغيرها من الخيالات مما يروى في الكافي وغيره من كتب الإمامية مع الأسف. وطبقاً لروايات عديدة قام نجل الإمام

فرقهم، لحداثة عهد الزيدية وظهورهم في العصر المشترك، وظهرت الهاشمية والجعفرية والإسماعيلية وغيرها فكان غالباً ما يحدث عند وفاة إمام أن تقر فرقة بموته والاتفاق على إمام جديد، ولا تقر أخرى بذلك فتعتقد بغيبته، كما حصل بعد وفاة جعفر الصادق والحسن العسكري نفسه، وقد يموت الابن وهو الوريث الشرعي للإمام الأب، فقال الإمامية بالبداء لتلافي ذلك وحل مشكلة انتقال الإمامة من الابن البكر الذي مات في حياة أبيه إلى الابن الثاني كما حصل مع إسماعيل بن جعفر الصادق، ومحمد بن علي الهادي. إذ ماتا في حياة أبيهما، فافترق الإمامية إلى من يعتقد بغيبة إسماعيل، وكذلك محمد بن علي الهادي، ومن يقول بالبداء.

[1] تذكر الروايات الشيعية في الكافي وغيره عن هذا المصحف، انه وحي وتعاليم جاء بها جبريل إلى السيدة فاطمة بعد وفاة النبي ﷺ وكتبها زوجها الإمام علي وهذا المصحف هو غير القران المتفق عليه.

العسكري وهو في الخامسة من عمره بحمل هذا المتاع واختفى به في سرداب أحد الدور في مدينة (سر من رأى) التي كانت عاصمة الدولة العباسية في مطلع العصر العباسي الثاني. وطبقاً لهذه الروايات فان محمداً المهدي بن الحسن العسكري هو إمام آخر الزمان وبه تنتهي سلسلة الإمامة، عند الإمامية ألاثني عشرية، ولضرورة وجود الإمام في حياة المسلمين وعلى الأرض [وإلا انتهى العالم وحل الفناء] فسوف يظل إمام آخر الزمان حياً وغائباً عن الأنظار، حتى يظهر ثانية حين يشاء الله ليملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً. وسيحكم العالم كله. وهناك أبواب عديدة في الكافي تتحدث عن مولده وغيبته[١].

---

١ **انظر أصول الكافي ص٣٣٣-٣٤٢.**

قصة ولادة الإمام المهدي وغيبته

يروي العلامة محمد باقر المجلسي في كتابه (جلاء العيون) و (حق اليقين) قصة عجيبة عن ولادة المهدي، وهو يرويها نقلاً عن الشيخ الطوسي، وابن بابويه القمي، وذكر إن الرواية منقولة عن بشر بن سليمان عن الأسانيد المعتبرة وهي رواية طويلة، نذكرها باختصار، ويمكن الرجوع إليها مفصلة في مصادرها، وخلاصتها: إن رجلاً يدعى بشر بن سليمان كان يسكن بجوار الإمام العسكري في مدينة (سر من رأى) وكان من خاصته وشيعته، وكان الرجل يعمل في تجارة الجواري. قال بشر: إن الإمام علي النقي أعطاه ذات مرة مبلغاً من المال وقال: خذ هذه واذهب إلى بغداد، وهناك على ساحل النهر ستشاهد سفينة فيها جوار للبيع، فانظر فيها جارية داخل حجابها، لا تريد أن يشاهدها أحد، سيرغب أحد العرب في شرائها، إلا أن هذه الجارية سترفض الذهاب معه، حينئذٍ اطلب من مالك الجارية أن يحمل هذا الخطاب إلى الجارية. فقال بشر: فذهبت إلى بغداد وكما أمرني الإمام علي النقي (الهادي) وحدث كل ما اخبرني به، وفي النهاية أوصلت الخطاب للجارية فقرأته وقالت للمالك: بعني إلى صاحب هذا الخطاب وإلا انتحرت، فأخذ المالك المبلغ رغم قلته راضياً، وسلمني الجارية فأخبرتني إنها حفيدة ملك الروم واسمها (مليكة) وان والدتها من أولاد وصي عيسى، وذكرت قصتها، وكيف إن العرش قد تحطم وسقط الصليب مرتين حين أراد جدها ملك الروم أن يزوجها من ابن عمها، وقد رأت مناماً فيه إن المسيح ووصيه شمعون وحوارييه أتوا إلى القصر وجاء محمد ﷺ ووصيه علي وبقية الأئمة وخطب محمد ﷺ من المسيح تلك الجارية، وقال: جئت لأطلب مليكة بنت وصيك شمعون لابني هذا، وأشار إلى الإمام العسكري، فقال لها بشر، إن

الإمام العسكري الذي خطبت له، هو الذي أعطيتك خطاب والده. ثم رأت مناماً آخر جاءتها فيه مريم بنت عمران وفاطمة الزهراء وإنها أسلمت على يد فاطمة لتستطيع الزواج من ابنها (الحسن العسكري)، وحين استيقظت كانت كلمة الشهادة لا تزال على لسانها، وانضمت إلى جيش الروم لتؤسر وتؤخذ سبية عند المسلمين لتصل إلى من تحب، وليتم الزواج المقدس. ويروي المجلسي أيضا. إن حفيدة ملك الروم دخلت حرم الإمام الحسن العسكري بصفتها جارية تم شراؤها، وإنها ولدت محمد بن الحسن سنة ٢٥٥هـ أو ٢٥٦هـ. وظلت ولادته مخفية غير ظاهرة، وظل المولود مختفياً عن الأنظار أيضا. ثم اختفى وغاب بطريقة معجزة، بعد وفاة أبيه بعشرة أيام، وعمره أربع أو خمس سنوات. ويطلق على الإمام المهدي في التراث الأمامي: الحجة والقائم والمنتظر وصاحب الزمان، وتضاف عبارة عجل الله فرجه عند ذكره أو ذكر اسمه. ويذكر الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية) تعقيباً غريباً، فيقول: فغيابه مضى عليه أكثر من ألف سنة، ومن الممكن أن تمضي آلاف السنين قبل ظهوره[١]، وقد كان للمهدي في غيبته الصغرى، التي دامت سبعين عاماً تقريباً، أربعة سفراء أو نواب تتابعوا في الاتصال به، يقولون إن المهدي يأتيهم سراً، وقد أدعى ذلك أربعة من أتباع العسكري كان آخرهم علي بن محمد السميري المتوفى سنة ٣٢٩ هـ، وكان أتباع الإمام -من العوام والبسطاء- يقومون بإرسال خطاباتهم وطلباتهم وهداياهم الثمينة إلى الإمام الغائب عن طريق هؤلاء السفراء، الذين كانوا يحملون بعد ذلك رد الإمام الغائب وعليه خاتم الإمام. وكانت هذه المراسلات تتم في سرية تامة خوفاً من اعتراض المناوئين ومحاسبة الدولة لذلك النشاط السياسي، وبعد وفاة

---

[١] الحكومة الإسلامية/ روح الله الخميني ص٢٦.

السميري وانتهاء مرحلة الغيبة الصغرى، أرسل المهدي -كما يروى- آخر رسالة قال فيها: من ادعى بعد اليوم انه رآني فقد كذب. وابتدأت مرحلة الغيبة الكبرى، التي أصبح عمرها لحد اليوم أكثر من ألف عام وتسمى مرويات هذه المراسلات التي تمت بين الإمام الغائب وأتباعه عن طريق سفرائه، روايات الرقاع، وهي كثيرة جداً، وهي خطابات ومراسلات الإمام الغائب التي تضم إرشادات الإمام المعصوم وحججه الدينية، وقد جمعت هذه الروايات في كتب الأحاديث والروايات الشيعية بعد عصر الغيبة. ويمكن الاطلاع على كمية كبيرة منها في الجزء الأخير من كتاب (الاحتجاج) للطبرسي. ومما يذكر إن سبب انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى، إن سر هذه الاتصالات بين السفراء والإمام الغائب قد شاع، ووصل إلى أسماع الخلفاء والحكام وبدأ البحث والتقصي عن كيفية قيام تلك الاتصالات فادى ذلك إلى توقف هذا الأسلوب وانتهائه وذاع بين الشيعة وأتباع الإمام الغائب إن زمان الغيبة الصغرى قد انتهى، وبدأ زمان الغيبة الكبرى. وفي ختام هذا الاستعراض عن قصة المهدي المنتظر وتوسيع مفهوم المهدي وولادته وغيبته والاتصال به وبعض الروايات التي أشارت إلى تلك المفاهيم والأخبار، ننقل رأي الأستاذ أحمد الكاتب، رئيس تحرير مجلة الشورى، وهو يؤكد أن لا تعارض بين الانتماء الشيعي وعدم الاقتناع بمسألة الغيبة، لان تلك الإحداث حدثت في عصور متأخرة لا تمت بصلة وثيقة للتشيع الأصيل الذي سار عليه أئمة أهل البيت وإتباعهم من أصحاب التوجه الإسلامي المعتدل. ويجيب الكاتب، في مقاله الذي كتبه بعنوان: ما هو التلازم بين التشيع والإيمان بولادة الإمام المهدي ؟ على رسالة الشيخ علي الحائري من الحوزة العلمية في قم فيقول:

في البداية أعرب عن شكري لكم على تحليكم بروح الحوار الهادئ النابع من حرصك على خدمة الدين ومذهب أهل البيت وقبل أن أجيب على أسئلتك، أود أن أشير إلى موضوع غياب درس العقيدة والتاريخ في الحوزة العلمية، وهما من أهم المواد الضرورية لطالب العلم الديني. وأتمنى لو تتوجه الحوزة -طلاباً وأساتذة- لدراسة الفكر السياسي الشيعي (نظرية الإمامة) والتاريخ الشيعي والإسلامي عموماً، إذ يفترض أن تكون مادة العقيدة والفكر والتاريخ، هي أولى المواد التي يجب أن يدرسها طلبة العلم الديني، في حين تقتصر برامج الحوزة، على الفقه والأصول والفلسفة والمنطق واللغة العربية، وتهمل دراسة القرآن الكريم والعقيدة والتاريخ، إلا بصورة شخصية مشتتة. ومن الأمور التاريخية العقائدية المهمة التي أرجو دراستها في الحوزة هي شجرة الفرق الشيعية،وكيف تكونت؟ وأي فرقة ولدت في البداية ؟. يعتقد البعض اليوم إن الفرقة الإثنـي عشرية كانت تشكل الفرقة الأساسية الموجودة بعد زمن النبي ﷺ، وان الفرق الأخرى التي جاوز عددها الخمسين قد تفرعت منها وانحرفت بعد ذلك، وان الأفكار الموجودة لدى الشيعة الإمامية الإثنـي عشرية من الإيمان بالنص والعصمة والمهدي وولاية الفقيه، هي أفكار قديمة ثابتة لم يطرأ عليها أي تغيير، بينما يعتقد البعض الأخر أن التشيع للإمام علي ﷺ كان موجوداً في زمن النبي ﷺ ولكن بشكل بسيط. ثم تطور مع تطور الزمن جيلاً فجيلاً وولدت الأفكار الأخرى فيما بعد. إذ كان الشيعة الأوائل يعتقدون بأولوية الإمام علي في الحكم والخلافة. ثم تطورت هذه العقيدة لدى البعض منهم بأحقيته دون غيره. ثم تطورت بعد مقتل الإمام الحسين ﷺ في الحقبة الكيسانية إلى أحقية أخيه محمد بن الحنفية وتسلسل الإمامة في ذريته ثم اختلف الشيعة في بداية القرن الثاني الهجري حول أحقية أبناء الحسن أو الحسين وتطورت الإمامة لدى

البعض منهم لكي تنحصر في سلالة الحسين. ولم تكن نظرية الإمامة الإلهية القائمة على العصمة والنص في بداية نشوئها في منتصف القرن الثاني الهجري لتقتصر على عدد معين من الأئمة إذ أنها كانت بديلاً عن نظرية الشورى، فكانت ممتدة إلى يوم القيامة، وهذا ما كان يقول به الشيعة الإمامية الأوائل الذين انقسموا إلى إسماعيلية وفطحية وموسوية. ثم أصبح القسم الأكبر من الموسوية بعد ذلك واقفية أو سباعية، وهم الذين يعتقدون بان الأئمة سبعة فقط، أما الذين لم يقفوا على الأمام موسى الكاظم فقد أطلقوا على أنفسهم (القطعية) لأنهم قطعوا بإمامة علي الرضا بن موسى الكاظم وساقوا الإمامة في ذريته. وانقسم هؤلاء بعد وفاة كل من الإمام الرضا والجواد والهادي والعسكري إلى فرق عديدة. وكان الإثنا عشرية فرقة من الفرق التي انقسمت من الشيعة الجعفرية الإمامية الموسوية القطعية، وفي زمن الحيرة[1]. ولا يوجد أي دليل على وجود فرقة تسمى بالاثني عشرية في زمن النبي ﷺ أو زمن الإمام علي أو الإمام الحسن أو الحسين أو زمن الإمامين الباقر والصادق، أو أي إمام آخر من أئمة أهل البيت ﷺ وكل الدلائل تشير إلى ظهور هذا الاسم في بداية القرن الرابع الهجري. أما الإخبارية والأصولية وأنصار الولاية (ولاية الفقيه) فقد ظهروا فيما بعد، ولم يكن لهم وجود في السابق[2]، وان التأكد من صحة أي من النظريتين يحتاج إلى دراسة وبحث وتمحيص، ولا يمكن الاكتفاء بالسماع والتقليد للآخرين والاعتقاد بصحة كل ما هو موجود الآن على أساس انه موجود منذ عصر النبي ﷺ، من البديهي إن كل

---

[1] وهي الفترة التي تلت وفاة الإمام الحسن العسكري وحتى بدء عصر الغيبة الصغرى .

[2] لقد ظهرت تلك التيارات خلال عصر الطائفية.

فرقــة شــيعية أو إســلامية تحــاول أن تختلــق القصــص والأحاديــث والروايات وتدعي وجود أساس تـاريخي قديم لهـا. ولا يمكن التصديق بجميع الادعاءات بالطبع، إنما لابد من دراسة كل رواية أو ادعاء علـى حـدة، والتأكـد مـن صـدق هـذه الـدعوى أو تلـك. ومـن هنـا تـأتي أهميـة دراسة التاريخ، ولذلك يهرب البعض من دراسة تاريخهم، لان الدراسة تكشف الحقائق والأوهام وتضع النقاط على الحروف، وأنا اكرر دائماً، أننـي افتخـر بـالالتزام بمذهب أهل البيت وإننـي شيعي جعفري لأننـي انظـر إلـى التشيع فـي زمـن أهـل البيـت قبـل أن تتسـرب إليـه الأفكـار المسـتحدثة والمضــافة الأخـرى، ولأننــي لا أجـد تلازمــاً بـين التشـيع والالتزام بالمذهب الجعفري، وبين الإيمـان بـولادة الإمـام الثـاني عشـر وانــه المهـدي المنتظـر بالتحديـد. حيـث وجـدت الإمــام الصــادق ﷺ يـرفض تحديد هويـة المهـدي ويصـر علـى بقائـه سـراً. ولأننــي درسـت كثيـراً مـن الروايـات التـي تتحـدث عـن تحديـد هويـة المهـدي مـن قبـل. واحدة واحدة، فوجدتها ضـعيفة وموضـوعة ومختلقـة. ووجدت الشيعة الإماميـة يختلفـون حـول الموضـوع قبـل وفـاة الإمـام العسـكري وبعـد وفاته، ولو كان الأمر واضحاً وصريحاً ومهماً جداً، كما تقول. وجـزءاً من المذهب الجعفري لمـا جـاز الاختلاف فيـه ولمـا أمكـن أن يبقـى إلـى منتصف القرن الثالث سراً غامضاً، ومبعثاً للحيرة والشك، يقول بعض الإخـوان، إن الشـك فـي واحـد مـن الأئمـة يعنـي الشـك بهـم جميعـاً، وان رفض واحد منهم يعني رفض رسـول الله ﷺ ويـأتون علـى ذلـك ببعض الأحاديـث التـي ينسبونها إلـى أهـل البيـت وأنـا أقـول لهـم، أولا: إن تلـك الروايات غير مدروسة ولا موثوقـة وليسـت بصـحيحة، وغيـر معقولـة. وإلا فهل نعتبر العامة والزيدية والإسماعيلية كفاراً ؟!.. وثانيـاً: إننـي لـم أرفض إماما ثبت وجوده من أهل البيت، وإنمـا حصـل لـي شـك بـولادة الإمـام الثـاني عشـر لعدم تـوفر الأدلـة الكافيـة أو عدم اقتنـاعي بهـا، ولا

اعتقد بان الله سبحانه سوف يدخل النار من لم يؤمن بشخص معين لم يتأكد من وجوده وولادته، وقد طالب الله سبحانه النصارى بأن يأتوا بأدلة علمية قاطعة ويقينية حول صلب المسيح وقال عنهم: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ... وما قتلوه يقينا}[1] فكيف يطالبنا بالإيمان بولادة أمام بالظن والتخمين والافتراض، دون حصول العلم واليقين لدينا ؟ كما إني لا أستبعد أن يطيل الله عمر إنسان ما، كما أطال عمر النبي نوح عليه السلام بالرغم من عدم الحاجة والضرورة إلى ذلك، ولكني أبحث عن الأدلة التي تثبت أن الله عز وجل قد فعل هذا في شخص آخر[2] ولا يمكنني أن اعتقد بحدوث هذا الأمر عن طريق القياس والتشبيه، وقد كان سيدنا الإمام الصادق ﷺ يرفض القياس في الأمور الفرعية الجزئية، فكيف في الأمور التاريخية والعقائدية ؟ وإذا كنت لم تسمع بحديث الإمام الرضا الذي يستبعد فيه أطالة الله لعمر الإنسان لحاجة الخلق إليه، وانه لو كان يريد أن يفعل ذلك لفعله في عمر رسول الله ﷺ، فما هو ذنبي أن كان موجوداً في تراثنا ولم تطلع عليه، لأنك لم تقرأ ذلك التراث الموجود على رفوف المكتبات. أما تفسيرك لهذا الحديث في انه خاص في مواجهة الواقفية، فهذا تفسير تعسفي غريب، خاصة وان الإمام الرضا يتكلم بصورة عامة ولم يقصر حديثه على الواقفية، وكأنه يريد أن يعالج مشكلة عامة، كان كثير من الفرق الشيعية القديمة قد ابتلى فيها، حيث اعتقد البعض بغيبة الإمام علي أو محمد بن الحنفية أو عبد الله الطيار أو محمد ذي النفس الزكية أو الإمام

---

[1] النساء : ١٥٧.

[2] مع العلم أن عصر نوح عليه السلام كان يمتاز بطول أعمار البشر عموماً، كما تدل على ذلك الآثار المنقولة والمكتشفات الآثارية والعلمية الحديثة. راجع كتاب أصل الإنسان/ د. موريس بوكاي.

الصادق أو إسماعيل بن جعفر وما شابه، وكان الإمام الرضا يحاول أن يمسك بيد الشيعة حتى لا يقعوا في ما وقع فيه السابقون ولا يفترضوا أمورا وهمية باطنية بعيدة عن العرف الإسلامي. ويمكن أن نسأل بخصوص مسألة المهدي، لماذا يفترض الإمامية بصورة حتمية، أن يكون المهدي قد ولد في ذلك الزمان، وما هو الضرر، إذا اعتقدنا بأنه سوف يولد في المستقبل عندما يشاء الله تعالى؟ اعتقد بأننا نتفق معاً على ضرورة الالتزام بتراث أهل البيت ﷺ ونكاد نختلف في بعض النقاط الجزئية التفصيلية وليس علينا إلا أن نتأكد ونتيقن منها، إذ لا يجوز أن نأخذ الدين بالظنون والأوهام وننسب إلى أهل البيت ما لم يقولوا[1].

إن هذا الرد على رسالة الحائري حول مسألة المهدي وحقيقة غيبته وما جرته من أفكار وروايات وعقائد غريبة في التراث الشيعي بعد عصر الافتراق، قد وضع النقاط على الحروف للمنهجية الشيعية للدخول تحت مظلة الأمة الوسط، والانتقال إلى المذهبية الإسلامية، ومحاربة البدع والأوهام والطائفية، وأفكار الخرافة والتطرف والتعصب التي عشعشت في الأوساط الإسلامية منذ قرون. وكلام الكاتب يؤكد ضرورة تجاوز فكرة الغيبة في التراث الشيعي للتحرر من الأوهام والخرافة، ودفع عجلة التقريب الإسلامي إلى الأمام وإسقاط كل ما يتعلق بهذه الفكرة من مرويات وقصص ملأت الكثير من صفحات الكتب في عصر الافتراق والطائفية، وكانت الوقود الذي يغذي الصراع الطائفي والتكفير المتبادل للفريقين، إذ يبدو أن هناك نصوصاً منسوبة إلى أئمة أهل البيت بتكفير من لم يؤمن بالأئمة ألاثني عشر أو غيبة المهدي ورجعته وغيرها من العقائد الدخيلة في

---

[1] **مجلة الشورى/ العدد الثامن ص٩.**

التراث الشيعي، وإذا كانت عصور الاضطهاد والصراع تسوغ تبني تلك العقائد وتشجعها لشحذ الهمم ورفع معنويات المقاتلين، فإننا اليوم والحمد لله قد انعم علينا -سبحانه- بإطفاء نار الفتن والصراع والاقتتال بين الأخوة، ونحن نشهد نوعاً من الوعي والفهم الحضاري والصحوة الإسلامية بما يبشر بعهد جديد تسوده روح المحبة والأخوة والتقريب والتسامح، بحيث لا نجد مبرراً لتشجيع تلك العقائد والمفاصلة والخصومة استناداً إلى عقائد وأفكار تفتقر إلى النصوص الصحيحة والى سند مهم من القرآن والسنة وأقوال الأئمة الأطهار الصحيحة، كما إن التوجه نحو دراسة التاريخ الإسلامي وتاريخ الفرق والتطور العقدي لا يبقي مجالاً لترويج مثل هذه الأوهام بين المسلمين وهكذا يتضح أن قصة المهدي وغيبته تفتقر إلى السند التاريخي الصحيح حتى في التراث الشيعي الأصيل، ولم يقل بها أحد من الأئمة، وإنما هي فكرة ولدت بعد سنوات من الحيرة والاضطراب بسبب الفراغ الذي أحدثته وفاة الإمام العسكري، فخرج بعد زمن الحيرة من يقول بالغيبة، إذ بدأت الفكرة على لسان مدّعٍ وضمن فرقة شيعية صغيرة، ثم ما لبثت أن انتشرت تلك الفكرة، بعد أن أصبحت الفرقة الإمامية الإثنا عشرية أوسع الفرق الشيعية، ومع الزمن أصبحت الفرقة الكبرى بين غيرها من فرق الشيعة التي ذابت واضمحلت بمرور السنين، حتى تحولت تلك الفكرة في ذهن معتقديها إلى حقيقة ثابتة، وعقيدة راسخة، شأنها شأن حقائق الإسلام الأولى.

الخاتمة

يتضح مما سبق، إن التقريب ليست فكرة خيالية وحلماً يستحيل تحقيقه، كما انه ليس في متناول اليد بالسهولة التي يراها البعض الآخر، وإنما هو آلية أو توجه أو عقيدة مباركة لمن يريد أن يكون من أمة القرآن. أمة المنهج الرباني.. الأمة الوسط.

وهو رحلة طويلة، تبدأ بالنية الصادقة في طرح ثوب الطائفية وأغلالها والسير في طريق الوحدة، وكما قالوا، فان رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة، والخطوة الأولى هي النية الصادقة، والتوجه الجاد نحو ما يريده الله سبحانه منا لنكون كما كان أهل البيت والصحابة، أذلة على المؤمنين أشداء على الكفار رحماء بينهم، وان نطرح كل عقبة وفكرة سوداء تعيق وتعارض معنى الإخوة والتسامح، وان نعزز ونقوي كل ما يؤدي إلى التقارب والمحبة وتعميق الإيمان في قلوبنا، ونبتعد عن مواطن التعصب والعنصرية والطائفية ونتعاون على محاربة دعاتها من أهل الغلو والخصومة، ونكشف وسائلهم وأفكارهم التي يغذيها حتما أعداء الإسلام التقليديون {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}[1] ونحاول جاهدين توليد ذلك التيار المبارك ذي العقيدة القرآنية الوسطية المنفتحة، ليصبح مع الزمن هو المهيمن على الساحة الإسلامية فنخرس بذلك دعاة التعصب وتجار الحروب والحقد الأسود. ولا نحسب ذلك السبيل محفوفاً بالورود والرياحين، بل على العكس هو مليء بالعقبات والمطبّات والابتلاءات، ولكن إذا علمنا إن ابتلاء المؤمن هو سنة الله في خلقه، ولقد ابتلي أهل البيت والصحابة فصبروا وحفظوا لنا تلك الرسالة العظيمة، فلا يصعب أن نجتاز تلك العقبات والصعاب ونحن نتأسى بالرسول الكريم

---

[1] **المائدة: ٢.**

وبالرجال الذين تربوا على منهج القرآن وتعاليم الرسول وهديه ﷺ. وإذا كان شعار التقريب والوحدة جزءاً من الأمانة الكبرى للحفاظ على رسالة الإسلام وإيصال نوره إلى العالمين، وهو شعار عصر النور والرجال الأعلام الذين جاؤوا فيما بعد، وقد تظافر المسلمون علماء وخلفاء ومجاهدين في الدفاع عنه، وحين نعلم انه حتى في العصر الصفوي ظهر من يدافع عن وحدة المسلمين من العلماء ولم يجرفهم التيار الصفوي الطائفي كالبهائي والقطيفي، ثم من جاء بعدهم من رجال التقريب في هذا القرن نشعر بان دعاة الوحدة، لهم دورهم على الساحة الإسلامية، مهما حاول الأعداء من زرع وصناعة دعاة الخصومة، وان هذا التيار الذي يؤمن بالوسطية والاعتدال والرجوع إلى العقيدة الصافية في صدر الإسلام، ويتبنى مبدأ التصحيح والتقريب، ومبدأ العدالة والشورى، وغيرها من المبادئ القرآنية المباركة، إن هذا التيار قد بدأ في الظهور والانتشار، وقد أثمرت الجهود التي قام بها العلماء والمصلحون أمثال جمال الدين الأفغاني وحسن البنا والكاشاني ومصطفى السباعي وعلي شريعتي رحمهم الله، وجاء دور البهنساوي والكاتب وأمثالهم[1] ليجتازوا بشجاعتهم وقوة حجتهم، تحجر العقول، وظلمات التعصب والطائفية، والمستقبل بأذن الله لهذا التيار المبارك، الذي صمم على تفويت الفرصة على الأعداء، ومخططاتهم لإشعال فتيل الخصومة والصراع الطائفي.

إن التصحيح والتنقيح وإعادة كتابة التراث الإسلامي، يمكن أن يتم على مراحل قد يستغرق عدة عقود من الزمن، ويمكن أن يستمر التصحيح لدى الفريقين بصورة منفصلة ومتوازية، أي أن يعتمد

---

[1] انظر كتاب الحقائق الغائبة بين الشيعة وأهل السنة/ سالم علي البهنساوي ومجلة الشورى وغيرها.

التصحيح على ذاتية التصحيح وفق المنظور الرباني الوسطي، حتى إذا اقترب التصحيح من مراحله النهائية يمكن عندها تداخل التراثين وامتزاجهما، لكي نبعد الفريقين عن الجدل العقيم، ولكي نلمس عملياً صدق توجه التيار الوسطي لدى الطرفين، ولفظه للمستحدثات التي طرأت على التراث، وانه أصبح بعد حين مطابقاً لروح القرآن ورسالة الإسلام الخالدة. وفي ذلك نكون أيضا قد حققنا التنافس البنّاء بين تيار الاعتدال عند الفريقين للسير في طريق الوحدة، {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}[1]، ولنا في موضوع تكافل وتعاون أهل البيت والصحابة والتابعين، والتراجم والسير التي تروي أمجادهم ومآثرهم وجهادهم المشترك والتراث المعتدل الذي يصور لنا كيف كانت أخوة المسلمين في العصر المشترك، والنظر إلى الخروج والقيام بمنظاره السياسي وليس ألاعتقادي وانه كان سمة بيوت قريش المتنافسة على الحكم، ونردها إلى القناعة الذاتية في وقتها لمن خرج، ولا نمزج ذلك ضمن الصراع الطائفي، وقد رأينا إن هناك خروجاً ضمن البيت الواحد أيضا نتج عنه مقاتل الأمويين للأمويين والعباسيين للعباسيين والعلويين للعلويين وكذلك مقاتل الزبيريين للزبيريين، إضافة إلى خروج الخوارج والبربر وخروج الأعاجم ضمن فرق الباطنية والغلو والشعوبية، وندعو الأساتذة والمختصين ودعاة التقريب إلى الكتابة وفق ذلك المنهج الرباني والتصور الإسلامي المعتدل، ونكون بذلك قد تقدمنا خطوات باتجاه الوحدة الحقة، ونزع فتيل الخصومة، ولعل من أهم الأمور التي يمكن اعتمادها من قبل دعاة التقريب، التركيز على القرآن الكريم، ودعوة المسلمين لاستلهام تعاليمه حفظاً وتفسيراً وقراءة، وتحويل نصوصه إلى واقع في حياة الناس، ومحاربة البدع

---

[1] **المطففين/ ٢٦.**

والمستحدثات والأعراف الفاسدة، التي حسبها الناس مع تقادم الزمن جزءاً من الدين، وهي أعراف وأفكار ما انزل الله بها من سلطان. فالتقريب بحاجة -ابتداء- إلى تصحيح ومحاربة البدع وأفكار الغلو والتطرف والأوهام الدخيلة على الإسلام، ولنا في القرون الأولى وتراثها الغني وخصوصاً تراث أئمة المذاهب الستة، إضافة إلى تراث السلف الصالح، ما يشفي الصدور، وفي الوحي الصادق والتصور القرآني الذي ما أن يترجم واقعاً على الأرض، في أمة مؤمنة، حتى يكون بلسماً وعلاجاً لكثير من الإمراض والعلل.

قال تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا}[1] وقال أيضاً: {لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم}[2].

وقال الرسول الكريم ﷺ: (يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ومن شذ شُذَّ إلى النار)[3].

وقال الإمام الصادق ﷺ: (إياكم والخصومة في الدين فإنها تحدث الشك وتورث النفاق)[4].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

١ **آل عمران/ ١٠٣.**

٢ **الأنفال/ ٦٣.**

٣ **رواه الترمذي(٢١٦٦) عن ابن عباس و(٢١٦٧) عن ابن عمر، وقال المنذري في الترغيب والترهيب/ جـ١ ص٣٧٢: رواه احمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في المستدرك.**

٤ **انظر ابن سعد في طبقاته، وهو مروي أيضاً في كتب الإمامية.**

المصادر

١- تفسير القرآن العظيم/ للإمام إسماعيل بن كثير/ دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت/ طبع سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٢- تهذيب سيرة ابن هشام/ عبد السلام هارون.
٣- كتب الصحاح والمسانيد وبقية كتب الحديث النبوي، وتم الإشارة إليها عند تخريج الأحاديث.
٤- تذكرة الحفاظ/ للذهبي/ دار إحياء التراث/ بيروت.
٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/للحافظ الهيثمي/ بيروت،ط٢، ١٩٦٧م.
٦- تاريخ الرسل والملوك/ للطبري/ تحقيق أبو الفضل/ القاهرة، ط١.
٧- البداية والنهاية/ لابن كثير/ تحقيق د. أبو ملحم/ نشر دار الكتب العلمية-بيروت، ط٥ ١٩٨٨م.
٨- الطبقات الكبرى لابن سعد/ دار صادر/ بيروت.
٩- التفسير الإسلامي للتاريخ/ د. عماد الدين خليل.
١٠- التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير/ محمد فتحي عثمان.
١١- كيف نكتب التاريخ الإسلامي/ محمد قطب.
١٢- حصوننا مهددة من داخلها/ د. محمد محمد حسين.
١٣- السيف اليماني في نحر الأصفهاني/ وليد الأعظمي.
١٤- حياة الصحابة/ محمد يوسف الكاندهلوي ط. ١٩٦٨م.
١٥- علي والخلفاء/ د. بشار عواد.
١٦- حقائق عن آل البيت والصحابة/ الشيخ يونس السامرائي.
١٧- تاريخ الخلفاء/ جلال الدين السيوطي.
١٨- تاريخ الأمم الإسلامية/ مجلدان/ محمد الخضري.
١٩- تاريخ المذاهب الإسلامية/ الشيخ محمد أبو زهرة.
٢٠- الدعوة العباسية/ د. محمد بركات.

٢١- تاريخ الإسلام السياسي/ د. حسن إبراهيم.
٢٢- أبو هريرة رواية الإسلام/ محمد عجاج الخطيب.
٢٣- الإمام زيد بن علي/ شريف الخطيب.
٢٤- الإمام الصادق/ محمد أبو زهرة.
٢٥- الإمام أبو حنيفة/ محمد أبو زهرة.
٢٦- الإمام مالك/ محمد أبو زهرة.
٢٧- الإمام احمد ابن حنبل/ محمد أبو زهرة.
٢٨- الإمام علي الرضا/ د. محمد علي البار، بيروت ط٢،١٩٩٢م.
٢٩- معجم رجال الحديث/ للسيد أبي القاسم الخوئي.
٣٠- البرهان في علامات مهدي آخر الزمان/ للمتقي الهندي/ تحقيق جاسم مهلهل/ ذات السلاسل للطباعة والنشر/ الكويت، ط١: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٣١- مقاتل الطالبيين/ لأبي فرج الأصفهاني.
٣٢- نهج البلاغة/ تحقيق الشيخ محمد عبده.
٣٣- وعاظ السلاطين/ د. علي الوردي.
٣٤- لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث/ د. علي الوردي.
٣٥- الزندقة والشعوبية/ د. حسين عطوان.
٣٦- التشيع العلوي والتشيع الصفوي/ د. علي شريعتي.
٣٧- هكذا تكلم علي شريعتي/ د. فاضل رسول، بيروت ط٣ ١٩٨٧م.
٣٨- التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي/ محمد البنداري/ عمان ط ١٩٨٨م.
٣٩- الشيعة والتصحيح/ د. موسى الموسوي/ ١٩٨٨م.
٤٠- السنة ومكانتها في التشريع/ د. مصطفى السباعي، مصر ١٩٦١م.
٤١- مؤتمر النجف/ للسيد عبد الله السويدي/ تحقيق محب الدين الخطيب.

٤٢- مختصر التحفة الإثني عشرية/ تهذيب محمود شكري الآلوسي/ استانبول ١٩٧٩م.
٤٣- الشيعة وأهل البيت/ إحسان الهي ظهير.
٤٤- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة/ د. ناصر القفاري/ دار طيبة، ط٢ ١٤١٣هـ.
٤٥- العواصم من القواصم/ القاضي أبو بكر بن العربي، القاهرة، ط. ١٣٩٩هـ.
٤٦- لا شيعة ولا سنة/ محمد الزعبي.
٤٧- لأكون مع الصادقين/ محمد التيجاني السماوي.
٤٨- الإسلام والدعوات الهدامة/ أنور الجندي.
٤٩- الحقائق الغائبة بين الشيعة وأهل السنة/ سالم علي البهنساوي/ القاهرة،ط. ١٩٨٩م.
٥٠- ابن سبأ حقيقة لا خيال/ د. سعدي الهاشمي.
٥١- عبد الله بن سبأ وأثره في الفتنة/ د. سليمان العودة.
٥٢- مكائد اليهودية عبر التاريخ/ عبد الرحمن حنبكة.
٥٣- إسرائيليات معاصرة/ د. صلاح الخالدي.
٥٤- تطور الفكر السياسي الشيعي/ احمد الكاتب/ دار الشورى - لندن - ١٩٩٧م.
٥٥- الصلة بين التصوف والتشيع/ د. كامل مصطفى الشيبي/دار المعارف بمصر/ط٢ -القاهرة.
٥٦- جمال الدين الأفغاني/ د. محمد عمارة.
٥٧- المعتزلة وأصول الحكم/ د. محمد عمارة.

الفهرست

صدر للمؤلف

١- الظاهرة القرآنية والعقل ط. بغداد سنة ١٩٨٦م.
٢- النبوءة والإعجاز في القرآن والسنة ط.بغداد سنة ١٩٨٨م.
٣- الوصايا الخالدة في القرآن الكريم ط.بغداد سنة ١٩٩٢م.
٤- النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة ط.بغداد وعمان والدوحة والقاهرة، خلال السنين ١٩٩٨ - ٢٠٠٦م.
٥- ثقافة الوسط ط. بغداد وعمان سنة ٢٠٠٤- ٢٠٠٦م.
٦- الدر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة ط.بغداد وعمان ١٩٩٩م – ٢٠٠٥م.
٧- أقباس من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ط. بغداد وعمان ٢٠٠١م.
٨- أقباس من أثر القرآن في التاريخ والحضارة والتراث ط. بغداد ٢٠٠١م.
٩- تراث الأنبياء بين العلم والقرآن والتوراة ط.بغداد سنة ٢٠٠٠م.
١٠- تحت رماد الحرب العاصفة ط. بغداد وعمان وبيروت ودمشق سنة الطبع ٢٠٠٣م/ ٢٠٠٤م.
١١- برزخ العالم الثالث ط. بغداد وبيروت ٢٠٠٤م.
١٢- في آفاق عولمة اللغة والتاريخ.. لغة آدم ولغة القرآن ط. عمان/ دمشق ٢٠٠٨م.